آية الله حسن زاده آملي

السير إلى الله

ويليه

- رسالة في لقاء الله
- مناجاة عرفانية
- قصيدة ينبوع الحياة

مراجعة وضبط
السيد حسين نجيب محمد

دار المحجة البيضاء

السير إلى الله

آية الله حسن زاده آملي

السير إلى الله

ويليه

- رسالة في لقاء الله
- مناجاة عرفانيّة
- قصيدة ينبوع الحياة

مراجعة وضبط

السيّد حسين نجيب محمّد

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم

نبذة عن حياة المؤلف
الشيخ حسن حسن زاده الآملي دام ظلّه

وُلد العلاّمة الموسوعي آية الله الشيخ حسن حسن زاده في مدينة «آمل» شمال إيران عام ١٣٤٦هـ. ق.

ودرس المقدّمات ودرّسها في مسقط رأسه، وظهر اهتمامه بالأدب الفارسي وخاصة الشعر، كما اهتم بالشعر العربي.

واصل دراسته في طهران منذ عام ١٣٦٩هـ. ق في مدرسة المرحوم الحاج أبي الفتح، فيما درس السطوح والحكمة، والتفسير، والرياضيات، والتجويد، والفقه، والهيئة، والعرفان عند أساتذة كبار أمثال آية الله الشيخ محمد تقي الآملي، وآية الله الميرزا مهدي القمشئي، وآية الله الميرزا أبي الحسن الشعراني، وآية الله السيد أبي الحسن الرفيعي القزويني، وآية الله الفاضل التوني.

وفي سنة ١٣٨١هـ. ق انتقل إلى قم المقدّسة فدرس الحكمة والتفسير وعلمي الأعداد والحروف عند كبار العلماء كالسيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله وأخيه السيد محمد حسن الإلهي، والسيد علي القاضي (ابن أخ القاضي الكبير) والسيد مهدي القاضي، ثم بدأ بتدريس هذه العلوم. وهو يُعدّ حالياً من أبرز أساتذة الحكمة المتعالية والعرفان، ومن كبار المُؤلِّفين في المجالات العلمية العديدة، وفي الحقيقة فإن شخصية الأستاذ الآملي العلمية خير خلف لخير سلف وقد طبع له ٣٧ كتاباً بالفارسية وثمّة

تسعة كتب أخرى قيد الإعداد إضافة إلى ٣٤ كتاباً آخر لم تُطبع بعد، أما كُتبه بالعربية فهي:

١ ـ عيون مسائل النفس.

٢ ـ سرح العيون في شرح العيون.

٣ ـ العمل الضابط في الرابطي والرابط.

٤ ـ الجعل.

٥ ـ نثر الدراري علم نظم اللآلىء.

٦ ـ تصحيح أصول الكافي وإعرابه.

٧ ـ تصحيح كشف المراد والتعليق عليه.

٨ ـ شرح نهج البلاغة وهو تكملة لشرح الشيخ حبيب الله الخوئي.

٩ ـ نفس الأمر.

١٠ ـ معرفة الوقت والقبلة.

١١ ـ رسالة حول الرؤية.

١٢ ـ فصل الخطاب في عدم تحريف كتاب رب الأرباب.

١٣ ـ رسالة في الإمامة.

١٤ ـ اضبط المقال في ضبط أسماء الرجال.

١٥ ـ رسالة في الصبح والشفق.

١٦ ـ رسالة في تعيين البعد بين المركزين.

١٧ ـ تصحيح طبيعيات الشفاء.

١٨ ـ رسالة في التوبة.

١٩ ـ تعليقات على منظومة السبزواري(١).

٢٠ ـ حكمة عصمتية في كلمة فاطمية.

---

(١) اقتبسنا ترجمة الأستاذ الآملي دام ظله من مجلة الفكر الإسلامي، العدد العاشر.

٢١ ـ الإنسان الكامل في نهج البلاغة.

٢٢ ـ رسالة في لقاء الله تعالى، وهي هذا الكتاب.

وهي رسالة قيّمة في تعريف الإنسان بالتوحيد وطريق الوصول إلى الله تعالى، وذلك بالاستناد إلى الآيات القرآنية، والروايات الشريفة، وأقوال كبار العرفاء الذين اقتبسوا علمهم من أصحاب الولاية والعصمة عليهم السلام.

وقد أدرج الأستاذ هذه الرسالة الشريفة في كتابة «تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» للعلاّمة ميرزا حبيب الله الخوئي رحمه الله فيقول حفظه الله: «ولنا بفضله سبحانه رسالة منفردة في لقاء الله أرى الاتيان بها ههنا...»[١].

وقد طبعنا الرسالة كما وجدناها في الشرح المذكور، مع تخريج للآيات والأحاديث، وترجمة للأبيات الفارسية، وإضافة عناوين الموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حسين نجيب محمد الموسوي العاملي

---

(١) منهاج البراعة، ج١٩، ص١٨٦.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا من شرَّف أولياءه بلقائه، وكرّم أحبَّاءه بالعكوف على فنائه، سبحانك يا من انتجب أسرار أهله لرؤية جماله، واحتجب عن أبصار خليقته بحجاب جلاله، صلِّ اللهمَّ على مظهرك الأتم، وجامع الكلم والحكم، المُنزل عليه ما يهدي للّتي هي أقوم، وآله خير الورى وأعلام الهدى ومَنْ اتَّبع هديهم من أُولي النُّهي.

وبعد

فيقول العبد الراجي لقاء ربه الكريم «نجم الدين حسن بن عبدالله الطبري المدعوّ بحسن زاده الأملي» بلّغه الله وجميع المؤمنين إلى آمالهم ورزقهم نعمة لقائه:

يا أهل الوداد والسَّداد، وطالبي الهداية والرشاد، يا إخوان الصفاء وخلاَّن الوفاء، إلى متى؟ وحتَّى متى؟ جاز لنا الحرمان عن حرم الحبّ، والخذلان في غيابة الجبّ؟ وما لنا ألاّ نسير إلى نواحي القدس؟ ولا نطير إلى رياض الأُنس؟ أو ترون أنّا خُلقنا عبثاً، أو تُركنا سدىً؟ نأكل ونتمتَّع كالأنعام السائمة، غافلين عن لقاء الله عزَّ وجلَّ إلى أن يدركنا الأجل، ويلهينا الأمل؟ كلاّ، وحاشاكم عن هذا الظن و**﴿إنّ بعض الظن إثم﴾** [الحجرات: ١٢] **﴿واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والأصال ولا تكن من الغافلين * إنَّ الّذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبِّحونه وله يسجدون﴾** [الأعراف: ٢٠٦].

خليليّ نحن نيام في فراش الغفلة، وقد أدبرت العاجلة وأقبلت الآخرة **﴿إن هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون ورائهم يوماً ثقيلاً﴾** [الإنسان: ٢٧]، **﴿يوماً عبوساً قمطريراً﴾** [الإنسان: ١٠]، **﴿يوماً كان شره مستطيراً﴾** [الإنسان: ٧].

قد أتى يوم تُبلى فيه السرائر، وما زُرع في الأوَّل يُحصد في الآخر، فانظروا بما أسلفتم في الأيام الخالية، واقرأوا ألواح أنفسكم تُخبركم عن غدكم وأمسكم ورمسكم.

واستمع ماذا يقول برهان السالكين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين عليّ أمير المؤمنين: «احذروا عباد الله الموت ونزوله، وخذوا له فإنه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبداً، وشر لا يكون معه خير أبداً، فمن أقرب إلى الجنة من عاملها، ومن أقرب إلى النار من عاملها.

ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلتين يصير، إلى الجنة أم إلى النار؟ أعدوّ هو لله أم وليّ له؟ فإن كان ولياً فُتحت له أبواب الجنة وشرع له طريقها، ونظر إلى ما أعدّ الله عز وجل لأوليائه فيها، فرغ من كل شغل، ووُضع عنه كلَّ ثقل، وإن كان عدواً فُتحت له أبواب النار وسهّل له طريقها ونظر إلى ما أعدّ الله لأهلها واستقبل كل مكروه.

واعلموا عباد الله أنَّ ما بعد اليوم أشدّ وأدهى: نار قعرها بعيد، وحرّها شديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، وشرابها صديد، لا يفتر عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس لله سبحانه فيها رحمة، ولا يسمع فيها دعوة»[(١)].

فطوبى لمَن انتبه عن النوم وتشمّر الذيل لتدارك اليوم، ثم طوبى لمَن راقب سرّه عما سوى الله وما طلب إلا القرب منه ولقاءه ورضاه، فإنَّا أُمرنا ألاّ نعبدُ إلاّ إيّاه ولا نطلبُ إلاّ إياه، فوحّد الله سبحانه بصدق السريرة حتى ترى بعين البصيرة أن لا هو إلا هو ولا إله إلا هو، **﴿فأينما تولّوا فثمَّ وجه الله﴾** [البقرة: ١١٥]، **﴿وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو معكم أينما كنتم﴾** [الحديد: ٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٣، ص٥٤٥.

خليليَّ إني لأستحيي من نفسي فضلاً عن غيري بأن أقول: هذه رسالة عملتها يداي في لقاء الله تعالى، كيف لا، وأنّى لهذا المطرود عن صفّ النعال، بل المردود عن الباب أن يأتي فيه بكتاب؟ وهل هذا إلا الخروج عن الزيّ؟ ولا يخرج عنه إلا البذيّ.

قال أفلاطن الإلهي: «إن شاهق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر وسرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر».

وقال الشيخ الرئيس أبو علي سينا في آخر النمط التاسع من الإشارات في مقامات العارفين: «جلَّ جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد أو يطَّلع عليه إلا واحد بعد واحد».

وقال أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك الملقّب شهاب الدين السهروردي الحكيم المقتول: «الفكر في صورة قدسية يتلطف بها طالب الأريحية، ونواحي القدس دار لا يطأها القوم الجاهلون وحرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السماوات فوحِّد الله وأنت بتعظيمه ملآن، واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان، ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الأركان وأبى النظام أن يكون غير ما كان» (نقلنا كلامه من تاريخ ابن خلكان).

وقال العارف السنائي، ما ترجمته:

لم يحمل أيٌّ كان عظمة التوحيد ولم يَذُق أَيٌّ كان طعم التوحيد

وقال العارفي الرومي، ما ترجمته:

لم يستوعب أيّ عقلٍ ذكرك، فذكرك كالقِرْط الذي لا تستطيع أي أذن أن تتزيَّن به

وبالجملة هذا المحروم بقصور باعه مقرّ، في إقراره مصرٌّ، وعلى نفسه بصير، وبأمره خبير، يفوه من شدّة الخجل أخفى من الهمس، ويبوه من كثرة الوجل كعليل دان حلوله في الرَّمس ويقول:

إننا لم نعشق سواك ولقائك يا رب، هو غاية المنى
فهذا هو طريقنا ونهجنا إليك ولم نسلك غيره طريقاً ونهجاً

ولن يكن لجليلٍ ساحةً أفسح من ساحة قدسك يا رباه
فنفحات المسك والعود والعنبر لا تجاري نفحات أُنسك لطافةً وعذوبة
ولا يوجد حديثاً أعذب من حديثك أو ديواناً أجمل من ديوانك
فديوانك كالبحر الذي لا نهاية له لم يستطيع أيّ كان أن يبحر فيه
ولا يستطيع قلب أن يصل إلى سر حديثك إذا لم يكن طاهراً
لن يوجد متحدثاً في كل الأزمان ليصف صفاتك الجميلة
فكل ما قالوه وما يقولوه لن يبين لنا واحدة من حقيقة عظمتك
فتلك دودة ضوء الليل ليست قادرة على وصف شمس مغارب الأرض ومشارقها
كل شيء وجميع من أراه يلتمسون رحمتك في ساحة قدسك
ولا توجد ذرّة في هذا الوجود ليست مسخّرة لأمرك
فكل ما تجلى من صنعك، هو خير محض وليس فيه ذرة شر
وإذا كان العجب يسود كل نقش أو أثر، فهذا الإعجاب ليس له مثيل
فكل ما يصفون بقول الرفيق والمحبوب والشاهد
والمعشوق لا يوجد غيرك، فأنت المعشوق الوحيد
والذي لم تصبه سهام عشقك وتمزّق قلبه لم يهتدِ ليسلك صراطك
العقل الذي لا يتملكه عشقك، فهو في الحقيقة لا شيء وليس بعقل
والقلب الذي لم يبصر أشعة ضيائك، لن يكون مضيئاً بل هو قلب مظلم أسود
فالصادق الذي يسلك درب رضاك لم تُكَدّره المصائب التي يبتلى بها في طريقه
لأن الذي يحدث هو محتوم ومقدّر وكل الذي لا يحدث هو ليس مقدّر
فعندما تفتش عن سالك سبيل الله عز وجل لا تجده إلا صامتاً ومتفكّراً
والعاشق المتعطّش للقائك لا يشعر بكل ما يجري وكل ما يحدث
وجسمه من أجل تعبدك وطاعتك لا يميل إلى النوم والفراش
فهو يلقاك بقلبه وعقله كل يوم ولا ينتظر يوم الحشر ليسعد بلقائك
والنار التي في قلبه هي ليست شرارة إنما هي عين نار الله عز وجل
إن العشق ليس سخرية الأطفال في المعابر والأزقّة إنما هو عادة المتعبدين الشجعان
فالوقوع في نار عشقه اللاهبة لا يحتملها إلا القوي ذو العزيمة
والذي يبصره العاشق لا تبصره نافذة رؤية الفكر والعقل

فحلاوة عبادته خلوةً في الليل لا تجارى بحلاوة الشهد والسكر
ولا يوجد طعم خمرة حضوره من ينبوع السلسبيل والكوثر
وما يجده العابد في لقياه لا تستطيع أن تشرحه قصبة الكاتب
ليس صدقاً إن كان العابد يتمنى أمنياته بدلاً من البكاء في الأسحار
فالعاقل الحكيم لا يبحث عن تاجٍ أو ملكٍ أو سلطنة
إن إيمانه بالله عز وجل كالسدّ الذي هو أقوى من مئة سَدٍّ منيع
لا يوجد حصناً أو برجاً أو خندقاً أفضل من كلمة لا إله إلا الله
ولا يوجد حاكم إلا الله عز وجل في مملكة الأرض الواسعة
وسفينة ممكنات العالم، مرساها الوحيد هو اسم الله جل وعلا
كل باطن وظاهر وكل أمر خفي أو واضح يبين لنا عظمة الخالق
هو أصل هذا الوجود ولا يملك زوجةً أو ما يجاريه عظمةً ومقاماً
ما يقوله قائل فيه وما قيل عنه وما قالا والقول فيه هي تعابير
انبثقن من مصدر قول واحد في وصف عظمته وجماله
وها أنا أصفه بكل ما يجب أن يوصف وأعجز عن وصفٍ أكثر
يا من ابتعد عن روضة العشاق إنّ روحك لم تتعطّر بالعبير بعد
ويا من غافل عن أحوال نفسه أقول لك بأنك كالأعمى والأصم
وإذا كنت قد أوجدت من حولك هالةً من الذنوب والمعاصي
فهذا ليس إثم الشمس والقمر والكواكب
أنت من الذي توجِدُ الجنة أو الجحيم لنفسك فالنفس هي وحدها التي تكون
رسالة ناصعة أو تكون كالثعبان المماردة
والمسلم الذي يلازم أهواءه ليس بالاسم كافر فقط، إنما هو في الحقيقة مشرك
فذلك الطمّاع الشره وإن كان لا يسمّى بالحمار والبغل فهو حيوان في الحقيقة
يا من لازم الجهل والسذاجة فليس هذا درب العاقلين
والإنسان في دار الدنيا لا يزيّنه إلا العلم والمعرفة
فالعلم ليس لتحصيل المال والذهب إنما هو يعطي الروح حياةً ونضارةً
توجّه إلى الحبيب المصطفى كأبي ذر لتُنَقّي روحك ففيض الحق ليس وقفاً لأبي ذر
تحرّر من القيود النفسانية لتبصر ما لا يمكن أن يُرى

تداركوا أنفسكم أيها المحبين لأن إيجاد المخلوقات ليس سخرية أو كلاماً جزافاً

فيا (حسن نجم آملي. كناية عن الشاعر) اعلم أن الله عز وجل هو ينبوع الحكمة الأزلي

ثم أقول: لا ريب أن الاقتحام في ذلك المشهد العظيم فوق شأن هذا المسكين الذي لم يذق حلاوة ذكر الله ولم يتنعَّم بنعمة المراقبة والحضور ولم يخرج من سجن الدنيا الدنيَّة ومن ظلمة دار الغرور، إلى عالم النور والسرور، ﴿**يا حسرتي على ما فرَّطت في جنب الله**﴾ [الزمر: ٥٦]، ولله درَّ الشاعر قائلاً:

خلق الله للحروب رجالاً ورجالاً لقصعة وثريد

ولكن كما قيل: ألق في الدِّلاء دلوك.

نشير إلى عدَّة آيات وروايات وأدعية وأذكار ومطالب رشيقة أنيقة من كبار تنبيهاً للغافلين وأنا منهم، وتذكرة للمستبصرين، فنقول: قد بحثنا عن رؤيته تعالى في شرحنا على المختار الثامن من كتب أمير المؤمنين عليه السلام من النهج (ص٢٤٢ ـ إلى ٣٢٣ ج١٧)[١] لكنَّ ذلك البحث كان طوراً، وهذا البحث طور آخر، وإن كان أحدهما يعاضد الآخر، وقد أشرنا هنالك إلى هذا المطلب الأسنى أعني البحث عن لقاء الله أيضاً إجمالاً فإن شئت قلت إنَّ هذا البحث مكمّل ذلك.

* * *

(١) لاحظ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج١٧، من ص ٢٤٢ إلى ٣٢٣.

آيات اللقاء

اعلم أن القرآن الكريم قد نطق في مواضع كثيرة بلقائه تعالى فنأتي بها لأنها شفاء ورحمة للمؤمنين:

١ ـ **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾** [آخر الكهف].

٢ ـ **﴿قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾** [الأنعام: ٣٢].

٣ ـ **﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدىً ورحمةً لعلّهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾** [الأنعام: ١٥٥].

٤ ـ **﴿إنّ الّذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾** [يونس: ٨].

٥ ـ **﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمًّى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾** [الرعد: ٣].

٦ ـ **﴿من كان يرجو لقاء الله فإنّ أجل الله لآت وهو السميع العليم﴾** [العنكبوت: ٦].

٧ ـ **﴿أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلاّ بالحق وأجلٍ مسمًّى وإنّ كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾** [الروم: ٩].

٨ ـ ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين * ثمَّ سوَّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وقالوا ءإذا ضللنا في الأرض ءإنَّا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ [الم السجدة: ٨ ـ ١١].

٩ ـ ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتَّى يتبيَّن لهم أنَّه الحقّ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط﴾ [آخر فصلت، حم السجدة].

١٠ و١١ ـ ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين * ولو يعجّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ [يونس: ٨ ـ ١٢].

١٢ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أُبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم﴾ [يونس: ١٦].

١٣ ـ ﴿وقال الذين لا يرون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيراً﴾ [الفرقان: ٢٢].

١٤ ـ ﴿قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [الكهف: ١٠٦].

١٥ ـ ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم﴾ [العنكبوت: ٢٤].

١٦ ـ ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنّون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ [البقرة: ٤٧].

١٧ ـ ﴿قال الذين يظنّون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [البقرة: ٢٤٩].

١٨ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنّي لكم نذير مبين﴾ إلى قوله: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أريكم قوماً تجهلون﴾ [هود: ٣٠].

١٩ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلاً * هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً * تحيّتهم يوم يلقونه سلام وأعدّ لهم أجراً كريماً﴾ [الأحزاب: ٤٥].

٢٠ ـ ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه﴾ [الإنشقاق: ٧].

٢١ ـ ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾ [المؤمن، غافر: ١٨].

٢٢ ـ ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٤].

٢٣ ـ ﴿ولا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغدوة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ [الأنعام: ٥٣].

٢٤ ـ ﴿وأصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾ الآية [الكهف: ٢٩].

٢٥ ـ ﴿والّذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصلاة﴾ الآية [الرعد: ٢٣].

٢٦ و٢٧ ـ ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين

يريدون وجه الله﴾ الآية، ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ [الروم: ٣٩ و٤٠].

٢٨ ـ ﴿فأنذرتكم ناراً تلظّى * لا يصليها إلا الأشقى الذي كذّب وتولى * وسيجنّبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى * ولسوف يرضى﴾ [آخر سورة الليل].

معنى لقاء الله تعالى

واعلم أنَّ غير واحد من المفسّرين ذهبوا في تفسير لقاء الله إلى لقاء العبد ثواب أعماله أو عقابها ونحوهما، وهذا الرأي كأنما نشأ من توهّم القوم اللقاء بمعنى الرؤية بالأبصار و﴿**لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فلمّا فهموا من اللقاء هذا المعنى احتاجوا إلى تقدير الثواب أو العقاب، أو حمل اللقاء على معنى آخر يناسب ما توهّموه، ولكن ما مالوا إليه وهم، وليس اللقاء إلا الرؤية القلبية كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في جواب حبر قال له: «يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟ فقال عليه السلام: ويلك ما كنت أعبد ربًّا لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»[١]، وقال علم الهدى في الغرر والدرر (ص١٥٠ ج١): أتى أعرابيّ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فقال له: هل رأيت ربك حين عبدته، نحو الخبر المذكور إلى آخره[٢].

وقد فسّرنا هذا الحديث في شرحنا على المختار الثامن من باب الكتب من النهج وقد بيّنّا هناك أن ما يتبادر إلى الأذهان من معنى الرؤية ونحوها هو الرؤية بالعين وذلك للألف بالمحسوسات والحشر معها، وأما السير إلى باطن هذه النشأة والسفر إليه وإدراك ما عبّى في كلام الله المتعال وسفرائه ووجدانها من الدقائق واللطائف فلا يتيسّر إلاّ لواحد بعد واحد.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٤، ص٢٦.

كما دريت أيضاً أن الرؤية القلبية به تعالى هي الكشف الحضوريّ وشهوده تعالى للعبد على مقدار تقرّبه منه تعالى بقدم المعرفة ودرج معارف العقل، فراجع إلى المجلّد السابع عشر من ص٣٠٨، إلى ٣٢٣.

قلوب العارفين لها عيون فترى ما لا يراه الناظرونا

وقلت في قصيدتي التوحيديّة، ما ترجمته:

والذي يبصره العاشق لا تبصره نافذة رؤية الفكر والعقل

ولا نعني من اللقاء الرؤية بكنهه تعالى فإن معرفته بالاكتناه لا يتيسّر لما سواه، وذلك لأن المعلول لا يرى علّته إلا بمقدار سعة وجوده، والمعلول ظلّ علّته وعكسها والظلّ مرتبة ضعيفة من ذيه ولذا قالوا: «إن العلم بالعلّة من العلم بالمعلوم علم بها من وجه» يعني أنه علم ناقص بالعلّة بقدر ظرف المعلول سعةً وضيقاً، ﴿**لا يحيطون به علماً وعنت الوجوه للحي القيوم**﴾ [طه: ١١١].

وقد أفاد في ذلك فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي رحمة الله عليه بقوله: «إذا كانت العلّة الأولى متّصلة بنا لفيضه علينا وكنّا غير متّصلين به إلا من جهته فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلاحظ المفيض فيجب أن لا ينسب قدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له لأنها أغزر وأوفر وأشد استغراقاً».

ونعم ما أفاد، لله درّه، ولا يخفى على أولي النّهى أن هذا الكلام سامٍ بعيد الغور.

وما أجاد قول المحقّق العارف أفضل الدِّين الكاشي في المقام:

لقد قلت له إن كل ممالك الحسن هي ثروتك والشمس كالذّرّة تتحرك بأمرك
فقال لي لن تجد في صنعنا خطأً واحداً وكل ما يصيبك منا هو أساس عملك

وتبصّر مما قدّمنا أنه ما من موجود إلا وهو علم الحق تعالى لأن علمه بما سواه حضوري إشراقي، لم يعزب عن علمه مثقال ذرّة.

وأفاد العلامة الشيخ البهائي في شرح الحديث الثاني من كتابه الأربعين:

«المراد بمعرفة الله تعالى الاطّلاع على نعوته وصفاته الجلالية والجمالية بقدر الطاقة البشرية، وأما الاطّلاع على حقيقة الذات المقدَّسة فمما لا مطمع فيه للملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم، وكفى في ذلك قول سيد البشر ﷺ: «ما عرفناك حقَّ معرفتك»، وفي الحديث: «إنَّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملاء الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم».

فلا تلتفت إلى من يزعم أنه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدّسة بل أُحث التراب في فيه، فقد ضلَّ وغوى وكذّب وافترى فإن الأمر أرفع وأطهر من أن يتلوّث بخواطر البشر، وكلما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، وأقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق، وما أحسن ما قال، ما ترجمته:

كل ما تمتلكه لتصف به جلاله عز وجل هي غاية فهمك أنت وليست حقيقة ذاته جل وعلا

بل الصفات التي تثبتها له سبحانه إنما هي على حسب أوهامنا وقدر أفهامنا فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصرة وهو تعالى أرفع وأجلّ من جميع ما نصفه به.

وفي كلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إشارة إلى هذا المعنى حيث قال: كلما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانيتين فإن ذلك كمالها، وتتوهم أن عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به» انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه.

قال بعض المحقّقين ـ يعني به المولى الجلال الدواني ـ: هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التحقيق ومورد التدقيق، والسر في ذلك أن التكليف إنما يتوقف على معرفة الله بحسب الوسع والطاقة، وإنما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها وشاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم.

ولما كان الإنسان واجباً بغيره عالماً قادراً مريداً حيًّا متكلّماً سميعاً بصيراً كلّف بأن يعتقد تلك الصفات في حقه تعالى مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إلى الإنسان بأن يعتقد أنه تعالى واجب لذاته لا بغيره، عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات وهكذا في سائر الصفات، ولم يكلّف باعتقاد صفة له تعالى لا يوجد فيه مثالها ومناسبها، ولو كلّف به لما أمكنه تعقّله بالحقيقة، وهذا أحد معاني قوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، انتهى كلامه.

واعلم أن تلك المعرفة التي يمكن أن تصل إليها أفهام البشر لها مراتب متخالفة ودرج متفاوتة، قال المحقّق الطوسي طاب ثراه في بعض مصنّفاته: إن مراتبها مثل مراتب معرفة النار مثلاً فإن أدناها من سمع أن في الوجود شيئاً يعدم كل شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه، وأي شيء أُخذ منه لم ينقص منه شيء ويسمّى ذلك الموجود ناراً، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة.

وأعلى منها مرتبة مَن وصل إليه دخان النار وعلم أنه لا بدّ له من مؤثّر فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

وأعلى منها مرتبة مَن أحسَّ بحرارة النار بسبب مجاورتها وشاهد الموجودات بنورها وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى سبحانه معرفة المؤمنين الخلَّص الذين اطمأنت قلوبهم بالله وتيقّنوا أن الله نور السموات والأرض كما وصف به نفسه.

وأعلى منها مرتبة مَن احترق بالنار بكليّته وتلاشى فيها بجملته. ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى رزقنا الله الوصول إليها والوقوف عليها بمنّه وكرمه، انتهى كلامه أعلى الله مقامه»، هذا آخر ما أردنا من نقل ما أتى به العلاّمة الشيخ البهائي طاب ثراه في المقام.

ومعنى قوله (ره): «فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصرة» أن العقل ينظر إلى الحياة وعدمها وهما نقيضان فيرى أن الحياة أشرف من الموت فيعتقد باتّصافه سبحانه بها فيقول: إنه حيّ، وينظر إلى العلم ونقيضه الجهل فيعتقد باتّصافه تعالى بالأشرف منهما فيقول: إنه عالم وهكذا.

ومعنى كلام الدواني: «ولم يكلّف باعتقاد صفة له تعالى لم يوجد فيه مثالها ومناسبها» يعلم من كلامنا الآتي في أسماء الله المستأثرة إن شاء الله تعالى.

وبالجملة أن ما يفهم الناس في مقام خطابهم الله تعالى ونِدائهم إياه هو ما يجده أهل المعرفة ويسمّون ذلك الوجدان بالكشف والشهود.

قال العلامة الشيخ البهائي قدس سره في الكشكول (ص٤١٦ من طبع نجم الدولة): «العارف من أشهده الله تعالى صفاته وأسماءه وأفعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود، والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود بل عن يقين.

ومن ذاق هذه الحلاوة والتذَّ بتلك اللّذة وتنعّم بتلك النعمة فقد فاز فوزاً عظيماً، وهذا الوجدان الشهودي الحضوري الحاصل لأهله يدرك ولا يوصف وهو طور وراء طور العقل يتوصّل إليه بالمجاهدات الكشفيّة دون المناظرات العقلية.

ولا يقدر أهله أن يقرّره لغيره على النحو الذي أدركه، ولا يعدله لذَّة ولا ابتهاج، وانظر إلى قول وليِّ الله المتعال الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي بإسناده عن جميل بن دراج عنه عليه السلام قال:

«لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدُّوا أعينهم إلى ما متَّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله تعالى، وتلذَّذوا بها تلذُّذ من لم يزل في روضات

الجنان مع أولياء الله، إن معرفة الله أُنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم، قال: قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير، وتضيق عليهم الأرض برحبها فما يردّهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى مما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم» (باب ثواب العالم والمتعلم من المجلّد الأول من الوافي ص٤٢).

ثم إن التوغّل في عالم الطبيعة الذي هو عالم الكثرة والشتات صار حجاباً للمتوغّلين فيه ولو خلصوا منه وأقبلوا إلى ما هو الحق الأصيل وعرفوا معنى التوحيد والفناء فيه وصاروا موحّدين على النهج الذي قال عز من قائل: **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾** [الحديد: ٤] بلا تنزيه محض وتشبيه باطل لارتفع الخلاف والنزاع بينهم، ولما شاجروا أهل المعرفة في ما يجدونه ويرونه قائلين: ما كنا نعبد رباً لم نره.

كما أن مَن لم يقدر الجمع بين الجمع والتفرقة إذا سمع من الفائزين به ينكره كل الإنكار.

وإذا تفوّه فانٍ في التوحيد بقوله: «ليس في الدار غيره ديار»، أو «ليس الدار ومَن في الدار إلا هو»، أو «أن الله كل الأشياء» أو نحوها من العبارات، تقوّل عليه مَن لم يدرك فهم كلامه بعض الأقاويل ولم يعلم أن سببه إنما هو تراكم عروق سبل الجهل المركب الناشئة من التقليدات الراسخة المانعة له عن ذلك الإدراك.

بل كثيراً ما نرى أصاغر لا يبالون بما يقولون إذا سمعوا من متألهٍ أن الوجود واحد لا تعدّد فيه والوجود هو الله تعالى أسندوه إلى الكفر والإلحاد والزندقة ولم يعلموا أنَّ نفي الوجود الحقيقي عن الأشياء ليس قولاً بأن كل شيء هو الله وليس قولاً بالاتّحاد وقد نقل طود العلم والتّقى العارف المتألّه المولى ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي أعلى الله تعالى درجاته في كتابه القيّم المعمول في لقاء الله تعالى حكاية بقوله:

حكى أن حكيماً كان في إصبهان وكان من دأبه أنه إذا حضر وقت غذائه يرسل خادمه يشتري له ولِمَن كان عنده كائناً مَن كان غذاءً يأكل معه، واتفق في يوم أن جاءه واحد من طلاّب البلد لحاجة وقت الغذاء، فقال الحكيم لخادمه: اشتر لنا غذاءً نتغذّى وذهب الخادم واشترى لهما غذاءً وأحضره، قال الحكيم للفاضل: بسم الله، تعال، نتغذى، قال الشيخ: أنا لا أتغذى، قال: تغذّيت؟ قال: لا، قال: لم لا تتغذّى وأنت ما تغذّيت بعد؟! قال: أحتاط أن آكل من غذائكم، قال: ما وجه احتياطك؟ قال: سمعت أنك تقول بوحدة الوجود وهو كفر ولا يجوز لي أن آكل من طعامك معك لأنه ينجس من ملاقاتك، قال: ما فرضت أنت معنى وحدة الوجود وحكمت بكفر قائله؟ قال: من جهة أن القائل به قائل بأن الله كل الأشياء وجميع الموجودات هو الله، قال: أخطأت تعال تغذَّ لأني قائل بوحدة الوجود ولا أقول بأن جميع الأشياء هو الله لأن من جملة الأشياء جنابك وأنا لا أشك في كونك بدرجة الحمار أو أخس منها فأين القول بإلهيتك؟! فلا احتياط ولا إشكال تعالى تغذَّ» انتهى.

وقلت: قد رأى حكيم ناسكاً جاهلاً في يده سبحة يذكر الحكماء واحداً بعد واحد ويلعنهم فقال له: لماذا تلعنهم وما أوجب لعنهم؟ قال: لأنهم قائلون بوحدة واجب الوجود، فتبسّم الحكيم ضاحكاً من قوله فقال له: أنا أيضاً قائل بوحدة واجب الوجود فاشتد الناسك غضباً فقال: اللهمَّ العنه.

التوحيد ووحدة الوجود

واعلم أن البحث عن وحدة الوجود تارة يتوهم أن الوجود شخص واحد منحصر بفرد هو الواجب بالذات وليس لمفهوم الوجود مصداق آخر، وغيره من الموجودات كالسماء والأرض والنبات والحيوان والنفس والعقل خيالات ذلك الفرد أي ليس سوى ذلك الفرد شيء وهذه الموجودات ليست أشياء أخرى غيره كماء البحر وأمواجه حيث إن تلك الأمواج المختلفة في الكبر والصغر ليست إلا ماء البحر، إلا أن اختلاف الأمواج وكثرتها يوهم أنها موجودات بحيالها غير الماء فهذا التوهم مخالف لكثير من القواعد العقلية الحكميّة الرصينة المباني، لأنه يوجب نفي عليّة الحق ومعلولية الممكنات حقيقة وعدم افتقار الممكنات رأساً، بل يوجب نفيها أصلاً، وبالجملة أن مفاسدها كثيرة عقلاً وشرعاً ولم يتفوه به أحد من الحكماء المتألهين والعرفاء الشامخين ونسبته إليهم اختلاق كبير وإفك عظيم.

على أن الآثار المختلفة المتنوّعة المشهورة من أنواع الموجودات حسًّا وعياناً تردّ هذا الوهم وتبطله وتنادي بأعلى صوتها أنها مولود من فطانة بتراءِ.

قال صدر المتألهين في مبحث العلّة والمعلول من الأسفار (الفصل ٢٧ من المرحلة الرابعة في إثبات التكثّر في الحقائق الإمكانية ص١٩٠ ج١ من الرحلي وص٣١٨ ج٢ من الطبع الجديد):

إن أكثر الناظرين في كلام العرفاء الإلهيين حيث لم يصلوا إلى مقامهم ولم يحيطوا بكنه مرامهم ظنوا أنه يلزم من كلامهم في إثبات التوحيد الخاصي في حقيقة الوجود والموجود بما هو موجود وحدة شخصية أن هويات

الممكنات أمور اعتبارية محضة وحقائقها أوهام وخيالات لا تحصل لها إلا بحسب الاعتبار حتى أن هؤلاء الناظرين في كلامهم من غير تحصيل مرامهم صرّحوا بعدميّة الذوات الكريمة القدسية والأشخاص الشريفة الملكوتية كالعقل الأول وسائر الملائكة المقرّبين وذوات الأنبياء والأولياء والأجرام العظيمة المتعددة المختلفة بحركاتها المتعددة المختلفة جهةً وقدراً وآثارها المتفنّنة وبالجملة النظام المشاهد في هذا العالم المحسوس والعوالم التي فوق هذا العالم مع تخالف أشخاص كل منها نوعاً وتشخّصاً وهوية وعدداً والتّضاد الواقع بين كثير من الحقائق أيضاً.

ثم إن لكل منها آثاراً مخصوصة وأحكاماً خاصة ولا نعني بالحقيقة إلا ما يكون مبدأ أثر خارجي ولا نعني بالكثرة إلا ما يوجب تعدّد الأحكام والآثار فكيف يكون الممكن لا شيئاً في الخارج ولا موجوداً فيه.

وما يتراءى من ظواهر كلمات الصوفيّة أن الممكنات أمور اعتبارية أو انتزاعية عقلية ليس معناه ما يفهم منه الجمهور ممّن ليس له قدم راسخ في فقه المعارف وأراد أن يتفطّن بأغراضهم ومقاصدهم بمجرَّد مطالعة كتبهم كمن أراد أن يصير من جملة الشعراء بمجرّد تتبّع قوانين العروض من غير سليقة يحكم باستقامة الأوزان أو اختلالها عن نهج الوحدة الاعتدالية.

فإنك إن كنت ممّن له أهلية التفطّن بالحقائق العرفانية لأجل مناسبة ذاتية واستحقاق فطري يمكنك أن تتنبه مما أسلفناه من أن لكل ممكن من الممكنات يكون ذا جهتين: جهة يكون بها موجوداً واجباً لغيره من حيث هو موجود وواجب لغيره وهو بهذا الاعتبار يشارك جميع الموجودات في الوجود المطلق من غير تفاوت، وجهة أخرى بها يتعيّن هويتها الوجودية وهو اعتبار كونه في أي درجة من درجات الوجود قوة وضعفاً كمالاً ونقصاً فإن ممكنيّة الممكن إنما ينبعث من نزوله عن مرتبة الكمال الواجبي والقوة الغير المتناهية والقهر الأتم والجلال الأرفع وباعتبار كل درجة من درجات القصور عن الوجود المطلق الذي لا يشوبه قصور ولا جهة عدميّة ولا حيثية إمكانية يحصل للوجود خصائص عقلية وتعيّنات ذهنيّة هي المسمّاة بالمهيّات والأعيان الثابتة فكل

ممكن زوج تركيبي عند التحليل من جهة مطلق الوجود ومن جهة كونه في مرتبة معيَّنة من القصور، إلى آخر ما أفاد قدس سره.

وقال الحكيم السبزواري رضوان الله عليه في بيانه: المغالطة نشأت من خلط الماهيّة بالهوية واشتباه الماهيّة من حيث هي بالحقيقة، ولم يعلموا أن الوجود عندهم أصل فكيف يكون الهوية والحقيقة عندهم اعتباريًا، أم كيف يكون الجهة النورانيّة من كل شيء التي هي وجه الله وظهوره وقدرته ومشيّته المبينة للفاعل لا للمفعول اعتباريًا، تعالى ذيل جلاله من علوق غبار الاعتبار، فمتى قال العرفاء الأخيار أولوا الأيدي والأبصار: إن الملك والفلك والإنسان والحيوان وغيرها من المخلوقات اعتبارية، أرادوا شيئيات ماهياتها الغير المتأصّلة عند أهل البرهان وعند أهل الذوق والوجدان وأهل الاعتبار ذهب أوهامهم إلى ماهياتها الموجودة بما هي موجودة أو إلى وجوداتها حاشاهم عن ذلك بل هذا نظر عامي منزَّه ساحة عزّ الفضلاء عن ذلك.

نظير ذلك إذا قال: الإنسان مثلاً وجوده وعدمه على السواء أو مسلوب ضرورتي الوجود والعدم أراد بشيئيّة ماهية الإنسان ونحوه أنها كذلك وظنَّ العامي الجاهل أنه أراد الإنسان الموجود في حال الوجود أو بشرط الوجود ولم يعلم أنه في حال الوجود وبشرطه محفوف بالضرورتين وليست النسبتان متساويتين ولا جائزتين إذ سلب الشيء عن نفسه محال وثبوت الشيء لنفسه واجب، بل لو قيل: بأصالة الماهيّة فالماهيّة المنتسبة إلى حضرة الوجود أصلية عند هذا القائل لا الماهية من حيث هي فإنها اعتبارية عند الجميع، وقول الشيخ الشبستري: تعيّنها أمور اعتبارية، ينادي بما ذكرناه.

وبما حقّقناه علمت أن ما توهمه بعض من أن الوجود مع كونه عين الواجب وغير قابل للتجزيء والانقسام قد انبسط على هياكل الموجودات وظهر فيها فلا يخل منه شيء من الأشياء بل هو حقيقتها وعينها وإنما امتازت وتعيّنت بتقيّدات وتعيّنات وتشخّصات اعتبارية، ويمثل ذلك بالبحر وظهوره في صورة الأمواج المتكثرة مع أنه ليس هناك إلا حقيقة البحر فقط، ليس على ما ينبغي بل وهم، اللهم إلا أن يقال: إن مراده من قوله: ويمثل ذلك بالبحر وظهوره

في صورة الأمواج المتكثرة ليس محمولاً على ظاهره بل المراد شدَّة افتقار ما سواه تعالى به فإن الكل قائم به كالأمواج بالبحر مثلاً، أو نحو هذا المعنى.

وتارة يعقل من الوحدة الدايرة في ألسنتهم الوحدة السنخيّة لا الوحدة الشخصية المذكورة بمعنى أن أعلى مرتبة الوجود كالأول تعالى متحد مع أدنى مرتبته وأضعف الموجودات كالجسم والهيولى في سنخ أصل حقيقة الوجود والتفاوت والتمايز إنما في الشدة والضعف والنقص والكمال وعظم درجة الوجود وصغرها وتفاوت شؤون الوجود من الحياة والعلم والقدرة ونحوها، وبالجملة أن ما به الامتياز عين ما به الاتّفاق وأهل الحكمة يسمون هذا المعنى بالوحدة السنخيّة، والاشتراك المعنوي في الوجود، وهذا رأي الفهلويين من الحكماء نظمه المتألّه السبزواري قدّس سره في غرر الفرائد بقوله:

الفهلويون الوجود عندهم حقيقة ذات تشكّك تعم
مراتباً غنى وفقراً تختلف كالنور حيثما تقوي وضعف

وهذا الرأي لا ينافي أمراً من الأمور العقلية، ولا المباني الشرعية، بل ذهب أكثر المحققين إلى أن صدور المعلول من العلّة إنما يصح على هذا المبنى، لأن الموجودات لو كانت حقائق متباتنة كما أسند إلى طائفة يستلزم مفاسد كثيرة منها عدم كون ما سوى الله تعالى آياته وعلاماته لأن السنخيّة بين العلّة والمعلول حكم عقلي لا يشوبه ريب، وذلك لأن الشيء لا يصدر عنه ما يضادّه ولا يثمر ما يباينه وإلا يلزم أن لا يكون وجود العلة حدًا تاماً لوجود معلولها، ولا وجود المعلول حدًا ناقصاً لوجود علته، كما يلزم أن لا يكون حينئذ العلم بالعلة مستلزماً للعلم بالمعلول، والكل كما ترى.

وأما هؤلاء الطائفة فظاهر الكلام الحكيم المتألّه السبزواري قدّس سرَّه الشريف في الغرر هم المشاؤون كلهم حيث قال: والوجود عند طائفة مشائيّة من الحكماء حقائق تباينت، والدائر في ألسنة كثير ممن عاصرناهم كذلك أيضاً؛ ولكن صحيح كلام ابن تركه في كتاب التمهيد في شرح رسالة قواعد التوحيد: أن مذهب المشائي في هذه المسألة التشكيك؛ حيث قال في شرح

كلام المصنَّف تركة: «ثم إن الوجود الحاصل للمهيات المختلفة والطبائع المتخالفة ـ الخ»:

أقول: هذا دليل على بطلان القول بالتشكيك الذي هو مبنى قواعد المشائين في هذه المسألة وعمدة عقائدهم». انتهى ما أردنا من نقل كلامه (ص٤٨ طبع إيران ١٣٥١).

ولا يخفى عليك أن كلام ابن تركه يباثن كلام السبزواري، ولا يبعد أن يقال: إن مراده من طائفة مشائية بعضهم والله سبحانه أعلم.

وثالثة يعقل من الوحدة الوحدة الشخصية غير الوجه الأول الباطل بل بمعنى أن الوجود واحد كثير، أي إنه مع كونه واحداً بالشخص كثير وتلك الكثرة والتعدد واختلاف الأنواع والآثار لا تنافي وحدته لأن الوحدة من غاية سعتها وإحاطتها بما سواها تشمل على جميع الكثرات الواقعية، والوجود حقيقة واحدة ولها وحدة لا تقابل الكثرة وهي الوحدة الذاتية، وكثرة ظهوراتها وصورها لا تقدح في وحدة ذاتها.

ويعبّرون عن هذا المعنى بالوحدة في عين الكثرة، والكثرة في عين الوحدة، ويمثّلونه بالنفس الناطقة الإنسانية لأن كل إنسان شخص واحد بالضرورة، قال عز من قائل: **﴿وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾** [الأحزاب: ٤] والنفس الناطقة مع أنها واحدة بالشخص هي عين جميع قواها الظاهرة والباطنة وتلك القوى مع كونها كثيرة هي عين النفس الناطقة الواحدة بالشخص.

فالنفس بالحقيقة هي العاقلة المتوهمة المتخيّلة الحساسة المحرِّكة المتحرِّكة وغيرها وهي الأصل المحفوظ في القوى لا قوام لها إلا بها.

قال المتألّه السبزواري في بعض تعاليقه على كتابه غرر الفرائد: والحق أن وجود النفس ذا مراتب وأنها الأصل المحفوظ فيها وأن كل فعل لأية قوّة تنسب في الحقيقة فعلها بلا مجاز وجداني، وهذا ذوق أرباب العرفان.

قال الشيخ العربي في فتوحاته:

النفس الناطقة هي العاقلة والمفكّرة والمتخيّلة والحافظة والمصوّرة والمغذّية والمنمّية والجاذبة والدافعة والهاضمة والماسكة والسامعة والباصرة والطاعمة والمستنشقة واللامسة والمدركة لهذه الأمور، فاختلاف هذه القوى واختلاف الأسماء ليست بشيء زائد عليها، بل هي عين كل صورة هذا كلامه.

فأنوار المراتب المسمّاة بالقوى كلها فانية في نور النفس الناطقة، والتنزيه الذي يراعيه الحكماء إنما هو لئلا يقف الأذهان في مراتب جسمها وجسمانيتها كأذهان الطباعية والعوام وهو يرجع إلى تنزيه مرتبة منها هي أعلى مراتبها وهي المسماة بذاتها، والبواقي إشراقاتها المتفاضلة، انتهى كلامه ـ قده.

قال صدر المتألهين قدس سره في الأسفار: إن النفس الإنسانية ليس لها مقام معلوم في الهوية ولا لها درجة معينة في الوجود كسائر الموجودات الطبيعية والنفسية والعقلية التي كل له مقام معلوم، بل النفس الإنسانية ذات مقامات ودرجات متفاوتة، ولها نشئات سابقة ولاحقة، ولها في كل مقام عالم وصورة أخرى.

وبيان هذا القول المنيع الشريف يطلب من كتابه في المبدأ والمعاد حيث قال فيه (ص٢٨٢): الوحدة الشخصية في كل شيء ليست على وتيرة واحدة ودرجة واحدة فإن الوحدة الشخصية في الجواهر المجرّدة حكمها غير الوحدة الشخصية في الجواهر المادية، فإن في الجسم الواحد الشخصي يستحيل أن يجتمع أوصاف متضادّة وأغراض متقابلة من السواد والبياض والسعادة والشقاوة واللذّة والألم والعلوّ والسفل والدنيا والآخرة وذلك لضيق حوصلة ذاته وقصر ردائه الوجودي عن الجمع بين الأمور المتخالفة بخلاف وجود الجوهر النطقي من الإنسان فإنها مع وحدتها الشخصية جامعة للتجسّم والتجرّد وحاصرة للسعادة والشقاوة فإنها قد يكون في وقت واحد في أعلى علّيّين وذلك عند تصوّر أمر قدسي، وقد يكون في أسفل سافلين وذلك عند تصوّر أمر شهويّ، وقد يكون ملكاً مقرّباً باعتبار وشيطاناً مريداً باعتبار.

وذلك لأن إدرك كل شيء هو بأن ينال حقيقة ذلك الشيء المدرك بما هو مدرك بل بالاتّحاد معه كما رآه طائفة من العرفاء وأكثر المشائين والمحققون وصرَّح به الشيخ أبو نصر في مواضع من كتبه، والشيخ اعترف به في كتابه المسمّى بالمبدأ والمعاد وفي موضع من الشفاء حيث قال في الفصل السادس من المقالة التاسعة من الإلهيات بهذه العبارة:

ثم كذلك حتى يستوفى في النفس هيئة الوجود كله فينقلب عالماً معقولاً مقبولاً موازياً للعالم الموجود كله مشاهداً لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحق ومتّحدة به ومنتقشة بمثاله وهيئاته ومنخرطة في سلكه وسائرة من جوهره.

ومما يؤيد ذلك أن المدرك بجمع الإدراكات والفاعل بجميع الأفاعيل الواقعة من الإنسان هو نفسه الناطقة النازلة إلى مرتبة الحواس والآلات والأعضاء والصاعدة إلى مرتبة العقل المستفاد والعقل الفعال في آن واحد وذلك لسعة وجودها وبسط جوهريّتها وانتشار نورها في الأكناف والأطرف بل يتطور ذاتها بالشؤون والأطوار وتجلّيها على الأعضاء والأرواح، وتحلّيها بحلية الأجسام والأشباح مع كونها من سنخ الأنوار ومعدن الأسرار.

ومن هذا الأصل تبين وتحقّق ما ادعيناه من كون شيء واحد، تارة محتاجاً في وجوده إلى عوارض مادية ولواحق جسمية وذلك لضعف وجوده ونقص تجوهره، وتارة ينفرد بذاته ويتخلص بوجوده وذلك لاستكمال ذاته وتقوي أنيّته وما اشتهر بين متقدّمي المشائين أن شيئاً واحداً لا يكون له إلا أحد نحوي الوجود الرابطي والاستقلالي غير مبرهن عليه بل الحق خلافه، نعم لو أريد منه أن الوجود الواحد من جهة واحدة لا يكون ناعتيًا وغير ناعتيّ لكان صحيحاً. انتهى كلامه قدس سره.

ويعبّرون عن الوحدة الجمعية التي في الحق سبحانه بالوحدة الحقّة الحقيقية والتي في النفس بالوحدة الحقّة الظلّية، ومن كان عين بصيرته مفتوحة يعرف من هذا سر قوله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، قال علم الهدى

الشريف المرتضى رضوان الله عليه في المجلس التاسع عشر من أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد (٢٧٤ ج١): روي أن بعض أزواج النبي ﷺ سألته متى يعرف الإنسان ربه؟ فقال: إذا عرف نفسه، وفي ص٣٢٩ ج٢ منه روي عن النبي ﷺ أنه قال: أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه، قال العارف الرومي، ما ترجمته:

العابد لله عز وجل هو ظل الله على الأرض، هو منعدم في الدنيا ولكنه يحيا بتعبُّده لله عز وجل
وكيف ما يتحرك العابد يرسم لنا طريق الأولياء ليدُلَّ إلى أنوار معرفة الله جل وعلا

وتسمى هذه الكثرة بالكثرة النوريّة، وهي كلما كانت أوفر كانت في الوحدة أوغر، وقد اختار الخواجه لسان الغيب هذا المعنى في قوله، ما ترجمته:

ما يجمعنا هي خصلة الشَّعر الهائجة فلذا يجب أن نهيّجها أكثر فأكثر

وفي قوله الآخر، ما ترجمته:

فأنا طلبت نيل المقصود خلافاً لأني طلبتُ من خصلة الشَّعر الهائجة أن تجمعنا

وقد اختار صدر المتألّهين المولى صدرا قدس سره الشريف هذا الوجه، وشنّع على القسم الأول وأبطله في مبحث العلّة والمعلول من الأسفار، كما دريت وهذا وجه وجيه شريف دقيق يوافقه البرهان وذوق العرفان والوجدان ولا ينافي أمراً.

ورابعةً يعقل معنى الوحدة على وجه أدقّ وألطف من الوجوه المتقدمة وأعلى وأرفع منها، والإخلاص في العبادة كما ندب إليه العقل والنقل مقدمة لحصول هذا المقام المنيع الأسنى، وسلّم للارتقاء إلى هذا المنظر الرفيع الأعلى، ومن راقب الإخلاص والحضور يستعد للوصول إلى هذه الرتبة العظمى والجنّة العليا وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين فيرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد سلك إليه العرفاء الشامخون.

تقريره: أنه لا شبهة بوجود الكثرة والتعدُّد واختلاف الأنواع والأصناف والأفراد، والله جل جلاله في إيجاد الممكنات المختلفة وتكوينها، قد ظهر وتجلى بالحياة والقدرة، والعلم والإرادة تجلّى المتكلّم الفصيح البليغ في كلامه، وظهور عاكس كإنسان مثلاً في مرائي متعددة مختلفة جنساً ولوناً وشكلاً وجهةً وعظماً وصغراً وغيرها من الصفا والكدرة ولا ريب أن ما يرى من عكوسه المختلفة في أنحاء كثيرة في تلك المرائي ظهوره فيها لا وجوده فيها، ولا حلوله فيها، ولا اتّحاده معها، وكذا الكلام في تجلّي المتكلّم في كلامه.

فإذا نظر شخص آخر في تلك المرائي والمظاهر يرى عكوس الأول المتعددة المختلفة فيها، كما يرى تلك المرائي أيضاً، فمن وقع نظره على العكوس المتفاوتة بالمحالّ والمجالي من غير أن يجعلها عنوانات للعاكس فهو يزعمها أشياء مستقلّة بذواتها، وقد غاب عن العاكس كما هو مذهب عامة الناس.

ومن جعل نظره في العاكس فقط بحيث إن كله مشغول بكله، ومن فرط العشق به لم يلتفت إلى غيره من الصور والمرائي، ولم يشاهد في تلك الكثرات والتعيّنات إلا إياه، أعني أصل الصور وصاحبها، فهذا وحدة الوجود في النظر وفناء في الصورة.

فالموحّد الحقيقي إذا أسقط الإضافات ولم يشاهد أعيان الممكنات والحقائق الوجودية الإمكانية والجهات الكثيرة الخلقية، ولم ينظر إليها ولم ير فيها إلا تجلّيه تعالى وظهور قدرته وصفاته الكمالية حيث لم تشغله تلك الخليقة عن الوجود الواجبي ولم تنسه عن لقاء الله عز وجل، ولم تذهله عن وجهه في كل شيء فهو فانٍ في الله مرزوق عندهَ ولا يرى إلا إياه ولا يرزق التوحيد بهذا المعنى إلا الأوحدي من أهل الله، الفائز بنعمة لقائه العظمى.

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا

والموحّد في ذلك المشهد يرى ما سواه من الأرض والسماء والغيب

والشهادة مرتبطاً بعضها ببعض ولا يرى فصلاً بينها كارتباط أجزاء بدن واحد بعضها ببعض، وبهذا المعنى قد جعل وحدة العالم دليلاً على توحيده تبارك وتعالى، وإن كان كل شيء بحياله يدل على وحدانيته تعالى كما قرّر في محلّه.

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

وروى الصدّوق في باب الرد على الثنوية والزنادقة من التوحيد ص٢٥٤ بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما الدليل على أن الله واحد؟ قال: اتصال التدبير وتمام الصنع، كما قال عز وجل: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** [الأنبياء: ٢٢].

وإذا نال الموحّد هذا المقام العظيم يجد سلطان الله تعالى على ما سواه ويرى أنه **﴿ما من دابّة إلا هو آخذ بناصيتها﴾** [هود: ٥٦]، ويقول: **﴿لـمَن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾** [غافر: ١٦] ويصل إلى سر قول إمام الموحّدين أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة».

قال القصيري في شرح الفصّ الإدريسي من فصوص الحكم: «انظر أيها السالك طريق الحق ماذا ترى من الوحدة والكثرة جمعاً وفرادى؛ فإن كنت ترى الوحدة فقط فأنت مع الحق وحده لارتفاع الإثنينيّة، وإن كنت ترى الكثرة فقط فأنت مع الخلق وحده، وإن كنت ترى الوحدة في الكثرة محتجبة، والكثرة في الوحدة مستهلكة، فقد جمعت بين الكمالين وفزت بمقام الحُسنيين». انتهى كلامه.

وبما قررنا علم سر قول كاشف الحقائق الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «والله لقد تجلّى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون» رواه عنه عليه السلام العارف الربّاني مولانا عبدالرزاق القاساني في تأويلاته كما في آخر كشكول العلاّمة البهائي ص٦٢٥ من طبع نجم الدولة، وكذا الشيخ الأكبر محي الدين في مقدمة تفسيره (ص٤ ج١)، كذا رواه عنه عليه السلام أبو طالب محمد بن علي الحارثي المكي في قوة القلوب

(ص١٠٠، ج١ من طبع مصر ١٣٨١هـ) وقد روى قريباً منه ثقة الإسلام الكليني في روضة الكافي (٢٧١ من الطبع الرحلي) عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة خطب بها في ذي قار حيث قال عليه السلام: «فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه»، وأتى بها الفيض المقدس في الوافي ص٢٢ م١٤، وقد نقلناها في شرح المختار ٢٢٩ من الخطب، فراجع إلى ص١٩ من ج١٥.

وبعد اللّتيا والتي نقول: ولله المثل الأعلى، والتوحيد على الوجه الرابع أدق من التمثيل المذكور أعني مثل صور عاكس في المرايا، ونعم ما قاله الشيخ العارف محي الدين العربي في الباب الثالث والستين من كتاب الفتوحات المكية كما في الأسفار: «إذا أدرك الإنسان صورته في المرآة يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه وأنه ما أدرك صورته بوجه لما يراه في غاية الصغر لصغر جرم المرآة أو الكبر لعظمه ولا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته ويعلم أنه ليس في المرآة صورته ولا هي بينه وبين المرآة فليس بصادق ولا كاذب في قوله رأى صورته وما رأى صورته فما تلك الصورة المرئية، وأين محلها وما شأنها فهي منتفية ثابتة موجودة معدومة معلومة مجهولة أظهر سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب المثال ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحار في درك حقيقة هذا وهو من العالم ولم يحصل علماً بحقيقته فهو بخالقها إذن أعجز وأجهل وأشد حيرة». انتهى.

قال الغزالي في الإحياء في بيان الوجه الأخير من التوحيد: «هو أن لا يرى في الموجود إلا واحداً وهو مشاهدة الصدّيقين ويسمّيه الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً لا يرى نفسه أيضاً بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه.

فإن قلت: كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحداً وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة؟

فاعلم أن هذا غاية علوم المكاشفات وأن الموجود الحقيقي واحد، وأن الكثرة فيه في حق من يفرق نظره، والموحّد لا يفرق نظر رؤية السماء والأرض وسائر الموجودات بل يرى الكل في حكم الشيء الواحد، وأسرار علوم

المكاشفات لا يسطر في كتاب، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار واحداً كما أن الإنسان كثير إذا نظر إلى روحه وجسده وسائر أعضائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد، وكم من شخص يشاهد إنساناً ولا يخطر بباله كثرة أجزائه وأعضائه وتفصيل روحه وجسده، والفرق بينهما وهو في حالة الاستغراق والاستهتار مستغرق واحد ليس فيه تفرّق وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقة.

وكذلك كل ما في الوجود له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار آخر سواه كثير بعضه أشد كثرة من بعض.

ومثال الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكن ينبّه في الجملة على كشف الكثير ويستفيد معاً من هذا الكلام بترك الإنكار والجحود بمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب منه، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوّة كان لك نصيب منه، وإن لم يكن بيّناً وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق سبحانه تارة يدوم وتارة يطرأ كالبرق الخاطف وهو أكثر والدوام نادر عزيز جداً».

وقال في موضع آخر من الكتاب: «وأما مَن قويت بصيرته ولم يضعف نيّته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله ولا يعرف غيره، ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها، ومَن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره كمَن نظر في شعر إنسان أو خطّه أو تصنيفه، فرأى فيه الشاعر والمصنّف ورأى آثاره من حيث إنه آثاره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنّف وكل

العالم تصنيف الله فمن نظر إليها من حيث إنها فعل الله وأحبها من حيث إنها فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله، ولا عارفاً إلا بالله، ولا محبًّا إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبدالله فهذا الذي يقال إنه فني في التوحيد، وإنه فني في نفسه وإليه الإشارة بقول من قال: «كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن»، فهذه أموره معلومة عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها، وقصور قدر العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يغنيهم. انتهى كلامه.

قلت: قد رأيت ليلة الاثنين الثالثة والعشرين من ربيع الأول من شهور السنة السابعة والثمانين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة بعض مشايخي متّع الله المسلمين بطول بقائه في منامي، قد ناولني رسالة في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى، ثم قال لي: «التوحيد أن تنسى غير الله» ولما قصصت عليه الرؤيا قال:

نـشـانـي داده انـدت ازخـرابـات   كه الـتـوحـيـد إسـقـاط الإضـافـات

وخامسة يعني بالوحدة ما يفوه به من يبوح قائلاً: «مَن عرَّف سر القدر فقد ألحد».

فبما قدَّمنا علمت أن المراد من وحدة الوجود ليس ما توهمه أوهام مَن لم يصل إلى مغزى مرامهم وسرّ كلامهم، وأن لقاء الله تعالى الحاصل لأهله ليس كما يتصوَّره الجهّال الذين لم يجمعوا بين الجمع والتفرقة، وقد جاء حديث عن معدن الحقائق الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله تعالى عليه: «إن الجمع بلا تفرقة زندقة، والتفرقة بدون الجمع تعطيل، والجمع بينهما توحيد».

وقال المولى الحكيم العارف المتأله ميرزا محمد رضاِ القمشي قدس سره في تعاليقه على تمهيد القواعد لابن تركه في شرح قواعد التوحيد لتركه في بيان الحديث:

«ذهبت طائفة من المتصوّفة إلى أن الوجود حقيقة واحدة لا تكثّر فيها ولا

تشأن لها وما يرى من الممكنات المكثّرة أمور موهومة باطلة الذوات كثاني ما يراه الأحول، وهذا زندقة وجحود ونفي له تعالى لأن نفي الممكنات يستلزم نفي فاعليته تعالى، ولما كان فاعليته تعالى نفس ذاته فنفي فاعليته يستلزم نفي ذاته وإليه أشار عليه السلام بقول: «إن الجمع بلا تفرقة زندقة».

وذهبت طائفة أخرى منهم إلى أن الممكنات موجودة مكثرة ولا جاعل ولا فاعل لها خارجاً عنها، والوجود المطلق متَّحد بها بل هو عينها وهذا إبطال لها وتعطيل لها في وجودها فإنه حينئذ لا معطى لوجودها لأن المفروض أن لا واجب خارجاً عنها والشيء لا يعطى نفسها ولا يوصف الممكن بالوجوب الذاتي، وإليه أشار عليه السلام بقوله: «والتفرقة بدون الجمع تعطيل»، ويظهر من ذلك البيان أن كلا القولين يشتمل على التناقض لأن الجمع بلا تفرقة يستلزم نفي الجمع، والتفرقة بدون الجمع يستلزم نفي التفرقة» انتهى كلامه رفع مقامه.

وإن شئت تقرير ذلك المطلب الأسنى على أسلوب آخر أبين وأوضح مما تقدم، فاعلم أن ما يخبر عنه ويصدر عنه أثر هو الوجود لا غير وسواه ليس محض وعدم صرف وباطل بالذات وما ليس بشيء ليس بشيء حتى يكون ذا أثر، وإذا تأملت في الأشياء الممكنة تجد أن ظهورها بالوجود، ولولاه لم يكن لها ظهور فضلاً عن أن يكون لها أثر فإذا تحقق الوجود في موطن يتبعه أثر لائق بذلك الموطن.

وتجد أن لها اعتبارين: أحدهما وجودها والآخر حدودها فتصير وجودات مقيَّدة محدودة، فبالقيد والحد تسمى بأسماء لفظية، فيقال: هذه أرض، وتلك شمس وذلك قمر وفلك وملك وهكذا، وتلك الحدود يعبّر عنها في الكتب الحكمية بل في الجوامع الروائية بالماهية، ولما لم يكن للأول تعالى حد لم تعلم له ماهية، وفي دعاء اليماني لإمام الموحّدين علي أمير المؤمنين عليه السلام رواه السيد الأجلّ ابن طاووس عليه رحمة الملك القدوس، مسنداً في مهج الدعوات (ص١٠٥): **«بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت الملك الحق الذي لا إله إلا أنت - إلى أن قال بعد سطور: لم تُعَن في قدرتك، ولم تشارك في إلهيتك، ولم تعلم لك مائية فتكون للأشياء المختلفة مجانساً»** الخ.

وفي باب نفي الجسم والصورة والتشبيه من ثاني البحار نقلاً عن روضة الواعظين: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال له رجل: أين المعبود؟ فقال عليه السلام: «لا يقال له أين لأنه أيّن الأينية، ولا يقال له كيف لأنه كيّف الكيفية، ولا يقال له ما هو لأنه خلق الماهية» الحديث.

والماهية والمائية بمعنى واحد وهي مشتقة عن ما هو، كما هو صريح رواية أمير المؤمنين عليه السلام، وكما صرَّح به المحقّق الخواجه نصير الدين الطوسي قدس سره في أول الفصل الثاني من المقصد الأول من التجريد، والمتألّه السبزواري في أول الفريدة الخامسة من غرر الفرائد، وتعبير الماهية بالمائية في كتب القدماء بل في الروايات كثيرة جداً، وقد كان فيلسوف العرب الكندي يعبّرها في رسائله بالمائية، كما ترى في رسائله الفلسفية المطبوعة في مصر، وقد روى الشيخ الجليل الصدوق في باب تفسير **﴿قل هو الله أحد﴾** من كتاب التوحيد بإسناده عن وهب بن وهب القرشي قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «قدم وفد من أهل فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثم سألوه عن الصمد، فقال: تفسيره فيه، الصمد خمسة أحرف: فالألف دليل على أنّيته، وهو قوله عز وجل **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾** [آل عمران: ١٨] وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله ـ إلى أن قال: لأن تفسير الإله هو الذي أله الخلق عن درك مائيته وكيفيته بحسّ أو وهم ـ إلى أن قال: فمتى تفكّر العبد في مائية الباري وكيفيته أله فيه وتحيّر ـ الخ».

والإنيّة مشتقة من الإن، كما قال الإمام عليه السلام من حسن صنيعته: وهو قوله عز وجل: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾** والتعبير عن تحقّق الشيء ووجوده بالإنّية وعن حدوده بالماهية أو المائية غير عزيز في ألسنة أهل الله.

والماهيات بأسرها ظاهرة بالوجود فهي ليست نوري الذات بل بذاتها ليس محض وظلمة وإنما أيسها ونورها بغيرها وهو الوجود، ولما لم يكن لله جل جلاله حد نهاية فلا يتصور فيه ماهية تعالى عن أن يكون مجانساً لمخلوقاته وفي الحديث: «ربنا نوري الذات، حي الذات، قادر الذات، عالم الذات، من

قال أنه قادر بقدرة، عالم بعلم، حي بحياة، فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وليس على ولايتنا من شيء».

وفي التوحيد عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعته يقول: إن الله نور لا ظلمة فيه، وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه».

وفيه بإسناده عن هشام بن سالم قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: أتنعت الله: قلت: نعم، قال عليه السلام: هات، فقلت: هو السميع البصير، قال عليه السلام: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون، قلت: وكيف ننعته؟ فقال عليه السلام: هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحق لا باطل فيه، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد».

ولما كان النور ظاهراً بذاته ومظهراً لغيره كما ترى الأنوار المحسوسة من نور القمر والكواكب وضياء الشمس وغيرها، ويطلق عليها النور من هذه الحيثيّة كما أن النور يطلق على العلم من حيث ظهوره للعالم، كذلك فقد جاء في الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله: «العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب أوليائه» كما في جامع الأسرار للسيد المتأله حيدر الآملي قدس سره (ص٥١٣) وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله: «ليس العلم بكثرة التعلّم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه»، كما في قرَّة العيون للفيض المقدس رضوان الله عليه (ص٢٢٠) وفي الحديث الآتي عن عنوان البصري عن الإمام الصادق عليه السلام أطلق على شمس الوجود المضيئة لغيرها من ماهيات القوالب والهياكل الإمكانية بل مخرجها من الليس إلى الأيس اسم النور أيضاً بل هو النور حقيقة ويستنير سائر الأنوار الحسية به لما دريت من أن ظهور كل شيء به، فالوجود ظاهر بذاته ومظهر لغيره من أشباح الماهيات وهياكلها، كما يرشدك إليه قوله عز وجل: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ ـ الآية.

وقد روى الشيخ الجليل الصدوق في أول باب تفسير قول الله عز وجل: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ إلى آخر الآية بإسناده عن العباس بن هلال قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾

فقال: هادٍ لأهل السماء وهادٍ لأهل الأرض، قال: وفي رواية البرقي: هدى مَن في السموات وهدى مَن في الأرض.

وذلك لأن كل مَن هدي إلى حقيقة فإنما هدي بنور الوجود ولولاه لكانت الظلمات غالبة فالنور أي الوجود هو الهادي فليس إلا، صدق وليّ الله الأعظم في قوله حيث فسّر النور بالهادي.

فإن قلت: قد جاءت في عدة آيات وكثير من أدعية وروايات أنه تعالى مضلٌّ أيضاً كقوله تعالى: **﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾** [الأنعام: ٤٠]، وقوله تعالى: **﴿فإنَّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾** [فاطر: ٨] ونحوهما فكيف التوفيق؟

قلت: الإضلال: إخراج الغير عن الطريق من دواع نفسانية وأغراض شخصية من إعمال حقد وحسد ونحوهما حتى يحصل التشفّي للمضلّ بإضلاله الغير، ولا يخفى عليك أن إسناد الإضلال إليه تعالى قبيح عقلاً لعدم تجويز العقل إسناده إليه فليس الإضلال بمعناه الحقيقي مسنداً إليه تعالى من غير التوسّل بوسط.

فنقول: لا كلام أنه تعالى مضلٌّ، من يشأ الله يضلله، ولكن تحت هذا سرٌّ ويتضح لك بإيراد مثالٍ وهو أن نقول: لو كان لك أولاد ولم تأمرهم بعمل ودستور لا يصح أن يقال: إن فلاناً أطاع أباه، وفلاناً عصاه، وأما إذا جعلت لهم دستوراً يأمرهم بالخير قبله بعض وأبى بعض آخر، فحينئذ يقال للأول: المطيع، وللثاني: العاصي، ثم لما كان ذلك الدستور حاوياً لما فيه صلاحهم ورشادهم، فأنت هادٍ للبعض الأول، وحيث إن الثاني ظلم نفسه وأعرض عن الدستور، فحينئذ يقال له: هو ضال وأنت مضلٌّ له، بمعنى أنه لو لم يكن جعل هذا الدستور لم يتميز الهداية من الضلالة، ولم يصح قبل تعيين الطريق، أن يقال: فلان اهتدى وفلان ضلّ، فبالحقيقة أن الثاني إنما ضل عن دستورك وطريقك فأنت مضل له بهذا المعنى الدقيق اللطيف.

فإذا فهمت المثال فهمت جواب السؤال وذلك لأنه لولا إرسال الرسل وإنزال الكتب لما يتميز الخبيث عن الطيب ولم يصح أن يقال: فلان هدى إلى

الصراط المستقيم فأفلح، وفلان ضلّ فعصى وغوى، وحيث إن الدستور هو القرآن وهو الصراط والمعيار والميزان وإن الله تعالى أنزله هدايةً للعباد فمن استكبر وأبى فقد ضل وظلم نفسه، وبهذا المعنى يقال: إن الله أضله أو هو مضلٌ ونحوهما، ألا ترى أن الإضلال يضاف إلى الظالمين والخاسرين والكافرين ونحوهما، نحو قوله تعالى: **﴿ويضلّ الله الظالمين﴾** [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى: **﴿ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾** [الأعراف: ١٧٨] وقوله: **﴿كذلك يضلُ الله الكافرين﴾** [غافر: ٧٤] وأمثالها، فتبصّر وخذه واغتنم.

قال القيصري في مقدمته على شرح الفصوص: «والوجود خير محض وكل ما هو خير فهو منه وبه وقوامه بذاته لذاته، إذ لا يحتاج في تحقّقه إلى أمر خارج عن ذاته فهو القيّوم الثابت بذاته والمُثبِت لغيره.

وليس له ابتداء وإلا لكان محتاجاً إلى علّة موجودة لإمكانه حينئذ، ولا له انتهاء وإلا لكان معروضاً للعدم فيوصف بضدّه أو الانقلاب فهو أزلي وأبدي فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لرجوع كل ما ظهر في الشهادة أو بطن في الغيب إليه، وهو بكل شيء عليم لإحاطته بالأشياء بذاته وحصول العلم لكل عالم إنما هو بواسطته فهو أولى بذلك بل هو الذي يلزمه جميع الكمالات وبه تقوم كل من الصفات كالحياة والعلم والإرادة والقدة والسمع والبصر وغير ذلك فهو الحي العليم المريد القادر السميع البصير بذاته لا بواسطة شيء آخر إذ به يلحق الأشياء كلها كمالاتها بل هو الذي يظهر بتجلّيه وتحوّله في صورة مختلفة بصور تلك الكمالات فيصير تابعاً للذوات لأنها أيضاً وجودات خاصة مستهلكة في مرتبة أحديته ظاهرة في واحديته.

وهو حقيقة واحدة لا تكثّر فيها وكثرة ظهوراتها وصورها لا يقدح في وحدة ذاتها وتعيّنها، وامتيازها بذاتها لا يتعيّن زائد عليها إذ ليس في الوجود ما يغايره ليشترك معه في شيء ويتميز عنه بشيء وذلك لا ينافي ظهورها في مراتبها المتعيّنة بل هو أصل جميع التعيّنات الصفاتية والأسمائية والمظاهرُ العلمية والعينية.

ولها وحدة لا يقابل الكثرة هي أصل الوحدة المقابلة لها وهي عين ذاتها الأحدية، والوحدة الأسمائية المقابلة للكثرة التي هي ظل تلك الوحدة الأصلية الذاتية أيضاً عينها من وجه.

وهو نور محض إذ به يدرك الأشياء كلها ولأنه ظاهر بذاته ومظهر لغيره ومنوّر سماوات الغيوب والأرواح وأرض الأجسام لأنها به توجد، وتتحقق ومنبع جميع الأنوار الروحانية والجسمانية، وحقيقته غير معلومة لما سواه، وليست عبارة عن الكون ولا عن الحصول والتحقّق والثبوت، إن أُريد بها المصدر لأن كلاً منها عرض حينئذ ضرورة، وإن أريد بها ما يراد بلفظ الوجود فلا نزاع كما أراد أهل الله بالكون وجود العالم، وحينئذ لا يكون شيء منها جوهراً ولا عرضاً ولا معلوماً بحسب حقيقته، وإن كان معلوماً بحسب أنّيته، والتعريف اللفظي لا بد أن يكون بالأشهر ليفيد العلم والوجود أشهر من الكون وغيره ضرورة.

والوجود العام المنبسط على الأعيان في العلم ظل من أظلاله لتقيّده بعمومه وكذلك الوجود الذهني والوجود الخارجي ظلاّن لذلك الظل لتضاعف التقييد وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً﴾** [الفرقان: ٤٥] فهو الواجب الوجود الحق سبحانه وتعالى الثابت بذاته المثبت لغيره الموصوف بالأسماء الإلهية المنعوت بالنعوت الربانيّة المدعوّ بلسان الأنبياء والأولياء الهادي خلقه إلى ذاته الداعي مظاهره بأنبيائه إلى عين جمعه ومرتبة ألوهيته أخبر بلسانهم أنه بهويته مع كل شيء، وبحقيقته مع كل حي؛ ونبّه أيضاً أنه عين الأشياء، بقول: **﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾** [الحديد: ٤] فكونه عين الأشياء بظهوره في ملابس أسمائه وصفاته في عالمي العلم والعين وكونه غيرها باختفائه في ذاته واستعلائه بصفاته عمّا يوجب النقص والشين وتنزّهه عن الحصر والتعيين وتقدّسه عن سمات الحدوث والتكوين.

وإيجاده للأشياء اختفاؤه فيها مع إظهاره إيّاها، وإعدامه لها في القيامة الكبرى ظهوره بوحدته وقهره إياها بإزالة تعيّناتها وسماتها وجعلها متلاشية،

كما قال: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار**﴾ [غافر: ١٦] و﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص: ٨٨] وفي الصغرى تحوّله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، أو من صورة إلى صورة في عالم واحد، فالمهيّات صور كمالاته ومظاهر أسمائه وصفاته ظهرت أولاً في العلم ثم في العين بحسب حبّه إظهار آياته ورفع أعلامه وراياته فتكثر بحسب الصور وهو على وحدته الحقيقية وكمالاته السرمديّة وهو يدرك حقائق الأشياء بما يدرك حقيقة ذاته لا بأمر آخر كالعقل الأول وغيره لأن تلك الحقائق أيضاً عين ذاته حقيقة وإن كانت غيرها تعيّناً.

ولا يدركه غيره كما قال: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾ ﴿**وما قدروا الله حقّ قدره**﴾ ﴿**ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد**﴾ نبّه عبّاده تعطّفاً منه ورحمة لئلا يُضيّعوا أعمارهم فيما لا يمكن حصوله.

وإذا علمت أن الوجود هو الحق علمت سرّ قوله: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ ﴿**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾ ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ ﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ وقوله: ﴿**الله نور السموات والأرض والله بكل شيء محيط**﴾ وكنت سمعه وبصره، وسر قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو دليتم بحبل لهبط على الله» وأمثال ذلك من الأسرار المنبّهة للتوحيد بلسان الإشارة». انتهى ما أردنا من نقل كلام القيصري.

ولما كان حكم السنخيّة بين العلّة والمعلول مما لا يتطرّق إليه شك وشبهة فكل واحد مما سواه تعالى آية وعلامة له وآية الشيء تحاكي عنه من وجه ولا تباينه من جميع الوجوه ونسبتها إليه كظلٍّ إلى ذيه، ولولا حكم السنخيّة لما يصحّ كون الموجودات الأفاقية والأنفسية أعني ما سواه آيات له وتأمّل في ألفاظ الآية وأخواتها المذكورة في القرآن الكريم ترشدك إلى الصواب.

قال تعالى: ﴿**إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماءٍ**

فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: **﴿إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾** إلى آخر الآيات الخمس [آل عمران: ..].

قال في المجمع: وقد اشتهرت الرواية عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآيات قال: ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّل ما فيها.

وقد روى ثقة الإسلام الكليني قدس سره في كتاب فضل القرآن من أصول الكافي (ص٤٤٦ ج٢ من المُعرَّب) بإسناده عن حفص بن غياث، عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها».

وهذه اللفظة أعني الآية وأخواتها تنادي بأعلى صوتها أن الوجود أصل وأن ما سواه تعالى علامة وفيء له تعالى، ولولا الوجود لما كان عن الأشياء عين وأثر، ولما كان الوجود نوراً فما صدر عنه تعالى نور أيضاً لحكم السنخيّة بين العلة ومعلولها.

وفي المجلد الأول من البحار نقلاً عن كتاب علل الشرائع في سؤالات الشامي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: النور.

وفي التاسع عشر من البحار ص١٨٣ في دعاء عن مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أسألك يا مَن احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه». ففيه دلالة على أنه لا حجاب مضروب بينه وبين خلقه إلا شدَّة ظهوره وقصور بصائرنا فضلاً عن أبصارنا عن اكتناه نوره كما تقدم آنفاً بيانه.

جمالك في كلّ الحقائق سائر   وليس له إلاّ جمالك ساتر

وما ترجمته:

حجاب وجهك هو نور وجهك في كل حال وتجلّي ظهورك يخفيك عن أنظار العالم

وهذا الدعاء معروف بدعاء احتجاب، نقله الشيخ العلاّمة البهائي قدس سره في الكشكول أيضاً (ص٣٠٣ من طبع نجم الدولة) ورواه السيد الأجلّ ابن طاووس - ره - عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مهج الدعوات (ص٧٥).

وتأمل في حرز مولانا وإمامنا محمد بن علي الجواد عليه السلام، رواه السيد الأجلّ ابن طاووس رفع الله تعالى درجاته في مهج الدعوات (ص٣٦) وفي ذلك الحرز: «وأسألك يا نور النهار ويا نور الليل ويا نور السماء والأرض ونور النور ونوراً يضيء به كل نور - إلى أن قال عليه السلام، وملأ كل شيء نورك».

وفي قوله عليه السلام: «ملأ» دقيقة وهي أن ذلك النور لم يترك مكاناً لغيره حتى يوجد شيء مؤلّفٌ منه ومن غيره بل كل شيء ليس إلا ذلك النور فقط وحدودها أعدام ذهنية اعتبارية.

لقد شعَّت أنواره في كل أجزاء العالم حتى صار كل شيء عين نوره

وفي دعاء إدريس عليه السلام نقله السيد الجليل المذكور قدس سره في المهج أيضاً (ص٣٠٥): «يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات نوره».

وفي دعاء إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه (المهج ص٣٠٦): «يا الله يا نور النور قد استضاء بنورك أهل سماواتك وأرضك».

وفي دعاء لنبينا صلى الله عليه وآله: «فيا نور النور ويا نور كل نور» - الخ، رواه السيد قدس سره في الإقبال (ص١٢٦).

وفي المهج أيضاً (ص٨٨) ومن ذلك دعاء آخر علمه جبرائيل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله أيضاً: «بسم الله الرحمن الرحيم يا نور السماوات والأرض يا جمال السماوات والأرض» - الخ.

وفي دعاء السحر لإمامنا محمد بن علي الباقر عليه السلام: «اللهم إني

أسألك من نورك بأنوره وكل نورك نيّر اللهم إني أسألك بنورك كله»، ونحوها من الأذكار والأدعية المأثورة عن حجج الله تعالى كثير جداً وإنما نقلنا طائفة منها ضياءً ونوراً للمستضيئين، وليعلم أن المعارف كلها عند خزنة علم الله جل وعلا.

وذلك النور الذي ملأ كل شيء هو وجهه تعالى **﴿كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه﴾ ﴿ولله المشرق والمغرب أينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾**.

قال العارف المتألّه السيد حيدر الآملي قدس سره في جامع الأسرار (ص٢١٠): حكي أن جماعة من الرهبانيين وردوا المدينة في عهد خلافة أبي بكر ودخلوا عليه وسألوه عن النبي وكتابه، فقال لهم أبو بكر: نعم جاء نبينا ومعه كتاب، فقالوا له: وهل في كتابه وجه الله؟ قال: نعم، قالوا: وما تفسيره؟ قال أبو بكر: هذا السؤال منهيّ عنه في ديننا، وما فسّره نبينا بشيء، فضحك الرهبانيون كلهم وقالوا: والله ما كان نبيكم إلا كذاباً وما كان كتابكم إلا زوراً وبهتاناً.

وخرجوا من عنده فعرف بذلك سلمان فدعاهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم: إن هذا خليفته الحقيقي وابن عمه فاسألوه، فسألوا عن السؤال بعينه أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهم: ما نقول جوابكم بالقول بل بالفعل فأمر بإحضار شيء من الفحم وبإشعاله فلما اشتعل وصار كله ناراً، سأل عليه السلام الرهبان وقال: يا رهبان! ما وجه النار؟ فقال الرهبان هذا كله وجه النار، فقال عليه السلام: فهذا الوجود كله وجه الله؛ وقرأ **﴿فأينما تولّوا فثمَّ وجه الله﴾ ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾** فأسلم الرهبانيون كلهم بذلك على يده وصاروا موحّدين عارفين.

وقال ـ رضوان الله عليه ـ: وحكي أيضاً أن حيتان البحر اجتمعوا يوماً عند كبيرهم وقالوا له: يا فلان نحن عزمنا على التوجّه إلى البحر الذي نحن به موجودون وبدونه معدومون فلا بد من أن تعلّمنا جهته وتعرّفنا طريقه حتى

نتوجه إليه ونصل إلى حضرته لأنا بقينا مدة متطاولة نسمع به وما نعرفه ولا نعرف مكانه ولا جهته.

فقال لهم كبيرهم: يا أصحابي وإخواني ليس هذا الكلام يليق بكم ولا بأمثالكم لأن البحر أعظم من أن يصل إليه أحد وهذا ليس بشغلكم ولا هو من مقامكم، فاسكتوا عنه ولا تتكلموا بعد ذلك بمثل هذا الكلام بل يكفيكم أنكم تعتقدون أنكم موجودون بوجوده ومعدومون بدونه.

فقالوا له: هذا الكلام ما ينفعنا ولا هذا المنع يدفعنا، لا بدَّ لنا من التوجّه إليه ولا بدَّ لك من إرشادنا إلى معرفته ودلالتنا إلى وجوده.

فلما عرف الكبير صورة الحال وأن المنع لا يفيد شرع لهم في البيان وقال: يا إخواني البحر الذي أنتم تطلبونه وتريدون التوجّه إليه هو معكم وأنتم معه، وهو محيط بكم وأنتم محاطون به، والمحيط لا ينفكّ عن المحاط به، والبحر عبارة عن الذي أنتم فيه فأينما توجّهتم في الجهات فهو البحر وليس غير البحر عندكم شيء فالبحر معكم وأنتم مع البحر، وأنتم في البحر والبحر فيكم، وهو ليس بغائب عنكم، ولا أنتم بغائبين عنه، وهو أقرب إليكم من أنفسكم.

فحين سمعوا هذا الكلام منه قاموا كلهم إليه وقصدوه حتى يقتلوه، فقال لهم: لِمَ تقتلوني ولأي ذنب أستحق هذا؟ فقالوا له: لأنك قلت البحر الذي نحن نطلبه هو الذي نحن فيه والذي نحن فيه هو الماء فقط، وأين الماء من البحر فما أردت بهذا إلا إضلالنا عن طريقه وحيدانا عنه.

فقال كبيرهم: والله ما كان كذلك وما قلت إلا الحق والواقع في نفس الأمر لأن البحر والماء شيء واحد في الحقيقة وليس بينهما مغايرة أصلاً، فالماء اسم للبحر بحسب الحقيقة والوجود، والبحر اسم له بحسب الكمالات والخصوصيات والانبساط والانتشار على المظاهر كلها.

فعرف ذلك بعضهم وصار عارفاً بالبحر وسكت عنه، وأنكر البعض الآخر وكفر بذلك ورجع عنه مطروداً محجوباً.

والذي حكيت عن لسان الحيتان لو حكيته عن لسان الأمواج لكان أيضاً صحيحاً وكلاهما جائز، وإذا تحقق هذا فكذلك شأن الخلق في طلب الحق فإنهم إذا اجتمعوا عند نبي أو إمام أو عارف وسألوا عن الحق، فقال هذا النبي أو الإمام أو العارف: إن الحق الذي تسألون عنه وتطلبونه هو معكم وأنتم معه، وهو محيط بكم وأنتم محاطون به، والمحيط لا ينفكُّ عن المحاط، وهو معكم أينما كنتم، وهو أقرب إليكم من حبل وريدكم **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاَّ هو رابعهم ولا خمسة إلاَّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاَّ هو معهم أينما كانوا﴾** **﴿وهو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلِّ شيء عليم﴾** **﴿أينما تولّوا فثمَّ وجه الله﴾** **﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾** وهو ليس بغائب عنكم ولا أنتم بغائبين عنه، أينما توجّهتم فثمَّ ذاته ووجهه ووجوده وهو مع كل شيء وهو عين كل شيء، بل هو كل شيء وكل شيء به قائم وبدونه زائل، وليس لغيره وجود أصلاً، لا ذهناً ولا خارجاً، وهو الأول بذاته، والآخر بكمالاته، الظاهر بصفاته، والباطن بوجوده، وإنه للكلّ مكان، في كل حين وأوان، ومع كل إنس وجان.

فلما سمع الخلق ذلك قاموا إليه كلهم وقصدوه ليقتلوه، فقال لهم لِمَ تقتلوني ولأي ذنب أستحق هذا؟.

فقالوا له: لأنك قلت الحق معكم وأنتم معه، وليس في الوجود إلا هو، وليس لغيره وجود لا ذهناً ولا خارجاً، ونحن نعرف بالحقيقة أن هناك موجودات غيره من العقل والنفس والأفلاك والأجرام والملك والجنّ وغير ذلك، فما أنت إلا كافر ملحد زنديق، وما أردت بذلك إلا إغواءنا وإضلالنا عن الحق وطريقه.

فقال لهم: لا والله ما قلتُ لكم غير الحق ولا غير الواقع، وما أردت بذلك إضلالكم وإغواءكم، بل قلتُ ما قال هو بنفسه، وأخبركم إياه على لسان نبيه، وإلا فأي شيء معنى قوله: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾** الآية، ومعنى قوله: **﴿الله نور السموات والأرض﴾** الآية، ومعنى قوله: **﴿هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن﴾** ولأي شيء قال: **﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سمّيتموها**

أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلاَّ لله أمر أن لا تعبدوا إلاَّ إيّاه، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾؟، ولِمَ قال: **﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**؟ لأنه يعرف أن كل واحد ما يعرف ذلك ولا يقدر عليه، كما قال أيضاً: **﴿إنَّ في ذلك لآيات لأُولي النهى﴾ ﴿وإن في ذلك لآيات لأولي الألباب﴾ ﴿وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾**.

فعرف ذلك بعضهم وقبل منه وصار عارفاً موحّداً، وأنكر ذلك بعضهم، ورجع عنه محجوباً مطروداً ملعوناً نعوذ بالله منه ومن أمثاله، هذا آخر الأمثلة المضروبة في هذا الباب، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب **﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاَّ العالمون﴾**، انتهى ما أردنا من نقل كلامه رحمة الله عليه في المقام.

ولما لم يكن للمهيّات أصالة، ولم يكن لها أثر وظهور إلا بنور الوجود، ولم يكن الوجود إلا ذاته سبحانه وشؤنه، ودريت أنه ملأ كل شيء وفتق ظلمات الماهيات نوره، فأول ما يرى ويدرك ويعلم في دار الوجود هو الوجود ليس إلا، فهو ظاهر بذاته لا يحتاج إلى معرّف ودليل يدلُّ عليه لأن ذلك الدليل إما وجود أو غيره والوجود وجود، والغير عدم والعدم لا شيء محض وما ليس بشيء رأساً كيف يدل على ما هو شيء وموجود، نعم إن غير الوجود من ماهيات أشباح الموجودات الممكنة بأسرها يعرف به، وقد سئل نبينا ﷺ بماذا عرفت ربّك؟ قال ﷺ: «بالله عرفت الأشياء»، وقال مولانا علي أمير المؤمنين عليه السلام: «اعرفوا الله بالله».

وروى ثقة الإسلام الكليني بإسناده عن عبد الأعلى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «اسم الله غيره وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله - إلى أن قال عليه السلام: من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك لأن حجابه ومثاله وصورته غيره وإنما هو واحدٌ موحّدٌ فكيف يوحّده مَن زعم أنه عرفه بغيره، وإنما عرف الله مَن عرفه بالله،

فمَن لم يعرفه به فليس يعرفه إنما يعرف غيره ليس بين الخالق والمخلوق شيء» ـ الحديث (حديث ٤ من باب حدوث الأسماء من أصول الكافي ج١ ص٨٨ من المُعرَّب).

وفي التوحيد (ص٤٩٤) عن منصور بن حازم قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إني ناظرت قوماً فقلت لهم: إن الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون بالله، فقال عليه السلام: رحمك الله».

وفي دعاء عرفة لسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام: «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك»، كما تقدم آنفاً، ولا يخفى لطف كلامه عليه السلام «في وجوده» فإن لهذا الكلام شأناً من الشأن.

ومما يرشدك أيضاً إلى أن ما سواه تعالى شؤنه ومجالي ذاته ومظاهر أسمائه وصفاته كلمة فاطر، وفطر وأخواتهما في القرآن الكريم نحو قوله عزَّ من قائل: **﴿أفي الله شكّ فاطر السموات والأرض﴾** [إبراهيم: ١١] وقوله تعالى: **﴿إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً﴾** [الأنعام: ٨٠] وكذا في عدَّة آيات أُخر، لأن أصل الفطر الشق، يقال: تفطّر الشجر بالورق والورد إذا أظهرهما، كما في غرائب القرآن للنيسابوري.

قال الراغب: «أصل الفطر: الشق طولاً، يقال: فطر فلانٌ كذا فطراً وأفطر هو فطوراً وانفطر انفطاراً، وفطرت الشاة حلبتُها بإصبعين، وفطرتُ العجين إذا عجنته فخبزته من وقته، ومنه الفطرة، وفطر الله الخلق وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال، فقوله: **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾** فإشارة منه تعالى إلى ما فطر، أي أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى، وفطره الله هي ما ركز فيه من قوّته على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله: **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله﴾** وقال: **﴿الحمد لله فاطر السَّموات والأرض﴾** وقال: **﴿الذي فطرهنَّ ـ والذي فطرنا﴾** أي أبدعنا وأوجدنا، يصح أن يكون الانفطار في قوله: «السماء منفطر به» إشارة إلى قبول ما أبدعها وأفاضه علينا منه» انتهى.

وكلمة فطر ومشتقاتها تنبئك أن ما سواه تعالى تفطّر منه وكل واحد منهم على حياله مشتق منه ومنشقٌ عنه وصورة وآية له، ومن دعاء سيد الساجدين عليه السلام في الصلاة على آدم عليه السلام، كما في ملحقات الصحيفة: «اللهمّ صلّ على آدم وآدم بديع فطرتك» ـ الخ.

ولما اتّصف كل واحد منهم بالوجود، اتصف على قدر قابليته وسعته وضيقه بالأسماء والصفات اللازمة للوجود أيضاً، وفي أي موطن ظهر منك الوجود ظهر معه أتباعه من الأسماء والصفات اللائقة به إلا الأسماء المستأثرة كالوجوب الذاتي فإنها صفايا الملك الواحد القهار، أسماء مخزونة عنده تعالى لا يمكن لغيره أن يتّصف به ولا يسع غيره أن يطلبها منه ويتعب نفسه لإدراكها.

وفي حرز مولانا محمد بن علي الجواد عليه السلام: «وبأسمائك المقدسات المكرّمات المخزونات في علم الغيب عندك»، رواه السيد الأجلّ ابن طاووس قدس سره في مهج الدعوات (ص٣٦).

وفي أعمال ليلة عيد الفطر: «أسألك بكل اسم في مخزون الغيب عندك»، رواه السيد المذكور قدس سره في الإقبال (٢٧٣).

وفي دعاء مولانا وإمامنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أتى به الشيخ الكفعمي نوّر الله مضجعه في البلد الأمين (ص٥٢١): «وبالاسم الذي حجبت عن خلقك فلم يخرج منك إلا إليك».

وفي آخر دعاء مروي عن مولانا الحسين بن علي عليهما السلام الدعاء المعروف بدعاء الشاب المأخوذ بذنبه، رواه السيد الجليل ابن طاووس قدس سره في مهج الدعوات (ص١٥١): «أسألك بكل اسم سمّيت به نفسك، أو أنزلته في شيء من كتبك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» الخ.

وفي الدعاء الخمسين من الصحيفة السجادية: «فأسألك اللهمّ بالمخزون من أسمائك».

وفي رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للعالم الربّاني صدر الدين علي بن أحمد نظام الدين الحسيني المدعو بالسيد علي خان قدس

سره (٥٦٥): روى عن النبي ﷺ قال: «إنَّ لله تعالى أربعة آلاف اسم: ألف لا يعلمها إلا الله، وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة، وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة والنبيّون، وأما الألف الرابع فالمؤمنون يعلمونه، فثلاثمائة في التوراة، وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور، ومائة في القرآن، تسعة وتسعون ظاهرة وواحد منها مكتوم من أحصاها دخل الجنة».

وروى ثقة الإسلام الكليني نوّر الله مضجعه في الحديث الأول من باب حدوث الأسماء من أصول الكافي (ص٨٧ ج١ من المُعرَّب) بإسناده عن إبراهيم بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسّد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كل متوهّم مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون» ـ الحديث.

ورواه رئيس المحدّثين الشيخ الصّدوق رضوان الله عليه أيضاً في باب أسماء الله تعالى، والفرق بين معانيها وبين معاني أسماء المخلوقين من كتاب التوحيد ص١٨٣ من طبع إيران ١٣٢١هـ.

وروى الكليني في الحديث الأول من باب ما أعطى الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم من أصول الكافي (ص١٧٩ ج١ من المُعرَّب) بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم».

وفي الحديث الثاني منه: «وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أُعطى محمد ﷺ اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد».

وفي الثالث منه: «وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب».

وفي الحديث السادس عشر من باب الدعاء للكرب والهمّ والحزن والخوف من كتاب الدعاء من الكافي (ص٤٠٨ ج٢ من المُعرَّب) عن أبي عبدالله عليه السلام: «اللهمّ إني أسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت في علم الغيب عندك» ـ الحديث.

والأخبار والأدعية في ذلك كثيرة جداً، وللحكيم المتألّه المولى الصالح المازندراني السروي قُدِّس سرّه في شرح الأبواب المذكورة من الكافي، وكذا لأستاذنا العلاّمة ميرزا أبي الحسن الشعراني متّع الله علماء المسلمين بطول بقائه معارف حقّة إلهيّة في بيان تلك الأسرار الصادرة عن خزنة علم الله تعالى فعليك بطلبها في مظانّها.

وبالجملة إن الوجود إذا ظهر أينما كان لا ينفكّ عنه توابعه النوريّة وصفاته العليا بحكم السنخيّة المستفاد من الفطر أيضاً، وإنما التفاوت بحسب قُرب الأشياء من مبدئها وبُعدها عنها طولاً فكلما كان أقرب كان سعة وجوده أكثر وآثاره الوجودية أشدّ وأوفر فتنتهي كلها إلى مَن وجب وجوده، ولا ينقطع جوده طرفة عين، وليس ما سواه إلا فيضه القائم به وهو قيامه، فإذاً جميع الصفات الكمالية تنتهي إليه أيضاً ولا يتصوّر فوقه وجود ولا كمال، قال عزَّ من قائل: ﴿**أولم يروا أنَّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة**﴾ وقال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم**﴾ وقال جلَّ وعلا: ﴿**كلّ يوم هو في شأن**﴾ وقال جلّت عظمته: ﴿**يا أيّها النّاس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ**﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿**قل كلّ يعمل على شاكلته**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنَّ الله يمسك السَّموات والأرض أن تزولا**﴾ وقال تعالى: ﴿**والله بكلّ شيء محيط**﴾ وقال تعالى: ﴿**إن كلّ من في السموات والأرض إلاّ آتى الرَّحمن عبداً**﴾ وقال تعالى: ﴿**وعنت الوجوه للحيّ القيّوم**﴾.

ومما يتفرّع على هذه الدقيقة أنه ما من موجود إلا وله ملكوت ناطق

بالحق بلسان يليق به، قال الله تعالى: **﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** [الإسراء: ٤٥] وقال تعالى: **﴿والنّجم والشّجر يسجدان﴾** [الرَّحمن: ٧].

وقال تبارك وتعالى: **﴿قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء﴾** [فصّلت، حم السجدة: ٢٢].

وقال تعالى: **﴿فلمّا أتيها نُودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشّجرة أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين﴾** [قصص: ٣١].

وقال تعالى: **﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها النّاس عُلّمنا منطق الطير وأُوتينا من كلّ شيء﴾** [النمل: ١٧].

وقال تعالى: **﴿وحُشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطّير فهم يُوزعون حتى إذا أتوا على واد النّمل قالت نملة يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسّم ضاحكاً من قولها﴾** الخ [النمل: ١٩].

وقال تعالى: **﴿وتفقّد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد﴾** إلى قوله: **﴿فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأٍ بنبأ يقين﴾** إلى آخر الآيات [النمل: ٢٢].

وقال تعالى في سورة يس: **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾**، وغيرها من الآيات القرآنية.

وأما الأخبار في تكلّم الحيوانات بل الجمادات لحجج الله تعالى وأوليائه فكثيرة جداً.

قال العلاّمة البهائي قدس سره في أوائل المجلّد الثاني من الكشكول: «العالم بأجزائه حيّ ناطق **﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾**، لكن نطق البعض يسمع ويفهم ككلام الاثنين المتّفقين في اللغة إذا سمع كل منهما كلام الآخر وفهمه، ونطق البعض يسمع ولا يفهم كالاثنين المختلفي اللغة ومنه سماعنا أصوات الحيوانات وسماع الحيوانات أصواتنا،

ومنه ما لا يسمع ولا يفهم كغير ذلك، وهذا بالنسبة إلى المحجوبين، وأما غيرهم فيسمعون كلام كل شيء».

وقال في آخر الكشكول (ص ٦٢٥ من طبع نجم الدولة): روى العارف الربّاني المولى عبدالرزّاق القاساني في تأويلاته: «أنَّ الصادق جعفر بن محمد عليه السلام خرّ مغشيًّا عليه في الصلاة فسُئل عن ذلك فقال: ما زلت أُردّد الآية حتى سمعتها من المتكلّم بها»، ثم قال: نقل الفاضل الميبدي في شرح الديوان عن الشيخ السهروردي أنه قال بعد نقل هذه الحكاية عن الصادق عليه السلام: أن لسان الإمام في ذلك الوقت كان كشجرة موسى عند قول: ﴿**إنّي أنا الله**﴾ وهو مذكور في الإحياء في تلاوة القرآن. انتهى.

قال الشيخ العارف محي الدين في أوائل الفص الهودي: «وكل ما سوى الحق فهو دابة، لأنه ذو روح وما ثمة من يدبّ بنفسه وإنما يدبّ بغيره فهو يدبّ بحكم التبعيّة للذي هو على الصراط المستقيم فإنه لا يكون صراطاً إلا بالمشي عليه».

إذا دان لك الخلق فقد دان لك الحق — وإن دان لك الحق فقد لا يتبع الخلق
فحقّق قولنا فيه فقولي كلّه حقّ — فما في الكون موجود تراه ما له نطق
وما خلق تراه العين إلاّ عينه حقّ — ولكن مودع فيه لهذا صوره حقّ

وقال القيصري في بيان قوله: «فما في الكون موجود تراه ماله نطق: أي ليس في الوجود موجود تراه وتشاهده إلاّ وله روح مجرّد ناطق بلسان يليق به، وقال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ وهذا اللسان ليس لسان الحال كما يزعم المحجوبون، قال الشيخ رضي الله عنه في آخر الباب الثاني عشر من الفتوحات: وقد ورد «أن المؤذّن يشهد له مدى صوته من رطب أو يابس»، والشرايع والنبوات من هذا القبيل مشحونة ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد رأينا الأحجار رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان، وإنما اختفى نطق بعض الموجودات لعدم الاعتدال الموجب لظهور

ذلك الفعل فلا يسمعه كل أحد فبقي نطقه باطناً والمحجوب يزعم أنه لا نطق له والكامل لكونه مرفوع الحجاب لشاهد روحانية كل شيء، ويدرك نطق كل حي باطناً وظاهراً والحمد لله أولاً وآخراً».

وأفاد العارف المولى عبدالرزاق القاساني في المقام بقوله: «إذا كان الحق هو المتجلّي في كل موجود فلا موجود إلا هو ناطق بالحق لأنه لا يتجلى في مظهر إلا في صورة اسم من أسمائه، وكل اسم موصوف بجميع الأسماء لأنه لا يتجزى لكن المظاهر متفاوتة في الاعتدال والتسوية، فإذا كانت التسوية في غاية الاعتدال تجلّي بجميع الأسماء، وإذا لم يكن ولم يخرج عن هذا الاعتدال الإنساني ظهر النطق وبطن سائر الأسماء والكمالات وإذا انحطّ عن طور الاعتدال الإنساني بقي النطق في الباطن في الجميع حتى الجماد، فإن التي لم يظهر عليه من الأسماء الإلهية والصفات كانت باطنة فيه لعدم قابلية المحلّ لظهوره فلا موجود إلا وله نطق ظاهراً أو باطناً، فمَن كوشف ببواطن الوجود سمع كلام الكل حتى الحجر والمدر» انتهى.

وقال القيصري في الفصل الرابع من مقدماته على شرح الفصوص: «ولا تظن أن مبدأ النطق الذي هو النفس الناطقة ليس للحيوان لينضم معه فيصير الحيوان به إنساناً مع أنه غير صالح للفصلية لكونه موجوداً مستقلاً في الخارج بل هذا المبدأ مع كل شيء حتى الجماد أيضاً فإن لكل شيء نصيباً من عالم الملكوت والجبروت وقد جاء ما يؤيّد ذلك من معدن الرسالة المشاهد للأشياء بحقائقها صلوات الله عليه مثل تكلم الحيوانات والجمادات معه، وقال تعالى: **﴿وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾** وظهور النطق لكلٍّ واحد بحسب العادة والسنّة الإلهية موقوف على اعتدال المزاج الإنساني، وأما للكُمّل فلا، لكونهم مطّلعين على بواطن الأشياء مدركين لكلامها، وما قال المتأخرون بأن المراد بالنطق هو إدراك الكليات لا التكلّم مع كونه مخالفاً لوضع اللغة لا يفيدهم لأنه موقوف على أن الناطقة المجردة للإنسان فقط، ولا دليل لهم على ذلك، ولا شعور لهم على أن الحيوانات، ليس لهم إدراك كلي والجهل بالشيء لا ينافي وجوده، وإمعان النظر فيما يصدر منها من العجائب

يوجب أن يكون لها إدراكات كلية، وأيضاً لا يمكن إدراك الجزئي بدون كلّيه إذ الجزئي هو الكلي مع التشخص» والله الهادي.

وقال الحكيم المتأله الملاّ صدرا قدس سره في شرح الحديث الثالث من باب النسبة من كتاب التوحيد من أصول الكافي: عن عاصم بن حميد قال: «قال سُئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال: إنَّ الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى **﴿قل هو الله أحد﴾** والآيات من سورة الحديد ـ إلى قوله: **﴿وهو عليم بذات الصدور﴾** فمن رام وراء ذلك فقد هلك».

ثم اعلم أن كل واحدة من هذه الآيات الستة المشار إليها في هذا الحديث متضمنة لباب عظيم من علم التوحيد والإلهية، محتوية على أمر حكيم من الأحكام الصمدية والربوبية، لو أمهل الزمان وساعد الدهر الخوّان لعارف ربّاني وحكيم إلهي أخذ علمه من مشكاة النبوّة المحمديّة «على صادعها وآله أفضل الصلاة والتحية» واقتبس حكمته عن أحاديث أصحاب العصمة والطهارة والتزكية سلام الله عليهم لكان من حقّه وحقّهما أن يكتب في تفسير كل منها ما يثخن به مجلداً كبيراً بل مجلدات كثيرة، ولكن سنذكر في كل آية منها ما هو كالشاهد لما ادعيناه وكالأنموذج لما شاهدناه فنقول:

أما الآية الأولى ففي الأخبار عن تسبيح كل ما في السماوات وما في الأرض من الموجودات حتى الجماد والنبات والأجساد والمواد والأرض الموات وجثث الأموات لله تعالى، ومعرفة هذا التسبيح الفطري والعرفان الكشفي الوجودي من غوامض العلوم ودقائق الأسرار التي عجزت عن إدراكها أذهان جمهور العلماء وأكثر الحكماء فضلاً عن غيرهم وليس عندهم في هذا الباب إلا مجرد التقليد، إيماناً بالغيب أو حمل التسبيح على ما فيها من الأدلة الدالة على وحدانية الله وتنزيهه (تنزّهه ـ خ ل) عن صفات النقص من التجسّم والتغيّر والتكثّر.

وقال بعضهم: إن كلمة «ما» ههنا بمعنى من؛ وقيل: معناه كل ما يتأتّى منه التسبيح، هذا تمام كلام الأعلام في هذا المقام، ولا يخفى عدم ملاءمة كل

من الوجهين الأخيرين، بل كل ما قيل من التأويل والتخصيص لكثير من الآيات القرآنية والأخبار النبوية الدالّة على تسبيح المسمى بالجماد والنبات من الشجر والحجر والصخر والمدر فضلاً عن المسمى بالحيوان والطير والبشر.

منها قوله تعالى: **﴿ألم تر أنَّ الله يسبّح له من في السَّموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾**.

ومنها قوله: **﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمال سجّداً لله وهم داخرون﴾** وكذا نظائرها من الآيات الدالّة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة.

وحكاية تسبيح الحصى في كفّ النبي ﷺ وسماعه وإسماعه مشهور، وفي ألسنة الرواة مذكورة، وما روي أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا مدر إلا ويقول: السلام عليك يا رسول الله»، وأمثاله كثيرة في الروايات دالّة على أن هذا التسبيح والسجود والتسليم واقع على وجه التحقيق.

حتى أن كثيراً من المنتسبين إلى الكشف والعرفان، زعموا أن النبات بل الجماد فضلاً عن الحيوان له نفس ناطقة كالإنسان، وذلك أمر باطل والبراهين ناهضة على خلافه من لزوم التعطيل والمنع عما فطر الله طبيعة الشيء عليه ودوام القصر على أفراد النوع والإبقاء له على القوة والإمكان للشيء من غير أن يخرج إلى الفعلية والوجدان إلى غير ذلك من المفاسد الشنيعة المصادمة للبرهان والحكمة.

بل هذا تسبيح فطري وسجود ذاتي وعبادة فطرية نشأت عن تجلٍّ إلهي وانبساط نور وجودي على كافة الخلائق على تفاوت درجاتها وتفاضل مقاماتها في نيل الوجود ودرك الشهود ومع هذا التفاوت والتفاضل في القرب والبعد والشرف والخسّة فأفراد العالم كله كأجزاء شخص واحد تنال من روح الحياة وروح المعرفة ما ناله الكل دفعة واحدة فأنطقها الله الذي أنطق كل شيء فأحبّته وخضعته وسجدت له بسجود الكل وسبّحت له بتسبيحات هي تسبيح الكل **﴿كلّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾**.

والذي يمنع عن هذه العبادة الفطرية الأفكار الوهمية والتصرفات النفسانية لأكثر الإنس الموجبة للخروج عن الفطرة الأصلية واستحقاقية العذاب كما في قوله تعالى: **﴿وكثير حقَّ عليه العذاب﴾**.

وبالجملة تحقيق هذا التسبيح الفطري وإثبات هذه العبادة الذاتية مما يختص به الكاملون في الكشف والعرفان الراسخون في العلم والإيقان، وأما سماع اللفظ أو إسماعه كما هو المروي عن النبي ﷺ وصحبه فكذلك من باب المعجزة الواقعة نفسه القدسية على إنشاء الأصوات والأشكال على موازنة المعاني والأحوال» انتهى كلامه طيّب الله رمسه في المقام.

وقلت: الظاهر من كلامه: حتى أن كثيراً من المنتسبين - الخ - يوهم التناقض بينه وبين كلام القيصري المذكور آنفاً حيث قال: «لأنه موقوف على أن الناطقة المجردة للإنسان فقط، ولا دليل لهم على ذلك» ولكن بعد التأمل الدقيق في كلامهما يظهر عدم التناقض بينهما وكلاهما يشيران إلى معنى واحد، وبيان عدم التنافي بينهما يعلم بما قدّمنا من كلام المولى عبدالرزاق القاساني فإنك إذا أمعنت النظر فيه تدري أن المولى صدرا والقيصري يسلكان ما سلكه القاساني ويفيدان ما أفاده ولا اختلاف ولا تفرقة بينهم، وقد أجاد العارف صاحب المثنوي بقوله نظماً، ما ترجمته:

عندما تبصر ولو قليلاً من عالم الغيب ستنسجم معك ذرّات الوجود
فالعارفين يشعرون بنطق التراب ونطق الماء ونطق الزَّهر
كل شيء يعرّفك بالله سبحانه وتعالى ويتكلم معك ولكن
هيهات أن تسمع أذنك أو تبصر عيناك ذلك
وإذا لم تكن عارفاً بحقيقة الذي وهبك الروح كيف لك أن تميّز بين قوم عاد وغيرهم
الحجر تهدي سلاماً إلى أحمدِ ﷺ والجبل يبعث نداءً إلى يحيى عليه السلام
وكل ذرات الوجود تتكلم معك خفياً، ليل نهار
وتقول لك نحن نسمع ونبصر وندرك كل شيء ولكننا معكم صامتين
فتسابيح ذرات الوجود تغسل روحك وتجعلها تسمع غلغلة ذرات الوجود
ستأتيك تَفَشّي تسابيح ذرات الوجود وستطرد روحك وساوس التأويل
ولأن روحك لا تزيّنها القناديل تختلق للتفكُّر تأويل

فإذا دريت أن ما سواه آية له ومشتقّ منه ومنفطر منه، وأنه إن من شيء إلا أنه حاك عنه ومثال وصورة له، ولله المثل الأعلى، وأن الوجود لا ينفك عن آثاره النورية، علمت أن ما يخاطبنا الله جل جلاله بكتابه وكلامه ويدعونا إلى ما فيه خيرنا وسعادتنا كلقائه مثلاً، فلا بد من أن يكون فطرتنا مناسبة ومتشابهة له ولو بوجه وإلا لم يصحّ الخطاب ونزيدك في ذلك بياناً.

ونقول: قال محي الدين في الفص الآدمي من الفصوص: «ولما كان استناده ـ أي استناد الحادث ـ إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفة ما عدا الوجوب الذاتي فإن ذلك لا يصحّ للحادث، وإن كان واجب الوجود ولكن وجوده بغيره لا بنفسه».

وقال القيصري في شرحه: «أي اقتضى هذا الاستناد أن يكون الحادث على صورة الواجب، أي يكون متصفاً بصفاته، وجميع ما ينسب إليه من الكمالات ما عدا الوجوب الذاتي وإلا لزم انقلاب الممكن من حيث هو ممكن واجباً، وذلك لأنه اتصف بالوجود والأسماء والصفات لازمة للوجود، فوجب أيضاً اتّصافه بلوازم الوجود وإلا لزم تخلّف اللازم عن الملزوم، ولأن المعلول أثر العلة والآثار بذاتها وصفاتها دلائل على صفات المؤثّر وذاته، ولا بد أن يكون في الدليل شيء من المدلول لذلك صار الدليل العقلي أيضاً مشتملاً على النتيجة، فإن إحدى مقدمتيه مشتملة على موضوع النتيجة، والأخرى على محمولها، والأوسط جامع بينهما، ولأن العلّة الغائية من إيجاد الحادث عرفان الموجد كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون**﴾ والعبادة تستلزم معرفة المعبود ولو بوجه، مع أن ابن عباس رضي الله عنه فسّر ها هنا بالمعرفة ولا يعرف الشيء إلا بما فيه من غيره لذلك قال عليه السلام حين سئل: «بم عرفت الله؟ قال: عرفت الأشياء بالله»، أي عرفته به أولاً ثم عرفت به غيره ولما كان وجوده من غيره صار أيضاً وجوبه بغيره، وغير الإنسان من الموجودات، وإن كان متصفاً بالوجود لكن لا صلاحية له بظهور جميع الكمالات فيه» انتهى.

وقال العارف الجامي في شرحه على الفصوص: قوله: «فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفة» من اسم وصفة بيان لشيء، فحاصله أن يكون على صفته تعالى في كل اسم وصفة ينسب إليه تعالى يعني كما أنه ينسب كل اسم وصفة إليه تعالى كذلك ينسب إلى الحادث فإنه بأحديّة جمعه الأسمائي متجلّ وسارٍ فيه ولذا قيل كل موجود متصف بصفات السبع الكمالية لكن ظهورها فيه بحسب استعداده وقابليته.

وقال بعض المحشيين على شرح القيصري: قوله: «لأنه اتصف بالوجود» يظهر من هذا أن ذات الواجب بصرافة ذاته لا يكون في الممكن وإلا يلزم أن يكون الممكن متصفاً بالوجوب الذاتي أيضاً بعين هذا الدليل بأن يقال إن الممكن متصف بالوجود الذي يكون واجباً لذاته والوجوب لازم للواجب فوجب اتصاف الممكن بذلك اللازم أيضاً، انتهى، يعني أن الممكن غير متصف بالوجود الصرف الواجب الوجود حتى يلزم انقلاب الممكن واجباً.

وأفاد بعض أساتيذنا وهو العالم المحقّق النحرير محمد حسين ابن المولى عبدالعظيم التوني الشهير بالفاضل التوني تغمّده الله بغفرانه في تعليقته على قول القيصري المنقول آنفاً «ولا يعرف الشيء إلا بما منه في غيره»:

«لأنه لا يعرف الغائب إلا بالشاهد، بمعنى أنه لا يمكن أن يعرف شيء إلا أن يكون له مثال في ذات العالم، فإذا قيل لك كيف يكون الواجب تعالى عالماً بذاته؟ فالجواب: كما أنك تعلم ذاتك فتفهم علمه تعالى بذاته، وإذا قيل: كيف يعلم الواجب تعالى غيره؟ فيقال: كما تعلم أنت غيرك، وإذا قيل: كيف يعلم الواجب تعالى بعلم واحد بسيط سائر المعلومات؟ فيقال: كما تعلم جواب مسائل دفعة بدون تفصيل ثم تنتقل بالتفصيل، وإذا قيل: كيف علمه مبدأ لوجود الأشياء؟ فيقال: كما يكون توهمك للسقوط عن الجدار مبدأ للسقوط، وإذا قيل: كيف يعلم الأشياء كلها؟ فيقال كما يعلم المنجم الخسوف أو الكسوف من العلم بأسبابها، والحاصل أنك لا تقدر أن تفهم شيئاً من الله تعالى إلا بالمقايسة إلى شيء من نفسك فإذا لم يكن لشيء نظير في نفسك فلا يمكنك العلم به كالوجوب الذاتي والوجود بلا مهيّة ولمّا لم يكن لهما نظير في

نفسك لم يمكنك العلم بهما فلا تتعب نفسك في العلم بهما ولذا قال تعالى ﴿**ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد**﴾ انتهى كلامه رفع مقامه وله قدس سره تعليقات أنيقة على شرح الفصوص القيصري من بدو الكتاب إلى ختمه وقد طبع طائفة منها على مقدمات القيصري على شرح الفصوص.

فيما قدمنا علمت معنى قول ثامن الأئمة علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء: «قد علم أولوا الألباب أنّ ما هنالك لا يعلم إلاّ بما ههنا» وهذا الكلام الوجيز بعيد الغور جداف، ككلام جدّه باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي عليه السلام في الصورة الإنسانية: «وهي الشاهدة على كلِّ غائب» كما في شرح الأسماء للمتأله السبزواري ص١٢ من الطبع الناصري، كما علمت أن الإنسان متصف بحسب استعداده وقابليته بأوصاف وجودية تحاكي عن أصلها قال عز من قائل: ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها**﴾ والتفاوت بينها وبين الأصل كتفاوت مرحلتي الوجودين حيث أن وجود الإنسان كغيره فيض من وجوده تعالى وفيء له وقائم به وواجب به وفقير إليه وكذا صفاته المنطبعة في فطرته ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾.

ومن بحثنا هذا ننتقل إلى أن دين الإسلام هو دين الفطرة ماذا؟ وقد أفاد في ذلك أستاذنا العلاّمة الطباطبائي البارع في الحكمة الحقّة جزاه الله تعالى عنا أفضل جزاء المعلّمين وأدام أيام إفاضاته في الجزء السابع من تفسيره القيّم: الميزان، في قوله تعالى: ﴿**إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً**﴾ [الأنعام: ٧٩] بقوله:

«وفي تخصيص فطر السموات والأرض من بين صفاته تعالى الخاصة وكذا من بين الألفاظ الدالة على الخلقة كالباري والخالق والبديع إشارة إلى ما يؤثره إبراهيم عليه السلام من دين الفطرة، وقد كرّر وصف هذا الدين في القرآن الكريم بأنه دين إبراهيم الحنيف ودين الفطرة أي الدين الذي بنيت معارفه وشرائعه على خلقة الإنسان ونوع وجوده الذي لا يقبل التبدّل والتغيّر، فإن الدين هو الطريقة المسلوكة التي يقصد بها الوصول إلى السعادة الحقيقية، والسعادة الحقيقية هي الغاية المطلوبة التي يطلبها الشيء حسب تركّب وجوده

وتجهّزه بوسائل الكمال طلباً خارجياً واقعياً، وحاشا أن يسعد الإنسان أو أي شيء آخر من الخليقة بأمرٍ ولم يتهيأ بحسب خلقته له أو هيّيء لخلافه، كأن يسعد بترك التغذّي أو النكاح أو ترك المعاشرة والاجتماع وقد جهّز بخلافها، أو يسعد بالطيران كالطير أو بالحياة في قعر البحار كالسمك ولم يجهز بما يوافقه.

فالدين الحق هو الذي يوافق بنواميسه الفطرة وحاشا ساحة الربوبية أن يهدى الإنسان أو أي مخلوق آخر مكلّف بالدين ـ إن كان ـ إلى غاية سعيدة مسعدة ولا يوافق الخلقة أو لم يجهّز بما يسلك به إليها، فإنما الدين عند الله الإسلام وهو الخضوع لله بحسب ما يهدى إليه ويدل عليه صنعه وإيجاده» انتهى ما أفاد مدّ ظلّه العالي في المقام.

فتبصّر بما قدّمناه أن أصل المعرفة فطري للأشياء وقال الله تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله﴾** وإنما ضلّ عنهم المعرفة بالمعرفة والبصيرة بالرؤية، وأن المعرفة والرؤية القلبية ترجعان إلى أمر واحد وإنهما تثمران الإيمان على البصيرة، ولا نعني من اللقاء إلا المعرفة والرؤية بهذا المعنى.

ففي التوحيد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام «قال قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال عليه السلام: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقلت: متى؟ قال عليه السلام: حين قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم سكت ساعة، ثم قال وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأحدّث بهذا عنك؟ فقال عليه السلام: لا فإنك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما نقوله ثم قدّر أن ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى عما يصفه المشبّهون والملحدون».

وفي آخر باب «نفي المكان والزمان عنه تعالى» من كتاب التوحيد أيضاً من ١٧٦ بإسناده عن إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب عليه السلام «أنه دخل السوق فإذا هو برجل (فإذا هو مرّ برجل ـ خ د) مولّيه

ظهره يقول: لا والذي احتجب بالسبع قال الله يا أمير المؤمنين، قال: أخطأت ثكلتك أمك، إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب، لأنه معهم أينما كانوا، قال: ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: أن تعلم أن الله معك حيث كنت قال: أُطعم المساكين؟ قال: لا إنما حلفت بغير ربّك».

ومَن سلك هذا المسلك فقد حيي بحياة طيبة ويدخل في مُلك لا يبلى وجنة الخلد التي وعد المتقون، ففي التوحيد عن الحارث بن المغيرة النضري قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: **﴿كلُّ شيء هالك إلاّ وجهه﴾**؟ قال: كل شيء هالك إلا من أخذ طريق الحق».

واعلم أن الوجود مع وحدة حقيقتها وكثرة تشأنها، كل يوم هو شأن، له مراتب طوليّة تختلف غنىً وفقراً وسعة وضيقاً فتنتهي إلى ذات واجب الوجود الذي تلك الكثرات مجاليه ومظاهره ومراياه والله تعالى من ورائهم محيط فله تعالى مرتبة متحققة مجرّدة عن المظاهر والمجالي غير متناهية في جميع الصفات النورية أشد وأقوى مما سواه وجوداً، قال عز من قائل: **﴿أولم يروا أن الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾** [فصلت: ١٦]، ولا يحيطون به علماً لأن الداني لا يسعه الإحاطة بالعالي المحيط به، كما أن النفس مع كونها في وحدتها كل القوى وكلها مجاليها ومظاهرها ليست هي بمجموع تلك القوى الظاهرة والباطنة تعلّقت بالبدن فحسب بل لها مرتبة فوقها أعلى وأشمخ منها رتبة وآثاراً وهي جهتها المجردة التي تلى ربها، وإن كانت تلك القوى مراتبها النازلة، والمرتبة النازلة منها كالواهمة مثلاً لا تحيط بالمرتبة العالية كالعاقلة المحيطة بها.

قال صدر المتألهين قدس سره في شرحه للهداية: «والصنف الثالث وهم الراسخون في العلم من الحكماء قائلون بأن العالم ليس عبارة عن الممكن الصرف ولا عن الوجود الحقيقي الصرف بل من حيث هو موجود بالوجود الحقيقي له اعتبار ومن حيث إنه ينقسم إلى العقول والنفوس وغيرها له اعتبار آخر فالعالم زوج تركيبي من الممكن والسنخ الباقي الذي هو بذاته موجود ووجود فليس العالم عبارة عن الذوات المتعددة كما حسبه المحجوبون بل ذاته

واحد وهو الحق الذي هو الوجود الحقيق ولا وجود للممكنات إلا بارتباطها به لا بأن يفيض عليها وجودات مغايرة للوجود الحقيقي وبرهان ذلك مذكور في كتابنا المسمى بالأسفار الأربعة».

وقال في مبحث العلة والمعلول من الأسفار: (ص١٩٦ من الرحلى) تنبيه: «إن بعض الجهلة من المتصوّفين المقلّدين الذين لم يحصّلوا طريق العلماء العرفاء ولم يبلغوا مقام العرفان توهّموا لضعف عقولهم ووهن عقيدتهم وغلبة سلطان الوهم على نفوسهم أن لا تحقق بالفعل للذات الأحديّة المنعوتة بألسنة العرفاء بمقام الأحدية وغيب الهوية وغيب الغيوب مجردة عن المظاهر والمجالي، بل المتحقّق هو عالم الصورة وقواها الروحانية والحسية والله هو الظاهر المجموع لا بدونه، وهو حقيقة الإنسان الكبير والكتاب المبين الذي هذا الإنسان الصغير أنموذج ونسخة مختصرة عنه، وذلك القول كفر فضيح وزندقة صرفة لا يتفوّه به مَن له أدنى مرتبة من العلم، ونسبة هذا الأمر إلى أكابر الصوفية ورؤسائهم افتراء محض وإفك عظيم يتحاشى عنها أسرارهم وضمائرهم، ولا يبعد أن يكون سبب ظن الجهلة بهؤلاء الأكابر إطلاق الوجود، تارة على ذات الحق، وتارة على المطلق الشامل، وتارة على المعنى العام العقلي، فإنهم كثيراً ما يطلقون الوجود على المعنى الظلّي الكوني فيحملونه على مراتب التعيّنات والوجودات الخاصة فيجري عليه أحكامها.

وبما تقدم من أن ما سواه تعالى مظاهر أسمائه وصفاته ومجالي إشراقات نور وجهه ومرايا ظل ذاته علمت معنى الإخلاص في التوحيد أعني التوحيد الذاتي الذي ينطق به الموحّدون وإمامهم علي أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمَن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومَن قرنه فقد ثنّاه، ومَن ثنّاه فقد جزّاه، ومَن جزّاه فقد جهله، ومَن جهله فقد أشار إليه، ومَن أشار إليه فقد حدّد، ومَن حدّه فقد عدّه» الخ (الخطبة الأولى من نهج البلاغة).

ولا يخفى عليك أن كلامه عليه السلام يشير إلى التوحيد الذاتي، وإخلاصه تمحيض حقيقة الأحدية عن شائبة الكثرة.

قال العارف السيد حيدر الآملي في رسالة نقد النقود في معرفة الوجود (ص٦٣٦): وإذا تحقق هذا وثبت أن الوجود المطلق موجود في الخارج وليس لغيره وجود أصلاً، وثبت أن هذا الوجود المطلق هو الحق تعالى فاعلم أن مرادهم بالوجود من حيث هو الوجود، الوجود الصرف والذات البحت الخالص بلا اعتبار شيء معه أصلاً أعني تصوّره من حيث هو هو لا بشرط الشيء ولا بشرط اللاشيء أي مجرداً عن جميع النسب والإضافات والقيود والاعتبارات.

ومعلوم أن كل شيء له اعتباران: اعتبار الذات من حيث هي هي، واعتبارها من حيث الصفات أي وصفها بصفة ما أية صفة كانت، فهذا هو اعتبار الذات فقط أعني اعتبار الذات بقطع النظر عن جميع الاعتبارات والإضافات المخصوصة بالحضرة الأحدية وأن مرادهم بالمطلق هو الذات المطلقة المنزّهة عن جميع هذه الاعتبارات، وليس إطلاق لفظ المطلق على الوجود الصرف إلا من هذه الحيثية لا من جهة المطلق الذي هو بإزاء المقيد، ولا من جهة الكلي الذي هو بإزاء الجزئي، ولا من جهة العام الذي هو بإزاء الخاص لأنه - أي الوجود الصرف - من حيث هو غني عن إطلاق شيء عليه اسماً كان أو صفة، سلباً كان أو ثبوتاً، إطلاقاً كان أو تقييداً، عاماً كان أو خاصاً، لأن كل واحد منها - أي من هذه الأمور المتقابلة - يقتضي سلب الآخر، أو يقتضي التقيّد والتعيّن فيه، وهو أعني الوجود المطلق المحض منزّه عن الكل حتى عن الإطلاق وعدم الإطلاق لأن الإطلاق تقييد بقيد الإطلاق، كما أن اللاإطلاق قيد بعدم الإطلاق وكذلك التعيّن واللاتعيّن وغير ذلك من الصفات كالوجود والقدم والعلم والقدرة وأمثالها.

وعن هذا التنزيه النزيه والتقديس الشريف أخبر مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: «أول الدين معرفته» الخ والغرض أن كل ذلك إشارة إلى إطلاقه وتجرّده وتنزّهه وتقدّسه عن الكثرة

الوجودية والاعتبارية، لأن قوله عليه السلام «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» إشارة إلى الوجود المطلق المحض والذات البحت الخالص الذي لا يمكن وصفه بشيء أصلاً ولا يكون قابلاً للإشارة أبداً كما أشار إليه عليه السلام في موضع آخر في قوله: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة».

قلت: قوله عليه السلام: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة»، بعض حديث الحقيقة المخاطب به كميل بن زياد رضوان الله عليه سأله عليه السلام عن الحقيقة بقوله: ما الحقيقة؟ قال عليه السلام: مالك والحقيقة؟! قال: أولست صاحب سرّك؟ قال: بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني، قال: أو مثلك يخيّب سائلاً؟! قال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، قال: زدني فيه بياناً، قال: محو الموهوم مع صحو المعلوم، قال: زدني فيه بياناً، قال: هتك الستر لغلبة السرّ قال: زدني فيه بياناً؛ قال: جذب الأحديّة بصفة التوحيد، قال: زدني فيه بياناً قال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل آثاره، قال: زدني فيه بياناً قال: أطف السراج فقد طلع الصبح.

نقله العارف المذكور في جامع الأسرار ص١٧٠ وشرحه في عدة مواضع من ذلك الكتاب، والعلاّمة الشيخ البهائي في الكشكول والقاضي نورالله الشهيد نوَّر الله مرقده في مجالس المؤمنين والعارف الشيخ عبدالرزاق اللاّهجي في شرح گلشن راز، والخوانساري في روضات الجنات، والمحدّث القمّي في سفينة البحار وغيرهم من أساطين الحكمة والعرفان في صحفهم القيّمة، وشرحه العلاّمة قطب الدين الشيرازي في رسالة معمولة في ذلك فقط، وشرحه أيضاً بعض أساتيذنا بالنظم الفارسي ولقد أحسن وأجاد، ألا وهو العارف الربّاني محي الدين مهدي الإلهي القمشئي أدام الله أيام إفاضاته.

وقال العارف الآملي المذكور في جامع الأسرار في تعريف التوحيد: «اعلم أن حقيقة التوحيد أعظم من أن يعبّر عنها بعبارة، أو يوميء إلى تعريفها بإشارة، فالعبارة في طريق معرفتها حجاب، والإشارة على وجه إشراقها نقاب،

لأنها يعني حقيقة التوحيد منزّهة عن أن تصل إلى كنهها العقول والأفهام، مقدّسة عن أن تظفر بمعرفتها الأفكار والأوهام، شعر:

تجول عقول الخلق حول حمائها ولـم يدركوا من برقها غير لمعة

وإلى صعوبة إدراكها ـ يعني حقيقة التوحيد ـ وشدّة خفائها أشار مولانا وإمامنا أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين سلطان الأولياء والوصيين وإرث علوم الأنبياء والمرسلين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: «ما وحّده مَن كيّفه، ولا حقيقته أصاب مَن مثّله، ولا إياه عنى مَن شبّهه، ولا قصده مَن أشار إليه وتوهّمه».

وفي قوله: «هو الأحد لا بتأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة ونصب، والسميع لا بأداة، والبصير لا بتفريق آلة، والشاهد لا بمماسّة، والبائن لا بتراخي مسافة، والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة، بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه، مَن وصفه فقد حدّه، ومَن حدّه فقد عدّه، ومَن عدّه فقد أبطل أزله، ومَن قال كيف فقد استوصفه، ومَن قال أين فقد حيّزه، عالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور».

وفي قوله: أول الدين معرفته ـ الخ.

وكذلك الشيخ العارف الشبلي البغدادي رحمة الله عليه في قوله: «من أجاب عن التوحيد بعبارة فهو ملحد، ومَن أشار إليه بإشارة فهو زنديق، ومَن أومى إليه فهو عابد وثن، ومَن نطق فيه فهو غافل، ومَن سكت عنه فهو جاهل، ومَن وهم أنه إليه واصل فليس له حاصل، ومَن ظن أنه منه قريب فهو عنه بعيد، ومَن به تواجد فهو له فاقد، وكل ما ميّزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتمّ معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم».

وليس مرادهم من هذه الإشارات الامتناع من حصوله، ولا اليأس من وصوله بل المراد منها إعلاء أعلام منزلته، وارتفاع أركان درجته، وبيان أنه ليس بقابل للإشارة ولا بمحل للعبارة، لأنه عبارة عن الوجود المطلق المحض

والذات الصرف البحت المسمّى بالحق جل جلاله الذي لا يقبل الإشارة أصلاً ورأساً ولا العبارة قولاً وفعلاً وذلك لا يكون إلا عند فناء الطالب في المطلوب والشاهد في المشهود وحين الاستغراق والاستهلاك في المطلق المحيط ولا شك أنه لا يبقي مع ذلك لا الإشارة ولا المشير، ولا من الغير أثر في العقل والضمير.

وإليه أشار الإمام عليه السلام بقوله أيضاً: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة» إظهاراً بأنه لا ينكشف الحق حقيقة على أحد إلا عند ارتفاع الكثرة مطلقاً اسماً كان أو صفة ولهذا قال «سبحات الجلال» بدون الجمال لأن الجمال مخصوص بالأسماء والصفات التي هي منشأ الكثرة لا الجلال» انتهى ما أردنا من نقل كلام العارف السيد حيدر الآملي قدس سره الشريف في التوحيد الذاتي.

والشيخ العارف المحقّق أبو إسماعيل خواجه عبدالله بن إسماعيل الأنصاري الهروي قد ذكر في آخر كتابه الموسوم «بمنازل السائرين» باباً مفرداً في التوحيد وقسّمه على ثلاثة أوجه، وقد بذل الجهد في ذلك جدًّا، ولكنه موجز يحتاج إلى البيان وقد شرح ذلك الكتاب المولى العارف المحقّق كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني، يفضل ذلك الشرح على سائر الشروح كفضله على سائر الشراح، وذلك الباب باب إلى ما كنا في صدده، وقد أشار الشارح المذكور إلى المتن بحرف الميم، وإلى الشرح بحرف الشين فنأتي بالباب على هديه وطريقته من غير تغيير وضعه وأسلوبه وهو ما يلي:

(م) باب التوحيد، قال الله تعالى: **﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو﴾**.

(ش) إنما خص بعض الآية بالذكر لأن هذا محض التوحيد الجمعي، وهو أن لا يكون معه شيء، فلو ذكر والملائكة وأولوا العلم لكان نزولاً عن الجميع إلى الفرق فيكون معه غيره فلا يبقي التوحيد المحض، فهو الشاهد بنفسه لنفسه فلم يشهد أن لا إله إلا هو غيره فمن تحقق هذا بالذوق فقد شهد التوحيد بالحقيقة.

(م) التوحيد تنزيه الله عز وجل عن الحدث، وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحقّقون بما أشاروا إليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد وما سواه من حال أو مقام فكله مصحوب العلل.

(ش) قوله: «التوحيد تنزيه الله عز وجل عن الحدث» مجمل يتناول تنزيه العقلاء من الحكماء والمسلمين، وتنزيه العرفاء الموحّدين لأن جميع العقلاء وأهل الفكر يدّعون تنزيه الله تعالى مع كونهم مقيّدين لأن العقل لا يقول إلا بالتقييد ويثبتون الحدث وينفونه عن الحق تعالى وينزّهونه عنه، وأما العرفاء المحقّقون فلا يثبتون الحدث أصلاً ورأساً فإن شهود التوحيد ينفيه عن أصله ثم يثبته بعد نفيه بالحق بمعنى تجلّي الحق مع الآيات بوجوهه في الصور فيكون الحدوث عندهم ظهوره في الصور المختلفة بالتجليات المتعاقبة الغير المتكررة.

ومراد الشيخ قدس الله روحه هذا التنزيه ولا يهتدي العقل إلى طريق التوحيد الذي لا يكون فيه مع الحق سواه ولا يرى الحق عين الكل بحيث لا يكون في الوجود شيء غيره.

وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحقّقون إلى ما أشاروا إليه في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد، أي ما نطقوا وما أشاروا إلا لقصد تصحيح هذا المقام السنيّ لأنه المقصد الأقصى والموقف الأعلى وما دون ذلك من الأحوال والمقامات فكله مصحوب العلل لا صحة لها لبقاء الرسوم فيها ولو في الحضرة الواحدية والتجليات الأسمائية، هذا ما ذهب إليه خاطري.

ووجه آخر مبنيّ على أن «ما» في «إنما نطق» موصولة حقها أن تكتب مفصولة على معنى أن كل ما نطق به العلماء وأشار إليه المحققون لقصد تصحيح التوحيد وما سواه من الأحوال والمقامات فكله مصحوب العلل لا يخلو منها، يعني أن التوحيد بالعلم لا يخلص عن العلل وكذا إثبات الأحوال والمقامات بطريق العلم وإشارات المحققين لا يخلو من العلل فإنها مواجيد ذوقيّة لا تندرج تحت العبارات ولا يحيط به الإشارات ولا تفي ببيانها الكلمات والعلل هي الجهالات.

(م) والتوحيد على ثلاثة وجوه: الوجه الأول توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة.

(ش) الشواهد هي الأكوان والمصنوعات التي يستدل بها على المكوّن الصانع وبالجملة الدلائل التي يستدل بها العلماء بالنظر والفكر وبراهين العقل.

فتوحيد العامة إنما يصح بالاستدلال مثل قوله تعالى: **﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾**، ولكن ما فسدتا، فليس فيهما آلهة غير الله وأمثال ذلك.

وأما توحيد الخاصة وهم المتوسطون فهو الذي يثبت بالحقائق المذكورة في القسم التاسع وهي المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والحياة والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والانفصال.

وأما توحيد خاصة الخاصة فهو التوحيد القائم بالقدم يعني توحيد الحق لنفسه أزلاً وأبداً كما قال: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾**، وقيامه بالقدم أزلية وامتناع قيامه بالحدث وإلا كان مثبتاً للغير فلم يكن توحيداً وأهل هذا المقام هم المذكورون في الدرجة الثالثة من كل باب من أبواب أقسام النهايات.

(م) فأما التوحيد الأول فهو شهادة «أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة، وبه وجبت الذمّة، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر، وصحّت به الملّة العامة وإن لم يقوموا بحق الاستدلال بعد أن سلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحّحها قبول القلب.

(ش) هذا ظاهر غنيّ عن الشرح وهو أصل التوحيد التقليدي الذي صحت به الملّة للعامة بصدق شهادة صححها في الشرع قبول قلوبهم لها تقليداً وإن لم يقدروا على الاستدلال بعد أن لم تعتورهم الشبهة والحيرة والشك وسلمت قلوبهم من ذلك.

(م) هذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والشواهد هي الرسالة والصنايع.

(ش) أي الأخبار التي وردت بها الرسالة والمصنوعات المتقنة المحكمة الدالة بحسن صنعتها وإتقانها على وجود الصانع وعلمه وحكمته وقدرته.

(م) يجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد.

(ش) أي يجب قبول هذا التوحيد بالأدلة السمعية وهي أخبار الكتاب والسنة التي يسمعها من النبي ﷺ كقوله: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾. وقوله: ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ و﴿**شهد الله**﴾، وسورة الإخلاص وأمثالها، ولا توجد حقيقته وحلاوته وإدراك معناه إلا بتبصير الحق إياه بنوره المقذوف في قلب المؤمن ويزيد وينمو بالمواظبة على مشاهدة الشواهد بنظر الاعتبار والتفكّر فيها ومطالعة حكمة صانعها في أحوالها.

(م) وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة وهو إسقاط الأسباب الظاهرة والصعود عن منازعات العقول وعن التعلّق بالشواهد وهو أن لا تشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سبباً، ولا للنجاة وسيلة.

(ش) إسقاط الأسباب الظاهرة هو أن لا يعلّق المسبّبات بالأسباب المعروفة بين الناس ولا يرى لها تأثيراً ولا لغير الحق فعلاً، ويشهد بالحقيقة أن لا مؤثّر إلا الله، والصعود عن منازعات العقول هو الترقّي إلى مقام الكشف والتخلّص عن منازعات العقول أحكام الشرع لعماها عن حكمها، واحتجابها بقياساتها، وعن منازعات بعض العقول بعضاً، ومجادلاتها في الأحكام لثبوت الأوهام إياها، ومعارضاتها في المناظرات باتهامها في الأحكام (بإتمامها في الأحكام ـ خ ل) وتصفية الباطن عن المخالفات والمجادلات مجاوزاً طُور العقل إلى نور الكشف وعن التعلق بالشواهد أي الصعود عن طور الاستدلال والتمسك بالأدلة استغناءً عنها بنور التجلّي والعيان.

قوله: «وهو» إشارة إلى الصعود عن التعلق بالشواهد أي وذلك الصعود أن لا تشهد في التوحيد دليلاً فيكون التوحيد عندك أجلى من كل دليل فإن نور الحق إنما لا يدرك لشدته وقوة نوريته كما قيل، شعر:

خفيّ لإفراط الظهور تعرّضت لإدراكه أبصار قوم أخافش

«ولا في التوكّل سبباً» أي وأن لا تشهد في التوكل سبباً لقوة يقينك في أن لا مؤثّر إلا الله ورؤيتك الأفعال كلها منه فيتلاشى الأسباب في المسبّب في شهودك لشهودك التأثير منه دون السبب «ولا للنجاة وسيلة» أي وأن لا تشهد للنجاة من العذاب والعقوبة والطرد وسيلة من الأعمال الصالحة والحسنات.

(م) فتكون مشاهداً سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها وتعليقه إياها بأحايينها، وإخفائه إياها في رسومها وتحقق معرفة العلل وتسلك سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصة الذي يصح بعلم الفناء ويصفو في علم الجمع ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

(ش) أي فتكون أنت مشاهداً أن الحق سبق بحكمه على الأشياء بما هي عليه في الأزل فلا تكون إلا كما حكم به، وكذا سبق بعلمه وتقديره الأشياء على ما هي عليه، وحكمه تعالى على الأشياء تابع لعلمه فتكون الأشياء على مقتضى سابق علمه وقضائه.

«ووضعه الأشياء مواضعها» أي وتكون مشاهداً لوضع الحق تعالى كل شيء في موضعه بتقديره وحكمته في الأزل، وكذا تشاهد «تعليقه إياها بأحايينها» فلا تقع إلا في الوقت الذي قدر وقوعها فيه، «وإخفائه إياها في رسومها» أي وتكون مشاهداً سبق الحق بإخفائه الأشياء في رسومها عن أعين المحجوبين فإنهم لا يرون أنها بفعل الحق وحكمه وتقديره في القضاء السابق جارية على مجراها فينسبونها إلى أسبابها ومقتضياتر سومها الخلقيّة وطبايعها وأوقاتها، فيجعلون لكل تغيّر حال من أحوالها سبباً، ويحتجبون بها عن التصرف الإلهي والتقدير الأزلي، وذلك هو إخفاؤها في الرسوم.

قوله «وتحقّق» عطف على «فتكون» أي فتكون مشاهداً وتحقّق معرفة العلل وهي الوسائط وإسناد أحوالها إلى ما سوى الله تعالى من الأسباب والرسوم الخلقية من الطبايع واختيار الخلق وإرادتهم وقدرتهم وإلى حركات الأفلاك وأوضاع الكواكب وأمثالها، وكل ذلك علل يحتجب أهل العادات عن الله تعالى وتوحيده.

وأما العرفاء الموحّدون فهم يعرفون هذه العلل ويسقطون الحدث ويسلكون سبيل علم القدم بإسقاط الحدث فلا يرون إلا سابقة حكم الأزل فيكونون مع الحق في جريان الأحوال ويشهدون تصريفاته للأشياء بفعله على مقتضى حكمه وتقديره وحكمته الأزلية وقدرته وإرادته الأولية فيشاهدون الحق وأسماءه وصفاته لا غير.

هذا توحيد الخاصة أي المتوسطين الذي يصح بعلم الفناء لا بنفس الفناء الآتي بعده فإن علم الفناء يحصل بالفناء في حضرة الصفات والأسماء أي الحضرة الواحدية قبل الفناء في الذات الأحدية التي هي عين الجمع ويصفو بعلم الجمع لا بعين الجمع واضمحلال الرسوم بل قبله عند فناء علمه في علم الحق ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع الذي يأتي في قوله.

(م) وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الله لنفسه واستحقه بقدره وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم من نعته وأعجزهم عن بثّه.

(ش) «اختصه الله لنفسه» أي استأثره الله به، ليس لغيره منه نصيب ولا فيه قدم، لأنه إنما يتحقق بفناء الحق كلهم وبقاء الحق وحده فلا يمكن لغيره عنه عبارة، ولا إليه إشارة، ولا شيء من أحكام الخلق وأوصافهم يصل إليه، لحصوله بفنائهم واستحقّه بقدره أي لا يستحقه بمقدار كنهه وحقيقته إلا هو ولا يبلغه غيره **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته حال البقاء بعد الفناء في عين الجمع لأنهم حال الفناء قد استغرقوا فيه فانين عن أسرارهم غائبين عنها، وفي حال البقاء ردّوا إلى الخلق باقين به، فعرفوا أن الحضرة الأحدية لا نعت لها وكل ما ينعت به فهو من الحضرة الواحدية فأخرسهم الله عن نعته، لا بمعنى أنهم يعرفون نعته فمنعهم عن التكلم به بل لأنهم عرفوا أن حضرة النعوت تحت مقام الجمع فهو كقوله: شعر: على لا حب لا يهتدى بمناره، وكذا معنى قوله: «وأعجزهم عن بثّه» أي عن إظهار ذلك اللائح والإخبار به لأنه لا يقبل الإخبار عنه كما لا يقبل النعت.

(م) والذي يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات

القدم، على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علّة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطه.

(ش) «والذي يشار به إليه» مبتدأ، خبره «أنه إسقاط الحدث» أي وأحسن ما يشار به إلى هذا التوحيد وألطفه هو هذا الكلام المرموز، مع أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علّة لا يصح ذلك التوحيد إلا بإسقاطه فإن الحدث لم يزل ساقطاً، وإن القدم لم يزل ثابتاً، فما معنى إسقاط ذلك وإثبات هذا ومن المسقط والمثبت وما ثم إلا وجه الحق تعالى؟ فهذه علة وهؤلاء ظنوا أنهم قد حصّلوا تعريفه وليسوا في حاصل.

(م) هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق وإن زخرفوا له نعوتاً وفصّلوه فصولاً فإن ذلك التوحيد يزيده العبارة خفاءً، والصفة نفوراً والبسط صعوبة.

(ش) «هذا» أي قولهم إسقاط الحدث وإثبات القدم قطب مدار الإشارة إلى هذا الطريق وأعظم الإشارات وأحكمها وهو مع ذلك معلول يجب إسقاطه في تصحيح هذا التوحيد والباقي من المتن ظاهر.

(م) وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضة وأرباب الأحوال والمعارف وله قصد أهل التعظيم وإياه عنى المتكلمون في عين الجمع، وعليه تصطلم الإشارات ثم لم ينطق عنه لسان ولم يشر إليه عبارة فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن، أو يتعاطاه حين، أو يقلّه سبب.

(ش) «وإلى هذا التوحيد شخص» أي ذهب (أهل الرياضة) السالكون «وعليه تصطلم الإشارات» أي تنقطع وتستأصل «فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن» أي مخلوق، لأنه لا يصحّ إلا بفناء الرسوم كلها وصفاء الأحدية عن الكثيرة العددية فلا مجال للإشارة فيه، «أو يتعاطاه حين» أي وراء ما يتداوله زمان لأنه في عين القدم فوق طور الزمان والحدث، «أو يقلّه سبب» أي وراء ما يحمله سبب لأنه قائم بمسبّب الأسباب وحده فكيف يحمله سبب؟ وكلامه ظاهر لا يحتاج إلى الشرح.

(م) وقد أجبت في سالف الزمان سائلاً سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث:

ما وحّد الواحد من واحد	إذ كلّ من وحّده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إيّاه توحيده	ونعت من ينعته لاحد

(ش) يعني ما وحّد الحق تعالى حق توحيده الذاتي أحد إذ كل من وحّده أثبت فعله ورسمه بتوحيده فقد جحده بإثبات الغير إذ لا توحيد إلا بفناء الرسوم والآثار كلها «توحيد من ينطق من نعته عارية» إذ لا نعت في الحضرة الأحدية ولا نطق ولا رسم لشيء والنطق والنعت يقتضيان الرسم وكل ما يشمّ منه رائحة الوجود فهو للحق عارية عند الغير فيجب عليه ردّها إلى مالكها حتى يصح التوحيد ويبقى الحق واحداً واحداً فلذلك أبطل الواحد الحقيقي تلك العارية التي هي ذلك التوحيد مع بقاء رسم الغير فإنه باطل في نفسه في الحضرة الأحدية «توحيده إياه توحيده» أي توحيد الحق ذاته بذاته هو توحيده الحقيقي «ونعت من ينعته لاحد» أي وصف الذي يصفه هو أنه مشرك جائز عن طريق الحق مائل عنه لأنه أثبت النعت ولا نعت ثمّة وأثبت رسمه بإثبات النعت ولا رسم لشيء في الحضرة الأحدية ولا أثر وإلا لم تكن أحدية، انتهى.

فإن قلت: إن ما استفيد مما تقدم في معنى التوحيد أنه تعالى «أحد لا بتأويل عدد»، كما صرّح به الأمير عليه السلام في كلامه المذكور آنفاً وقد قال سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في الدعاء الثامن والعشرين من الصحيفة السجادية وهو كان من دعائه عليه السلام متفزعاً إلى الله عز وجل: «لك يا إلهي وحدانية العدد، وملكة القدرة الصمد، وفضيلة الحول والقوة، ودرجة العلوّ والرّفعة، ومن سواك مرحوم في عمره، مغلوب على أمره، مقهور على شأنه، مختلف الحالات، متنقل في الصفات، فتعاليت عن الأشباه والأضداد وتكبّرت عن الأمثال والأنداد، فسبحانك لا إله إلا أنت».

فكيف التوفيق بين قوله عليه السلام: لك يا إلهي وحدانية العدد، وبين ما مر من أن الله تعالى منزّه عن الوحدة العددية؟.

قلت: قد أفاد العالم المحقق صدر الدرين المعروف بالسيد علي خان رضوان الله عليه في شرحه ما أتلوه عليك أولاً ثم أذكر ما عندي، قال رحمه الله تعالى:

تقديم المسند لإفادة قصر المسند إليه عليه، أي لك وحدانية العدد لا تتخطاك إلى غيرك، ووحدانية الشيء كونه واحداً، لأن ياء النسب إن ألحقت آخر الاسم وبعدها هاء التأنيث أفادت معنى المصدر كالألوهية والربوبية والألف والنون مزيدتان للمبالغة.

والعدد قيل: هو كثرة الآحاد وهي صورة تنطبع في نفس العادّ من تكرار الآحاد، وعلى هذا فالواحد ليس عدداً، وقيل: هو ما يقع جواباً لكم فيكون الواحد عدداً.

وقد اختلف أقوال الأصحاب في معنى قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد»، لمنافاتها ظاهراً وجوب تنزيهه تعالى عن الوحدة العددية نقلاً وعقلاً.

أما النقل فمستفيض من أخبارهم عليهم السلام ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «الواحد بلا تأويل عدد»، وقوله في خطبة أخرى: «واحد لا بعدد ودائم لا بأمد».

ومنه ما رواه رئيس المحدِّثين في كتاب التوحيد أن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد؟ فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال: «يا أعرابي إن القول بأن الله تعالى واحد على أربعة أقسام فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه:

فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال ثالث ثلاثة؟.

وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجلّ ربنا عن ذلك وتعالى.

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل».

وأما العقل فلأن الوحدة العددية إنما تتقوّم بتكررها الكثرة العددية ويصح بحسبها أن يقال إن المتصف بها أحد أعداد الوجود أو أحد آحاد الموجودات وعز جنابه سبحانه أن يكون كذلك، بل الوحدة العددية والكثرة العددية التي هي في مقابلتها جميعاً من صنع وحدته المحضة الحقيقية التي هي نفس ذاته القيّومة وهي وحدة حقّة صرفة وجوبية قائمة بالذات لا مقابل لها ومن لوازمها نفي الكثرة كما أشار إليه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المذكور آنفاً أنه أحدي المعنى لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد» ليس مراداً به الوحدة العددية بل لا بد له من معنى آخر يصح تخصيصه به تعالى وقصره عليه كما يقتضيه تقديم المسند على المسند إليه.

فقال بعضهم: المراد به نفي الوحدة العددية عنه تعالى لا إثباتها له، وهو غير ظاهر.

وقيل: معناه أن لك من جنس العدد صفة لوحدة وهو كونك واحداً لا شريك لك ولا ثاني لك في الربوبية.

وقيل: معناه إذا عددت الموجودات كنت أنت المتفرد بالوحدانية من بينها.

وقيل: أريد به أن لك وحدانية العدد بالخلق والإيجاد لها فإن الوحدة العددية من صنعه وفيض وجوده وجوده ولا يخفى أنه بمعزل عن المقام.

وقال بعضهم: أراد بوحدانية العدد جهة وحدة الكثرات وأحدية جمعها لا إثبات الوحدة العددية له تعالى.

وقيل: معناه أنه لا كثرة فيك أي لا جزء لك ولا صفة لك يزيدان على ذلك وهو أنسب المعاني المذكورة بالمقام، وتوضيح المراد أن قوله عليه السلام «لك يا إلهي وحدانية العدد» يفسّره قوله عليه السلام: «ومن سواك مختلف الحالات متنقل في الصفات» فإنه عليه السلام قابل كل فقرة من الفقرات الأربع المتضمنة للصفات التي قصرها عليه سبحانه بفقرة متضمّنة لخلافها فمن سواه على الطريق اللّف والنشر الذي يسميه أرباب البديع «معكوس الترتيب» وهو أن يذكر متعدد تفصيلاً ثم تذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به ويكون الأول من النشر للآخر من اللف والثاني لما قبله وهكذا على الترتيب كعبارة الدعاء فإن قوله عليه السلام: «مختلف الحالات متنقل في الصفات» راجع إلى قوله: «لك يا إلهي وحدانية العدد»، وقوله: «مقهور على شأنه» راجع إلى قوله: «وملكة القدرة الصمد»، وقوله: «مغلوب على أمره» راجع إلى قوله: «وفضيلة الحول والقوة»، قوله: «مرحوم في عمره» راجع إلى قوله: «درجة العلو والرفعة».

إذا علمت ذلك ظهر لك أن المراد بوحدانية العدد له تعالى معنى يخالف معنى اختلاف الحالات والتنقل في الصفات لغيره سبحانه فيكون المقصود إثبات وحدانية ما تعدَّد من صفاته وتكثر من جهاته وأن عددها وكثرتها في الاعتبارات والمفهومات لا يقتضي اختلافاً في الجهات والحيثيات ولا تركيباً من الأجزاء بل جميع نعوته وصفاته المتعددة موجودة بوجود ذاته، وحيثية ذاته بعينها حيثية علمه وقدرته وسائر صفاته الإيجابية فلا تعدّد ولا تكثر فيها أصلاً بل هي وحدانية العدد موجودة بوجود واحد بسيط من كل وجه إذ كل منها عين ذاته فلو تعددت لزم كون الذات الواحدة ذواتاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا معنى قولهم واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فجميع صفاته الإيجابية عين ذاته من غير لزوم تكثر.

فإن قلت: كيف تكون صفاته عين ذاته ومفهوم الصفة غير مفهوم الذات؟ وأيضاً فإن مفهوم كل صفة غير مفهوم صفة أخرى فكيف تتّحد بالذات؟.

قلت: قد تكون المفهومات المتعددة موجودة بوجود واحد، فالصفات بحسب المفهوم وإن كانت غير الذات وبعضها يغاير بعضها إلا أنها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذات، أعني أن ذاته الأحدية تعالى شأنه هي بعينها صفاته الذاتية بمعنى أن ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر، وهي أيضاً موجود عالم قادر حيّ سميع بصير يترتب عليها آثار جميع الكمالات ويكون هو من حيث ذاته مبدأ لها من غير افتقار إلى معان أخر قائمة به تسمى صفاتاً تكون مصدراً للآثار لمنافاته الوحدة والغناء الذاتيين والاختصاص بالقدم، فذاته صفاته وصفاته ذاته لا زائدة عليها كصفات غيره من المخلوقين، فإن العلم مثلاً في غيره سبحانه صفة زائدة على ذاته مغايرة للسمع فيه وفيه نفسه تعالى وهو بعينه سمعه وقس على ذلك سائر الصفات الثبوتية.

فتبيّن أن المراد بقصر وحدانية العدد عليه تعالى هذا المعنى المخالف لصفات من سواه وحالاته، فإنها كيفيات نفسانية انفعالية وحالات متغايرة ومعان مختلفة له، إذ كان يسمع بغير ما يبصر، ويبصر بغير ما يسمع إلى غير ذلك من صفاته المتعددة المتكثّرة التي توجب اختلاف الحالات والتنقل في الصفات، وبالجملة فمعنى قصر وحدانية العدد عليه سبحانه نفي التعدد والتكثّر والاختلاف عن الذات والصفات على الإطلاق، وهذا المعنى مقصور عليه تعالى لا يتجاوزه إلى غيره، والله أعلم بمقاصد أوليائه، وفي المقام كلام طويل طويناه على عزّه» انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: أولاً إن حديث الأعرابي يوم الجمل قد نقله العلاّمة الشيخ بهاء الدين قدس سره أيضاً في أوائل المجلد الثالث من الكشكول (ص٢٥٨ من طبع نجم الدولة) من كتاب أعلام الدين تأليف أبي محمد الحسن بن أبي الحسن الديلمي، عن مقداد بن شريحِ البرهاني، عن أبيه قال: «قام رجل يوم الجمل إلى علي عليه السلام» الخ.

وثانياً: الحكم في أصول العقائد والمعيار فيها، هو العقل فحسب فما حكم به العقل الناصع فهو المتّبع، فإذا ورد أمر من أهل بيت الوحي وخزنة أسرار الله فإن كان مما يدركه العقل وإلا، فإن عجز عن إدراكه فإما كان العجز

من حيث إنه كلام عالٍ سامٍ لا تبلغه العقول بلا تلطيف سر وتدقيق فكر ونور علم فلا بد من الورود فيها من أبوابها، أو من حيث إن ظاهره ينافي حكم صريح العقل فلا بد من التأمّل فيه حق التأمّل، لأن الكلام حينئذ ليس محمولاً على ظاهره قطعاً وذلك للعلم القطعي بأن ما صدر عن أولياء الله تعالى لا سيما عن حججه ووسائط فيضه ليس ما ينافي حكم العقل واقعاً بل منطقهم عقل ليس إلا، فما يحرى على الفاحص مغزا كلامهم، والمستفيد من مأدبة مرامهم أن يسأل الله تعالى فهم ما أفاضوه، ونيل ما أفادوه، فقد روى ثقة الإسلام الكليني في باب «فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب» من كتاب الحجّة من أصول الكافي بإسناده عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله وإنما الهالك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا والإنكار هو الكفر» (٣٣٠ ج١ من الكافي المشكول) وقريب منه ما قد أتى به السيد الرضي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في الخطبة ١٨٧ من النهج أولها: «فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب».

فنقول: العقل حاكم على أنه تعالى ليس بواحد عددي، أي شخصي، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، والوحدة العددية معروضها هويات آحاد عالم الإمكان، على أنه قد تحقق في محلّه أن العدد لا يعرض المفارق العقلي لا بالذات ولا بالعرض وهو عارض للنفوس بواسطة البدن، بل الله تعالى واحد بالوحدة الحقّة التي هي حق الوحدة إذ لا مهيّة له سوى الوجود البحت البسيط والوجود هو الوحدة القائمة بذاتها والوحدة هي الوجود.

فاعلم أن الوحدة هي ما يقال به لشيء ما واحد، والعدد هو الكمية المتألّفة من الوحدات، كما في صدر المقالة السابعة من أصول أقليدس، فالوحدة ليست بعدد لأن العدد ما فيه انفصال لأنه كمّ والكمّ يقبل الانقسام والوحدة لا تقبله، ومن جعلها عدداً أراد بالعدد ما يدخل تحت العدّ، كما قال

العلاّمة الخواجه الطوسي في الصدر المذكور: «وقد يقال لكل ما يقع في مراتب العد عدد فيقع اسم العدد على الواحد أيضاً بهذا الاعتبار» فالنزاع لفظي، وقد يحدّ العدد بأنه نصف المجموع حاشيته كالأربعة مثلاً حاشيتاها ثلاثة وخمسة وهي نصف مجموعها، فيخرج الواحد منه أيضاً.

والوحدة مبدأ العدد المتقوم بها فالحق كما صرّح به العلاّمة الشيخ البهائي في خلاصة الحساب: أن الواحد ليس بعدد وإن تألفت منه الأعداد، كما أن الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم وإن تألفت منه الأجسام، مثلاً أن العشرة متقومة بالواحد عشر مرات وليست متقومة بخمسة وخمسة ولا بستة وأربعة ولا بسبعة وثلاثة ولا بثمانية واثنين لأن تركّبها من الخمستين ليس بأولى من تركّبها من الستة والأربعة وغيرها من أنواع الأعداد التي تحتها ولهذا قال الفيلسوف المقدم أرسطاطاليس ـ كما في الخامس من ثالثة إلهيات الشفاء ـ: «لا تحسبنّ أن ستة ثلاثة وثلاثة بل هو ستة مرة واحدة».

وقال الشيخ في الفصل المذكور: «وحدّ كلّ واحد من الأعداد إن أردت التحقيق هو أن يقال إنه عدد من اجتماع واحد وواحد وواحد وتذكر الآحاد كلها وذلك لأنه لا يخلو إما أن يحدد العدد من غير أن يشار إلى تركيبه مما ركّب منه بل بخاصية من خواصّه فذلك يكون رسم ذلك العدد لا حدّه من جوهره، وإما أن يشار إلى تركيبه مما ركّب منه، فإن أُشير إلى تركيبه من عددين دون الأخر مثلاً أن يجعل العشرة من تركيب خمسة وخمسة لم يكن ذلك أولى من تركيب ستة مع أربعة وليس تعلق هويتها بأحدهما أولى من الآخر وهو بما هو عشرة مهية واحدة ومحال أن تكون مهية واحدة وما يدل على مهية من حيث هي واحدة حدود مختلفة فإذا كان كذلك فحدّه ليس بهذا ولا بذاك بل بما قلنا ويكون إذا كان ذلك كذلك فقد كان له التراكيب من خمسة وخمسة ومن ستة وأربعة ومن ثلاثة وسبعة لازماً لذلك وتابعاً فيكون هذه رسوماً له».

فنقول: كما أن الوحدة مبدأ العدد وليست منه، وتتألف منه الأعداد بكثرتها، ولم تجد في مراتبها المختلفة بعد الفحص والتفتيش غير الوحدة وقد

علمت أن مفاهيم الأعداد تتحقق بتكرر المفهوم الوحدة لا غير، كذلك الوحدة الحقّة التي هي حق الوحدة مبدأ للحقائق وبتكرر تجلّياته تتحقق الحقائق بلا تكثر في المتجلّي، وكأن ما في زبور آل محمد ﷺ من أن له تعالى وحدانية العدد يشير إلى هذا السر المكنون وقد سلك أهل السر هذا المسلك الأقوم والطريق الأوسط.

فقال السيد المحقّق الداماد قدس الله روحه معناه: «أن الوحدة العددية ظل لوحدة الحقّة الصرفة القيومية» وقال مولانا محسن الفيض قدس سره: «وحدانية العدد أي جهة وحدة الكثرات وأحديّة جمعها لأن العددية منتفية عنه سبحانه وتعالى البتة وإنما الثابت له معنى الوحدة ليس إلا الوحدة الحقيقية كما ثبت في محله عقلاً ونقلاً».

وقال صدر المتألهين قدس سره في الشواهد الربوبية: «ومن اللطائف أن العدد مع غاية تباينه عن الوحدة وكون كل مرتبة منه حقيقة برأسها موصوفة بخواص ولوازم لا توجدان في غيرها إذا فتّشت في حاله وحال مراتبه المختلفة لم تجد فيها غير الوحدة».

وقال الحكيم المتألّه السبزواري رضوان الله عليه في الحاشية: «فكل عدد من الأعداد التي من النسب الأربع فيه التباين مع الآخر ليس أجزاؤه إلا الواحد فالاثنان واحد وواحد، والثلاثة واحد وواحد وواحد وهكذا فالواحد رسم بتكراره الأعداد المتباينة ولو في غاية التباين، وتكرار الشيء ليس إلاّ ظهوره ثانياً وثالثاً بالغاً ما بلغ، وظهورات الشيء ليست مكثرة له فإذا ظهر زيد في البيت مرة بعد أولى وكرّة غبّ أخرى لم يتعدد تعدداً شخصياً أو نوعياً، وهذا الواحد لا بشرط صار باللحاظات الكثيرة أعداداً متباينة لها أحكام وآثار متخالفة مما هي مشروحة في علم الحساب وعلم الأعداد وغيرهما فمفهوم الواحد في مفاهيم الأعداد كحقيقة الوجود بالنسبة إلى أنحاء الوجودات ولعل هذا معنى قول سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام: يا إلهي لك وحدانية العدد، أي لك وحدانية آيتها الوحدانية التي هي راسمة الأعداد وعلّة قوامها وعادّها ومفنيها» انتهى.

وقد نقلنا بيان هؤلاء العظام من تعليقة الحكيم المتأله البارع الأخوند الهيدجيّ على الفريدة الثالثة من المقصد الأول من غرر الفرائد للمتألّه السبزواري قدس سرهما.

وأنت تعلم أن كلامهم مبنيٌّ على ذلك السر المشار إليه، وقد بسط القول فيه غير واحد من أجلّة المتألهين، منهم محي الدين في الفصّ الإدريسي من كتاب فصوص الحكم، ومنهم المُلاّ صدرا في الفصل الرابع من المرحلة الخامسة من السفر الأول من الأسفار الأربعة، ومنهم المولى محسن الفيض في عين اليقين.

ونأتي بكلام الأولين تتميماً للفائدة وتكميلاً لها، قال أوسطهم: «فصل في بعض الأحكام الوحدة والكثرة، إن الوحدة ليست بعدد وإن تألّف منها لأن العدد كم يقبل الانقسام والوحدة لا يقبله ومن جعل الوحدة من العدد أراد بالعدد ما يدخل في تحت العدّ فلا نزاع معه لأنه راجع إلى اللفظ بل هي مبدأٌ للعدد لأن العدد لا يمكن تقوّمه إلا بالواحدة لا بما دون ذلك العدد من الأعداد فإن العشرة لو تقويت بغير الوحدات لزم الترجيح من غير مرجّح فإن تقوّمها بخمسة وخمسة ليس أولى من تقوّمها بستة وأربعة، ولا من تقوّمها بسبعة وثلاثة والتقوم بالجميع غير ممكن وإلا لزم تكرر أجزاء المهيّة المستلزم لاستغناء الشيء عما هو ذاتي له لأن كلاً منها كان في تقوّمها فيستغنى به عما عداه، وإن أخذ تقويمها باعتبار القدر المشترك بين جميعها لا باعتبار الخصوصيات كان اعترافاً بما هو المقصود إذ القدر المشترك بينها هو الوحدات.

ومن الشواهد أنه يمكن تصوّر كل عدد بكنهه مع الغفلة عما دونه من الأعداد فلا يكون شيء منها داخلاً في حقيقته فالمقوّم لكل مرتبة من العدد ليس إلا الوحدة المتكررة فإذا انضم إلى الوحدة مثلها حصلت الاثنينيّة وهي نوع من العدد وإذا انضم إليها مثلاها حصلت الثلاثة وهكذا يحصل أنواع لا تتناهى بتزايد واحد واحد لا إلى نهاية إذا التزايد لا ينتهي إلى حدّ لا يزاد عليه فلا ينتهي الأنواع إلى نوع لا يكون فوقه نوع آخر.

وأما كون مراتب العدد متخالفة الحقائق كما هو عند الجمهور فلاختلافها باللوازم والأوصاف من الصمم والمنطقية والتشارك والتباين والعادية والمعدودية والتجذير والمالية والتكعّب وأشباهها، واختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات.

وهذا مما يؤيّد ما ذهبنا إليه في باب الوجود من أن الاختلاف بين حقائقها إنما نشأ من نفس وقوع كل حقيقة في مرتبة من المراتب فكما أن مجرد كون العدد واقعاً في مرتبة بعد الاثنينية هو نفس حقيقة الثلاثة إذ يلزمها خواص لا توجد في غيره من المراتب قبلها أو بعدها فكذلك مجرد كون الوجود واقعاً في مرتبة من مراتب الأكوان يلزمه معان لا توجد في غير الوجود الواقع في تلك المرتبة فالوحدة لا بشرط في مثالنا بإزاء الوجود المطلق، والوحدة المحضة المتقدمة على جميع المراتب العددية بإزاء الوجود الواجبي الذي هو مبدأ كل وجود بلا واسطة ومع واسطة أيضاً، والمحمولات الخاصة المنتزعة من نفس كل مرتبة من العدد بإزاء المهيات المتحدة مع كل مرتبة من الوجود، وكما أن الاختلاف بين الأعداد بنفس ما به الاتفاق فكذلك التفاوت بين الوجودات بنفس هويّاتها المتوافقة في سنخ الموجودية.

وعلى ما قررنا يمكن القول بالتخالف النوعي بين الأعداد نظراً إلى التخالف الواقع بين المعاني المنتزعة عن نفس ذواتها بذواتها وهي التي بإزاء المهيات المتخالفة المنتزعة عن نفس الوجودات.

ويمكن القول بعدم تخالفها النوعي نظراً إلى أن التفاوت بين ذواتها ليس إلا بمجرد القلّة والكثرة في الوحدات ومجرد التفاوت بحسب قلة الأجزاء وكثرتها في شيء لا يوجب الاختلاف النوعي في أفراد ذلك الشيء، وأما كون اختلاف اللوازم دليلاً على اختلاف الملزومات فالحق دلالته على القدر المشترك بين التخالف النوعي والتخالف بحسب القوة والضعف والكمال والنقص» انتهى كلامه رفع مقامه.

وأما ما أفاده في المقام أولهم في الفصّ الإدريسي، فلما كان كشف دقائقه على طالبيه مبتنياً على زيادة إيضاح فالحريّ بنا أن نأتي به مع شرح

كاشف معضلات كتابه فصوص الحكم داود بن محمود القيصري مشيراً إلى المتن بحرف الميم وإلى الشرح بالشين، كما يلي:

(م) فاختلطت الأمور وظهرت الأعداد بالواحد في المراتب المعلومة.

(ش) أي فاختلطت الأمور واشتبهت بالتكثر الواقع فيها على المحجوب الغير المنفتح عين بصيرته وإن كانت ظاهرة راجعة إلى الواحد الحقيقي عند من رفعت الأستار عن عينه وانكشف الحق إليه بعينه، والاختلاط بالتجلّيات المختلفة صار سبباً لوجود الكثرة كما ظهرت الأعداد بظهور الواحد في المراتب المعلومة، ولما كان ظهور الواحد في المراتب المتعددة مثالاً تاماً لظهور الحق في مظاهره جعل هذا الكلام توطئة وشرع في تقرير العدد وظهور الواحد فيه ليستدل المحجوب به على الكثرة الواقعة في الوجود المطلق مع عدم خروجه عن كونه واحداً حقيقياً وقال:

(م) فأوجد الواحد العدد وفصل العدد الواحد.

(ش) أي أوجد الواحد بتكرّره العدد إذ لو لم يتكرر الواحد لم يكن حصول العدد، وفصل العدد مراتب الواحد مثل الاثنين والثلاثة والأربعة وغير ذلك إلى ما لا يتناهى لأن كل مرتبة من مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف ليس غير الواحد المتجلّي بها لأن الاثنين مثلاً ليس إلا واحداً وواحداً اجتمعا بالهيئة الوحدانية فحصل منها الاثنان فمادته هو الواحد المتكرر وصورته أيضاً واحدة فليس فيه شيء سوى الواحد المتكرر فهو مرتبة من مراتبه وكذلك البواقي، فإيجاد الواحد بتكراره العدد مثال لإيجاد الحق الخلق بظهوره في الصورة الكونية، وتفصيل العدد مراتب الواحد مثال لإظهار الأعيان أحكام الأسماء الإلهية والصفات الربانية والارتباط بين الواحد والعدد مثال للارتباط بين الحق والخلق وكون الواحد نصف الاثنين وثلث الثلاثة وربع الأربعة وغير ذلك مثال للنسب اللازمة التي هي الصفات للحق.

(م) وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود فالمعدود منه عدم ومنه وجود، فقد يعدم الشيء من حيث الحس وهو موجد من حيث العقل.

(ش) أي العدد لكونه كماً منفصلاً وعرضاً غير قائم بنفسه لا بد أن يقع في معدود ما سواء كان ذلك المعدود موجوداً في الحس أو معدوماً فيه موجوداً في العقل وظهور العدد بالمعدود مثال لظهور الأعيان الثابتة في العلم بالموجودات وهي بعضها حسية وبعضها غيبية كما أن بعض المعدود في الحس وبعضه في العقل.

(م) فلا بد من عدد ومعدود ولا بد من واحد ينشىء ذلك فينشأ بسببه.

(ش) أي إذا كان لا يظهر حكم العدد إلا بالمعدود، ولا يتبين مراتب الواحد إلا بالعدد فلا بد من عدد ومعدود، ولما كان العدد ينشأ بتكرار الواحد فلا بد من واحد ينشىء ذلك العدد فينشأ، أي يظهر الواحد في مراتبه ومقاماته المختلفة بسبب ظهور العدد فالسبب هنا السبب القابلي، ولا بد من واحد ينشىء العدد فينشأ العدد بسبب ذلك الواحد فالسبب السبب الفاعلي والأول أنسب.

(م) فإن كان كل مرتبة من العدد حقيقة واحدة كالتسعة مثلاً والعشرة إلى أدنى وأكثر إلى غير نهاية ما هي مجموع ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد فإن الاثنين حقيقة واحدة والثلاثة حقيقة واحدة بالغاً ما بلغت هذه المراتب.

(ش) وفي بعض النسخ فإن لكل مرتبة من العدد حقيقة والظاهر أنه تصرّف ممن لا يعرف معناه ومقصوده رضي الله عنه أن كان كل مرتبة حقيقة واحدة أي إن عبرنا في كل مرتبة ما به يمتاز العدد المعيّن فيها من غيرها وهو ما به الاثنان اثنان والثلاثة ثلاثة مثلاً فما هي مجموع الآحاد فقط بل ينضم إليها أمر آخر يميّزها عن غيرها ولا ينفكّ عنها اسم جمع الآحاد لأنه كالجنس لها فلا بد منها فإن الاثنين حقيقة واحدة ممتازة من الثلاثة وهي أيضاً كذلك حقيقة واحدة متميزة عن الأخرى إلى ما لا نهاية له، فقوله: ما هي مجموع جواب الشرط والجملة الإسمية إذا وقعت جواب الشرط يجوز حذف الفاء منه عند الكوفيين كقول الشاعر: من يفعل الحسنات الله يجزيها، وإن لم تعتبر الأمور المتميزة بعضها عن بعضها وتأخذ القدر المشترك بين الكل الذي هو جمع الآحاد وتعتبره لا يبقى الامتياز بين كل منها كما نعتبر الجنس الذي بين النوعين

كالإنسان والفرس فيحكم عليهما بأنهما حيوان فكذلك يحكم في الاثنين والثلاثة والأربعة بأنها مجموع من الآحاد مع قطع النظر عما به يمتاز بعضه عن البعض الآخر وهو المراد بقوله:

(م) وإن كانت واحدة فما عين واحدة منهن عين ما بقي.

(ش) وهذا الشق يدل على ما ذهبنا إليه من أن الأصح فإن كان كل مرتبة من العدد حقيقة أي وإن كانت المراتب كلها واحدة في كونها جمع الآحاد أو مجموعها فليس عين مرتبة واحدة من تلك المراتب عين ما بقي منها لأن كل مرتبة منها حقيقة برأسها موصوفة بخواص لا توجد في غيرها، ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي أي وإن كانت المراتب كلها واحدة بحسب رجوعها إلى حقيقة واحدة هي جمع الآحاد فالذي عين واحدة من مراتب الاثنين والثلاثة وغير ذلك عين ما بقي في كونه عبارة عن جمع الآحاد وهذا أنسب بقوله:

(م) فالجمع يأخذها فيقول بها منها ويحكم بها عليها.

(ش) أي إذا كان لا ينفك عنها اسم جمع الآحاد فجمع الآحاد الذي هو كالجنس لتلك المراتب يأخذها ويجمعها ويتناولها ويصدق عليها صدق الجنس على أنواعه فنقول بتلك المراتب من تلك الحقيقة الجامعة إياها ويحكم بها عليها أي الجامع بين المراتب يحكم عليها بما يعطيه من الأحكام كما يحكم الحق على الأعيان بما يعطيه من الأحوال.

(م) وقد ظهر في هذا القول عشرون مرتبة فقد دخلها التركيب.

(ش) أي حصل في هذا القول وهو أن كان كل مرتبة حقيقة عشرون مرتبة أولها مرتبة الواحد المنشيء للعدد، ثم مرتبة الاثنين إلى التسعة فصار تسعة ثم مرتبة العشرة والعشرين إلى تسعين وهي تسعة أخرى فصار ثمانية عشر، ثم مرتبة المائة والألف وعلى الباقي يدخل التركيب وضمير دخلها يرجع إلى المراتب العشرين.

(م) فما تنفك تثبت عين ما هو منفي عندك لذاته.

(ش) أي لا تزال ثبت في كل مرتبة من المراتب عين ما تنفيه في مرتبة أخرى كما ذكر من أن الواحد ليس من العدد باتفاق جمهور أهل الحساب مع أنه عين العدد إذ هو الذي بتكرره توجد الأعداد فيلزمه في كل مرتبة من مراتب العدد لوازم وخصوصيات متعددة وكذلك نقول لكل مرتبة أنها جمع الآحاد ونثبت أنها ليست غير مجموع الآحاد مع أنه منفي عندك بأنها ليست مجموع الآحاد فقط.

(م) ومن عرف ما قررناه في الأعداد وأن نفيها عين ثبتها علم أن الحق المنزّه هو الخلق المشبّه وإن كان قد تميّز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق والأمر المخلوق الخالق.

(ش) أي ومن عرف أن العدد هو عبارة عن ظهور الواحد في مراتب متعددة وليس من العدد بل هو مقوّمه ومظهره والعدد أيضاً في الحقيقة ليس غيره، وأن نفي العددية من الواحد عين إثباتها له لأن الأعداد ليست إلا عين مجموع الآحاد مادة وصورة علم أن الحق المنزه عن نقائص الإمكان بل عن كمالات الأكوان هو بعينه الخلق المشبّه، وإن كان قد تميز الخلق بإمكانه من الخالق فالأمر الخالق أي الشيء الذي هو الخالق هو المخلوق بعينه، لكن في مرتبة أخرى غير المرتبة الخالقية، والأمر المخلوق هو الخالق بعينه لكن باعتبار ظهور الحق فيه.

واعلم أن الاثنين مثلاً ليس عبارة إلا عن ظهور الواحد مرتين مع الجمع بينهما، والظاهر فرادى ومجموعاً فيه ليس إلا الواحد فما به الاثنان اثنان وتغاير الواحد ليس إلا أمر متوهّم لا حقيقة له كذلك شأن الحق مع الخلق فإنه هو الذي يظهر بصور البسائط ثم بصور المركّبات فيظن المحجوب أنها مغايرة بحقائقها وما يعلم أنها أمور متوهّمة ولا موجود إلا هو.

(م) كل ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة.

(ش) أي كل ذلك الوجود الخلقي صادر من الذات الواحدة الإلهية ثم

أضرب عنه لأنه مشعر بالمغايرة فقال: بل ذلك الوجود الخلقي هو عين تلك العين الواحدة الظاهرة في مراتب متعددة وذلك العين الواحدة التي هي الوجود المطلق هي العيون الكثيرة باعتبار المظاهر المتكثّرة، كما قال:

(م) سبحان من أظهرنا سوته سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثمَّ بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب

فانظر ماذا ترى.

(ش) أي انظر أيها السالك طريق الحق ماذا ترى من الوحدة والكثرة جمعاً وفرادى؟ فإن كنت ترى الوحدة فقط فأنت مع الحق وحده لارتفاع الإثنينيّة، وإن كنت ترى الكثرة فقط فأنت مع الخلق وحده، وإن كنت ترى الوحدة في الكثرة محتجبة والكثرة في الوحدة مستهلكة فقد جمعت بين الكمالين وفزت بمقام الحسنيين، هذا آخر ما أفاد هذا الفحل العارف المتأله في المقام.

فيما قدمنا ظهر لك سر كلام ولي الله الأعظم زين العابدين وسد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام: لك يا إلهي وحدانية العدد، وكلام هؤلاء الأكابر سيما الأخير منهم تفصيل ذلك الكلام الموجز المفاض من صقع الملكوت وقد عرّفه جدّه قدوة المتألهين وإمام العارفين وبرهان السالكين علي أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إنا لأمراء الكلام؛ وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدّلت غصونه» (المختار ٢٣١ من خطب النهج)، وبقوله: «هم عيش العلم وموت الجهل الخ» (المختار ٢٣٧ من خطب النهج) فراجع إلى شرحنا عليهما في المجلّدين الأول والثاني من تكملة منهاج البراعة.

تفسير سورة التوحيد

وحيث انجرَّ البحث إلى التوحيد وساقنا لقاء الله إليه فلنشر إلى نبذة مما أودع في سورة التوحيد أعني سورة الإخلاص كي يستقر التوحيد على ما شاهده أهله في قلوب مستعديه، ويتضح معنى اللقاء المبحوث عنه أتم إيضاح لمبتغيه على أن هذه السورة «نسبته تبارك وتعالى ووصفه»، والحبيب يشتاق ذكر حبيبه ويلتذّ بوصفه كما يحب الخلوة معه، والأمس به، وآثاره من رسوله وكتابه وأوليائه.

ففي آخر الباب الحادي والعشرين من إرشاد القلوب للديلمي قدس سره في الذكر والمحافظة عليه: قال الصادق عليه السلام: «إن النبي صلى الله عليه وآله صلى على سعد بن معاذ وقال: لقد وافى من الملائكة للصلاة عليه تسعون ألف ملك وفيهم جبرائيل يصلون عليه فقلت: يا جبرائيل بما استحق صلاتكم؟ قال: يقرأ قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً».

وقد عقد الشيخ أبو جعفر الصّدوق رضوان الله عليه باباً في كتاب التوحيد في تفسير سورة «قل هو الله أحد» وأتى من أئمة الدين بأحاديث قيّمة فليراجع الطالب إليه وإلى شرح المقتبس من مشكاة الولاية القاضي السعيد القمّي أعلى الله درجاته على ذلك الكتاب، ولكنّا إنما نكتفي بنقل بعضها، وبما أفاده العارف المتألّه الميرزا محمد رضا القمشئي (قدس سره) في تعليقته على شرح الفصوص للقيصري، والحكيم البارع المولى صدرا قدر سره في شرح أصول الكافي في تفسير سورة الإخلاص لأن نقل جميع تلك الأحاديث ينجرّ إلى الإطالة لكونها صعباً مستصعباً جداً لا بد من تفسيرها وكشف معضلاتها.

فأما ما قال القمشئي رضوان الله عليه في تعليقته على الفصل الأول من مقدمات القيصري على شرح الفصوص في الإشارة إلى نبذ مما في سورة التوحيد فهو ما يلي:

«اعلم أن الوجود لما كان حيث ذاته حيث التحقق والإنيّة فهو متحقّق بنفس ذاته، ولما كان واجباً بذاته والواجب بالذات مهيّته إنيّته فليس فيه سوى حيث الوجود حيث، ولما لم يكن فيه سوى حيث الوجود حيث فلم يكن معه شيء فكان الله ولم يكن معه شيء، والآن كما كان وهذا هو الذي يوهم أنه وجود بشرط لا، والأمر كذلك إلا أن كونه بشرط لا من لوازم ذاته ولا دخل في وجوب ذاته.

فإن قلت: فما معنى سريان تلك الحقيقة في الواجب والممكن؟

أقول: معنى السريان الظهور فقد يكون ظاهراً بنفس ذاته لذاته وهذا سريانه في الواجب وقد يكون ظاهراً في ملابس الأسماء والأعيان الثابتة في العلم، وقد يكون ظاهراً في ملابس أعيان الموجودات في الأعيان والأذهان، وهذا السريان في الممكن والكل شؤونه الذاتية، فالوجود المأخوذ لا بشرط عين الوجود بشرط بحسب الهوية والاختلاف في الاعتبار وإليه أشير في قوله تعالى: **﴿قل هو الله أحد﴾** فإن لفظة «هو» ضمير يشير إلى أنه لا اسم له، ولفظة «الله» اسم للذات بحسب الظهور الذاتي، ولفظة «أحد» قرينة دالّة على أن اسم الله هناك للذات فإنه مشترك بينها وبين الذات الجامعة لجميع الصفات وفي الظهور الذاتي لا نعت له ولا صفة بل الصفات منفيّة كما قال عليه السلام: «وكمال التوحيد نفي الصفات عنه تعالى»، أي الغيب المجهول هو الذات الظاهرة بالأحدية، ولما كان لفظة أحد قد يطلق لمعنى سلبي كما في هذا الموضع فإنه يسلب عنه جمع الأشياء بل الأسماء والصفات أيضاً فيوهم أنه خال عن الأشياء فاقد لها بل عن النعوت والكمالات وهو تعالى بوحدته كل الأشياء وجميع النعوت والكمالات فاستدرك بقوله تعالى: **﴿الله الصمد﴾** فإن الصمد هو الواحد الجامع، ثم استدل عليه بأنه لم يلد ولم يولد أي لم يخرج عنه شيء ولم يخرج عن شيء ليكون ناقصاً بخروج الشيء عنه أو بخروجه عن

شيء فأحديته بسلب تعيّنات الأشياء عنه، وصمديّته تثبت باندماج حقائقها فيه» انتهى كلامه.

قلت: ما أفاده قدس سره شريف متين جداً وتجد في تلك المعاني الدقيقة الفائضة من عرش التحقيق إشارات أنيقة من أئمة الدين صلوات الله عليهم أجمعين، ومَن تأمّل في الجوامع الروائية الإمامية رأى بالعيان أن أصل العرفان تنشّبت عروقه فيهم، وتهدّلت غصونه عليهم إلا أن الجهلة من المتصوّفة وأشباه العرفاء ولا عرفاء، إنما ردّوا الناس عن الدين القهقرى، وما سمعت من كلام هذا العارف الجليل في «هو» مأخوذ من خزنة العلم وعِيبَ أسرار الله، فقد روى أبو جعفر الصدوق رضوان الله عليه في باب تفسير **﴿قل هو الله﴾** من كتابه التوحيد بإسناده عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي، عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: **﴿قل هو الله أحد﴾**.

قال: ««قل» أي أظهر ما أوحينا إليك ونبّأناك به بتأليف الحروف التي قرأتها لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد، و«هو» اسم مكنّى مشار إلى غائب، فالهاء تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أن قولك: هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس، وذلك أن الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه، فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿قل هو الله أحد﴾** فالهاء تثبيت للثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس، وأنه تعالى عن ذلك، بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس، حدثني أبي، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدرٍ بليلة، فقلت له: علّمني شيئاً أُنصر به على الأعداء، فقال: قل: «يا هو يا من لا هو إلا هو» فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لي: يا علي عُلّمت الاسم الأعظم، فكان على لساني يوم بدر وأن أمير المؤمنين عليه السلام قرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** فلما فرغ قال: يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لي وانصرني على القوم

الكافرين، وكان علي عليه السلام يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات؟ قال: اسم الله الأعظم وعماد التوحيد لله لا إله إلاّ هو، ثمَّ قرأ: **﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو﴾** وآخر الحشر ـ ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال.

بيان: قوله: «ولا نأله فيه» أي لا نتحيّر فيه، من أله كفرح أي تحيّر، وقوله: حدثني أبي عن أبيه من تتمة الحديث، والقائل هو الإمام محمد بن علي الباقر، يقول حدثني أبي زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقوله: قبل بدر بليلة، يعني قبل غزوة بدر بليلة.

وأما ما أفاده الحكيم المتأله المُلاّ صدرا في تفسير السورة، فقال قدس سره في شرح الحديث الثالث من باب النسبة من كتاب التوحيد من أصول الكافي المذكور من قبل عن سيد الساجدين عليه السلام في سورة التوحيد والآيات من الحديث:

«أما سورة التوحيد، فلا يخفى لمن تدبّر وتعمّق فيها اشتمالها على غوامض علوم التوحيد ولطائف أسرار التقديس، فقد علمت نبذاً من أسرارها العميقة مع أن المذكور يسير من كثير ما علمناه، نزر حقير في جنب ما ستر فيها من العلوم الأحدية والأسرار الصمدية.

واعلم أن كثرة الأسامي والألقاب يدل على مزيد الفضيلة والشرف، كما لا يخفى فأحدها سورة التفريد، والثاني سورة التجريد، وثالثها سورة التوحيد، ورابعها سورة الإخلاص، لأنه لم يذكر في هذه السورة الصفات السلبية التي هي صفات الجلال، ولأن من اعتقدها كان مخلصاً في دين الله، ولأن غاية التنزيه والتفريد والتوحيد يستلزم غاية الدنوّ والقرب المستلزم للمحبة والإخلاص في الدنيا.

وخامسها سورة النجاة لأنها تنجيك من التشبيه والكفر في الدنيا، وعن النار في الآخرة، وسادسها سورة الولاية لأن من قرأها عارفاً بأسرارها صار من أولياء الله.

وسابعها سورة النسبة لما روى أنه ورد جواباً لسؤال من قال: انسب لنا ربك، ثامنها سورة المعرفة، وروى جابر رضي الله عنه: أن رجلاً صلى فقرأ: **﴿قل هو الله أحد﴾** فقال النبي ﷺ: إن هذا عبد عرف ربه فسميت سورة المعرفة لذلك.

وتاسعها سورة الجمال لأن الجلال غير منفك عن الجمال كما أشرنا إليه، ولما روي أنه قال ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال، سألوه عن ذلك فقال: أحد صمد لم يلد ولم يولد، وعاشرها سورة المقشقشة، يقال: قشقش يقشقش المريض برأ، فمن عرفها تبرّأ من الشرك والنفاق لأن النفاق مرض كما في قلوبهم مرض.

الحادي عشر المعوّذة، روي أنه ﷺ دخل على عثمان بن مظعون يعوذه بها وباللتين بعدها، ثم قال: تعوّذ بهن فما تعوّذت بخير منها.

والثاني عشر سورة الصمد.

والثالث عشر سورة الأساس لما روي أنه قال: أسست السماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد، ومما يدل عليه أن القول بالثلاثة سبب لخراب السماوات والأرض بدليل قوله تعالى: **﴿تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرّ الجبال هدًّا﴾** فوجب أن يكون التوحيد سبباً لعمارة العالم ونظامه.

والرابع عشر سورة المانعة لما رُوي أنها تمنع فتَّاني القبر ونفخات النيران.

والخامس عشر سورة المحضرة لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرأت.

والسادس عشر سورة المنفرة لأن الشيطان ينفر عند قراءتها.

السابع عشر البراءة لأنها تبرىء من الشرك، ولما روي أنه ﷺ رأى رجلاً يقرأها فقال: أما هذا فقد برىء من الشرك، الثامن عشر سورة المذكرة لأنها يذكر العبد خالص التوحيد.

التاسع عشر سورة النور لأن الله نور السموات والأرض والسورة في بيان معرفته ومعرفته النور، ونوره المعرفة، ولما روي أنه ﷺ قال: «إن لكل شيء نوراً ونور القرآن قل هو الله أحد» ونظيره أن نور الإنسان في أصغر أعضائه وهو الحدقة فصارت السورة للقرآن كالحدقة للإنسان.

العشرون سورة الأمان قال ﷺ: «إذا قال العبد لا إله إلا الله دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي» فهذه عشرون اسماً من أسامي هذه السورة.

ولها فضائل كثيرة ومعاني ونكات غير محصورة، وما روي في فضل قراءتها وثواب الصلاة المشتملة على عدد منها فلا يعد ولا يحصى.

فمن فضائلها «أنها ثلث القرآن» وذكروا لذلك وجوهاً: أجودها أن المقصود الأشرف من جميع الشرايع والعبادات معرفة ذات الله، ومعرفة صفات الله، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات فكانت معادلة لثلث القرآن.

ومن فضائلها أيضاً أن الدلائل والبراهين قائمة على أن أعظم درجات العبد وأجلّ سعاداته أن يكون قلبه مستنيراً بنور جلال الله وكبريائه وهو إنما يحصل بعرفان هذه السورة فكانت هذه السورة أفضل السور وأعظمها.

فإن قيل: صفات الله تعالى مذكور في سائر السور؟، قلنا: لكن لهذه السورة خصوصية وهي أنها مع وجازتها مشتملة على عظائم أسرار التوحيد فتبقى محفوظة في القلب معقولة للعقل فيكون ذكر جلال الله حاضراً بهذا السبب فلا جرم امتازت عن سائر السور.

وأما المعاني والنكات فمنها ما سبق، ومنها وجوه أخرى كثيرة لو ذهبنا إلى تفسير هذه السورة مستقصي لخرجنا عما نحن بصدده من شرح الأحاديث ولكن نذكر أنموذجاً ينبّه على الكثير لمن هو أهله، فنقول:

قوله: «هو الله أحد» ثلاثة ألفاظ كل واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات السالكين إليه تعالى: المقام الأول للمُقرَّبين وهم أعلى السائرين إلى الله

تعالى، فهؤلاء رأوا أن موجودية المهيّات بالوجود، وأن أصل حقيقة الوجود بذاته موجود وبنفسه واجب الوجود متعيّن الذات لا بتعيّن زائد، فعلموا أن كل ذي مهيّة معلول محتاج، وأنه تعالى نفس حقيقة الوجود والوجوب والتعين فلهذا سمعوا كلمة «هو» علموا أنه الحق تعالى، لأن غيره غير موجود بذاته وما هو غير موجود بذاته فلا إشارة إليه بالذات.

والمقام الثاني مقام أصحاب اليمين، وهؤلاء شاهدوا الحق موجوداً والخلق أيضاً موجوداً، فحصلت كثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن هو كافياً في الإشارة إلى الحق، بل لا بد هناك من مميز يميّز الحق عن الخلق فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرن لفظة الله بلفظة «هو» فقيل لأجله «هو الله» لأن الله هو الموجود الذي يفتقر إليه ما عداه وهو مستغن عن كل ما عداه فيكون أحدي الذات لا محالة إذ لو كان مركّباً كان ممكناً محتاجاً إلى غيره فلفظة الجلالة دال على الأحدية من غير اقتران إلى لفظ أحد به.

المقام الثالث مقام أصحاب الشمال، وهو أدون المقامات وأخسّها وهم الذين يجوزون كثرة في واجب الوجود، أيضاً كما في أصل الوجود فقورن لفظ أحد بكلمة الله رداً عليهم وإبطالاً لمقالهم فقيل: قل هو الله أحد.

وههنا بحث آخر أدقّ وأشرف وهو، أنَّا نقول كل ما له مهيّة غير أنيّته فلا يكون هو هو لذاته وكلما يكون مهيّته عين هويته وحقيقته نفس تعيّنه فلا اسم ولا حدّ له ولا يمكن شرحه إلا بلوازمه التي يكون بعضها إضافية وبعضها سلبيّة، والأكمل في التعريف ما يجمع ذينك النوعين جميعاً وهو كون تلك الهوية إلهاً فإن الإلهية يقتضي أن ينسب إليه غيره ولا ينسب هو إلى غيره، والمعنى الأول إضافي، والثاني سلبي فلا جرم ذكر الله عقيب قوله هو.

ثم اعلم أن الذي لا سبب له وإن لم يكن تعريفه بالحدّ، إلا أن البسيط الذي لا سبب له وهو مبدأ الأشياء كلها على سلسلة الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضاً فمن البيّن أن ما هو أقرب المجعولات إليه بل اللازم الأقرب المنبعث عن حاق الملزوم إذا وقع التعريف كان أشد تعريفاً من غيره، وأقرب اللوازم له تعالى كونه واجب الوجود غنيًا عما سواه وكونه مبدءاً ومفتقراً إليه

الجميع ومجموع هذا الأمرين هو معنى الإلهية فلأجل ذلك وقع قوله «الله» عقيب «هو» شرحاً وتعريفاً له.

ولمّا ثبت مطلوب الهليّة البسيطة بقوله «هو» الدال على أنه الهو المطلق الذي لا يتوقف هويته على غيره، ولأجل ذلك هو البرهان على وجود ذاته وثبت مطلوب الهليّة البسيطة بقوله فحصلت بمجموع الكلمتين معرفة الإنيّة المهية أريد أن يذكر عقيبهما ما هو كالصفات الجلالية والجمالية فقوله تعالى: **«أحد»** مبالغة في الوحدة، والوحدة التامة ما لا ينقسم ولا يتكثر بوجه من الوجوه أصلاً لا بحسب العقل كالانقسام بالجنس والفصل، ولا بحسب العين كالانقسام من المادة والصورة ولا في الحس، ولا في الوهم كالانقسام بالأعضاء والأجزاء وكان الأكمل في الوحدة ما لا كثرة فيه تعالى أصلاً فكان الله تعالى غاية في الوحدة، فقوله تعالى «أحد» دل على أنه واحد من جميع الوجوه وإنما قلنا أنه واحد كذلك لأنه لو لم يكن كذلك لم يكن إلهاً لأن كل ما هو مركّب فهو مفتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه غيره فيكون مفتقراً إلى غيره فلم يكن واجب الوجود ولا مبدأ الكل.

ثم إن هذه الصفة وهي الأحدية التامة الخالصة عن شوب الكثرة كما توجب التنزّه عتن الجنس والفصل والمادة والصورة، وعن الجسمية والمقدارية والأبعاض والأعضاء والألوان وسائر الكيفيات الحسية الانفعالية وكلما يوجب قوة أو استعداداً أو إمكاناً لك يقتضي كل صفة كمالية من العلم التام والقدرة الكاملة والحياة السرمدية والإرادة التامة والخير المحض والجود المطلق فإن من أمعن النظر وتأمل تأملاً كافياً يظهر له أن الأحدية التامة منبع الصفات الكمالية كلها، ولولا مخافة الإطناب لبيّنت استلزامها لواحدة واحدة منها لكن اللبيب يدرك صحة ما ادّعيناه.

وقوله تعالى **﴿الله الصمد﴾** قد مر أن الصمدية لها تفسيران أحدهما ما لا جوف له، والثاني السيد، فمعناه على الأول سلبي وهو إشارة إلى نفي المهية فإن كل ما له مهيّة كان له جوف وباطن وكان من جهة اعتبار مهيّة قابلاً للعدم، وكل ما لا جهة ولا اعتبار له إلا الوجود المحض فهو غير قابل للعدم فواجب

الوجود من كل جهة هو الصمد الحق، وعلى التفسير الثاني يكون معنى إضافياً وهو كونه سيد الكل أي مبدأ الجميع فيكون من الصفات الإضافية.

وههنا وجه آخر وهو أن الصمد في اللغة هو المصمت الذي لا جوف له، وإذا استحال هذا في حقه تعالى فوجب حمله على الفرد المطلق أعني الواحد المنزّه عن المثل والنظير إما ابتداءاً، أو بعد نقله إلى معنى الأحدية المستلزمة للواحدية كما مر فيكون الصمد إشارة إلى نفي الشريك كما الأحد إلى نفي الانقسام.

فانظر يكف عرّف أولاً هويته وإنيّته، ثم عرَّف أنه تعالى خالق لهذا العالم، ثم عرَّف أن الأمور التي لأجلها افتقر هذا العالم إلى الخالق كالتركيب والإمكان والمهيّة والعموم والاشتراك والاحتياج لا بد أن يكون منفياً عنه تعالى لئلا يلزم الدور أو التسلسل.

ثم لما كان من عادة المحققين أن يذكروا أولاً ما هو الأصل والقاعدة ثم يخرجون عليه المسائل، فذكر أولاً كونه موجوداً إلهاً ثم توصل به إلى كونه صمداً، ثم رتّب عليه أحكاماً ثلاثة أحدها أنه **﴿لم يلد﴾** لاستيجاب التوليد للتركيب لأنه عبارة عن انفصال بعض ناقص من أبعاضه ثم يترّقى فيصير مساوياً له في الذات والحقيقة ومن البيّن أن نقصان البعض يستلزم تركيب الكل، وثانيها قوله: **﴿ولم يولد﴾** لاستلزامه للحدوث والنقصان والافتقار إلى العلل من جهات شتى كالإعداد والإحداث والإبقاء والتربية والتكميل، وثالثها قوله: **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾** وبيانه أنّا لو فرضنا مكافياً له في رتبة الوجود فذلك المكافي لو كان ممكن الوجود كان محتاجاً إليه متأخّراً عنه في الوجود فكيف يكون مكافياً له؟ وإن كان واجب الوجود وقد علمت أن تعدده ينافي الأحدية وأنه يستلزم التركيب فهذا أنموذج من دقائق أسرار التوحيد تحويها هذه السورة» انتهى كلامه قدس سره الشريف.

خاتمة

نذكر فيها أمرين لمَن أراد أن يتذكّر، ويسعى إلى لقاء ربه وينعم به.

أحدهما نقل عدة أذكار وأدعية عن خزنة علم الله عز وجل وعيب وحيه الذين أنعم الله عليهم بلقائه وكانوا يناجون بها ربهم الجليل، لأنها جلاء القلوب عن رين علائقها الدنياوية، وإرشاد للطالب إلى لقاء ربه المتعال.

وثانيهما نبذة مما هي آداب مبتغي اللقاء والفائزين به.

أما الأول فقد روى السيد الأجل جمال العارفين ابن طاووس (قُدّس سرّه الشريف» في أعمال شعبان من كتابه القيّم الكريم المسمى بالإقبال (ص٦٨٥ من الطبع الرحلي) عن ابن خالويه ـ إلى أن قال: إنها مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام كانوا يدعون بها في شهر شعبان:

«اللهم صلِّ على محمد وآل محمد واسمع دعائي إذا دعوتك ـ إلى قوله عليه السلام: إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك ـ إلى أن قال عليه السلام: إلهي إن أنامتني الغفلة عن الاستداد للقائك فقد نبّهتني المعرفة بكرم آلائك ـ إلى أن قال عليه السلام: وألحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً وعن سواك منحرفاً ومنك خائفاً مراقباً يا ذا الجلال والإكرام» ورواه العلاّمة المجلسي في البحار أيضاً (ص٨٩ ج١٩ من طبع الكمباني).

وقال السيد المذكور في أعمال شهر رجب من ذلك الكتاب (ص٦٤٦):

ومن الدعوات في كل يوم من رجب ما رويناه أيضاً عن جدي أبي جعفر الطوسي رضي الله عنه فقال: أخبرني جماعة عن ابن عيّاش قال: مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدسة ما حدثني به خير بن عبدالله قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:

«بسم الرَّحمن الرَّحيم ادع في كل يوم من أيام رجب: اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك بهو ولاة أمرك المأمونون على سرك المستبشرون (المستسرّون ـ خ ل) بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك، وأسألك بما نطق فيهم من مشيّتك، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك بدئها منك وعودها إليك» الخ.

قلت: هذا التوقيع من أسرار الله المكنونة المخزونة، والحقائق المودعة فيها، تدرك ولا توصف، ينالها مَن كان له قلب، ولو تصدّينا لشرحه على قدر باعنا القصيرة وبضاعتنا المزجاة لانجرّ إلى تأليف كتاب على حدة، والضمير المجرور في «لها» و«بها» و«بينها» راجعة إلى المقامات وكذلك الضمير المنصوب في «إلا أنهم عبادك» وضميرهم لذوي العقول فالمقامات من ذوي العقول، ولا بأس بإتيان الضمير، تارة من غير ذوي العقول وتارة من ذوي العقول، وذلك نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلَّها ثمَّ عرضهم على الملائكة**﴾ أورد الضمير ثانياً من ذوي العقول إشارة إلى أن الأسماء ليست ألفاظاً دالة على معانيها لأن معرفة الألفاظ تعدّ من العلوم الأدبية وهي لا توجب شرح الصدر وسعة الذات، بل المراد بها حقائق المخلوقات ومقامات دار الوجود على ما هي عليه.

قوله عليه السلام: «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك»، قال القيصري في آخر الإشارة إلى بعض المراتب الكلية من الفصل الأول من مقدماته على شرح الفصوص (ص١١ من الطبع الناصري): «ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن

جمع جميع المراتب الإلهية والكونيّة من العقول والنفوس الكلية والجزئية، ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود ويسمى بالمرتبة العمائية أيضاً في مضاهية للمرتبة الإلهية، ولا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية لذلك صار خليفة الله» الخ.

إنما نقلنا كلام القيصري في المقام لكي يعلم أن أصل ما تفوّه به العرفاء الشامخون مقتبس من مشكاة بيت آل النبي ﷺ، نعم إنهم والله ينابيع الحكمة والمعرفة والعرفان وخزنة الحقائق كلها.

وفي دعاء عرفة لمولانا الحسين بن علي صلوات الله عليهما، كما أتى به السيد المذكور في الإقبال أيضاً (ص٣٤٨): «إلهي تردّدي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار، هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً».

إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها، كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها، ومرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير.

إلهي هذا ذلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، فاهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك.

إلهي علّمني من علمك المخزون، وصنّي بسرك (بسترك ـ خ ل) المصون.

إلهي حققني بحقائق أهل القرب، واسلك بي مسلك أهل الجذب.

وروى ثقة الإسلام الكليني في باب الدعاء في إدبار الصلوات من الكافي (ص٣٩٩ ج٢ من المُعرَّب) بإسناده عن محمد بن الفرج قال: كتب إليَّ أبي

جعفر ابن الرضا ـ يعني الإمام الجواد عليه السلام ـ بهذا الدعاء وعلّمنيه ـ إلى أن قال عليه السلام: «وأسألك الرضا بالقضاء، وبركة الموت بعد العيش، وبرد العيش بعد الموت، ولذّة المنظر إلى وجهك، وشوقاً إلى رؤيتك ولقائك من غير ضرّاء مضرّة ولا فتنة مضلّة» الخ.

وفي دعاء يوم الاثنين للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «وأسألك خشيتك في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن تحبّب إليّ لقاءك في غير ضرّاء مضرّة ولا فتنة مضلّة» الخ. رواه الكفعمي رضوان الله عليه في البلد الأمين (ص١١٨) وفي المصباح أيضاً (ص١١٥).

وفي الدعاء السابع والأربعين من الصحيفة السجادية: «وأخفني مقامك وشوّقني لقاءك».

وفي المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين صلوات الله عليه ـ وقال العلاّمة المجلسي رحمة الله عليه في التاسع عشر من البحار (ص١٠٥ من الطبع الكمباني: وقد وجدتها مروية عنه عليه السلام في بعض كتب الأصحاب رضوان الله عليهم. انتهى.

وعدّها المحدث الخبير والعالم الجليل الشيخ حرّ العاملي صاحب الوسائل في الصحيفة الثانية من الأدعية السجادية عليه السلام ونسبها إليه من غير ترديد.

ففي مناجاة الخائفين: «وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني وبقربك وجوارك خصصتني فتقرّ بذلك عيني وتطمئن له نفسي ـ إلى أن قال عليه السلام: إلهي لا تغلق على موحّديك أبواب رحمتك ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك».

وفي مناجاة الراغبين: «إلهي إن كان قلّ زادي في المسير إليك فلقد حسن ظنّي بالتوكل عليك ـ إلى أن قال عليه السلام: وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد نبّهتني المعرفة (المغفرة ـ خ ل) بكرمك وآلائك ـ إلى أن

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أسألك بسبحات وجهك وبأنوار قدسك، وأبتهل إليك بعواطف رحمتك ولطائف برّك أن تحقق ظني بما أؤمّله من جزيل إكرامك وجميل إنعامك في القربى منك والزلفى لديك والتمتع بالنظر إليك».

وفي مناجاة المطيعين لله: «اللهم احملنا في سفن نجاتك ومتّعنا بلذيذ مناجاتك وأوردنا حياض حبك، وأذقنا حلاوة ودّك وقربك».

وفي مناجاة المريدين: «ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنى نفسي، وإليك شوقي وفي محبتك ولهي وإلى هواك صبابتي ورضاك بُغيتي، ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك أُنسي وراحتي (روحي - خ ل)».

وفي مناجاة المحبين: «إلهي مَن ذا الذي ذاق حلاوة محبتك، فرام منك بدلاً؟! ومَن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حِوَلاً؟! إلهي فاجعلنا ممَّن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وشوّقته إلى لقائك، ورضّيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك - إلى أن قال: واجتبيته لمشاهدتك».

وفي مناجاة المتوسلين: «واجعلني من صفوتك الذين أحللتهم بحبوحة جنّتك وبوّأتهم دار كرامتك، وأقررت أعينهم بالنظر إليك يوم لقائك، وأورثتهم منازل الصدق في جوارك».

وفي مناجاة المفتقرين: «ولوعتي لا يطفيها إلا لقاؤك، وشوقي إليك لا يبلّه إلا النظر إلى وجهك».

وفي مناجاة العارفين: «فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون - إلى أن قال: وقرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، إلى أن قال: ما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك».

وفي مناجاة الذاكرين: «فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك، ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك - إلى أن قال: وأستغفرك من كل لذّة بغير ذكرك، ومن كل راحة بغير أُنسك، ومن كل سرور بغير قربك».

وفي مناجاة الزاهدين: «واقرر أعيننا يوم لقائك برؤيتك».

فعليك بتلك المناجاة الخمس عشرة سيما مناجاة العارفين ومناجاة المحبين منها فإنها جلاء للقلوب.

وفي آخر الدعاء السابع والأربعين من الصحيفة وكان من دعائه عليه السلام في يوم عرفة: «وأتحفني بتحفة من تحفاتك، واجعل تجارتي رابحة، وكرّتي غير خاسرة، وأخفني مقامك، وشوّقني لقاءك» الخ.

وفي باب «في أنه عز وجل لا يُعرف إلا به» من توحيد الصّدوق رضوان الله عليه بإسناده عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام أنه قال: إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزم، ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أن المدبّر غيري، قال: فبماذا شكرت نعماه؟ قال: نظرت إلى بلاء قد صرفه عني وأبلى به غيري فعلمت أنه قد أنعم عليّ فشكرته، قال: فبماذا أحببت لقاه؟ قال: لما رأيته قد اختار لي من دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاه».

روى الكليني في باب «الاهتمام بأمور المسملين والنصيحة لهم ونفعهم» بإسناده عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه».

واعلم أن ما تقدَّم من التوقيع الشريف الصادر من الناحية المقدّسة وفيه قوله عليه السلام: «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك» وما مر في ذيله من كلام القيصري: «لا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية» كأنما يفيدان وجهاً خامساً في وحدة الوجود أعلى وأشمخ وأدقّ وأشرف من الأربعة المتقدمة المبيّنة، ولعل كلام العارف الربّاني الخواجه صائن الدين علي تركه أصفهاني يشير إلى هذا الوجه المنيع حيث قال: «فهو العابد باعتبار تعيّنه وتقيّده بصورة العبد الذي هو شأن من شؤونه الذاتية وهو المعبود باعتبار إطلاقه، اعلم أن

الشهود الأتم الأكمل قضى أن كل ما يسمى مرآة ومجلي ومظهراً وعيناً ونحو ذلك ليس سوى تعينات صور أحوال الحق على ما بينها من التفاوت في الحكم والحق من حيث هو باطن هويته متجلي في عين كل فرد فرد من أحواله المتيمزة التي تغيب وظهرت له» انتهى كلامه.

والله تعالى أعلم بمراد أوليائه، اللهم ارزقنا فهم ما أودعت في كلماتك التامة، قال عز من قائل: **﴿يحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾**.

وأما الأمر الثاني فنقول: لا يعرج الإنسان إلى ذي المعارج إلا بجناحي العلم والعمل قال عز من قائل: **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأنَّ سعيه سوف يرى﴾** [النجم: ٤٠] وقال تعالى: **﴿يوم يتذكّر الإنسان ما سعى﴾** [النازعات: ٣٥]، و**﴿من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾** [الإسراء: ٢٠] وقال تعالى: **﴿فمن يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾** [آخر الكهف].

ثم تأمّل تأمّلاً كاملاً في قوله تعالى: **﴿ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**، فإن ما هو خارج عن ذاتك ليس لك حقيقة، بل له ارتباط ما إليك فاسع إلى ما هو لك، بل هو أنت وأنت هو على الحقيقة، لما ثبت بالبراهين العقلية المعاضدة بالأدلة النقلية من اتّحاد العاقل بمعقوله.

ونِعْم ما أفاده الشيخ أبو علي الرئيس رضوان الله عليه في النمط الثامن من كتاب الإشارات: «كمال الجوهر العاقل أن يتمثل فيه جليّة الحق الأول قدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائه الذي يخصّه ثم يتمثل فيه الوجود كله على ما هو عليه مجرداً عن الشوب مبتدءً فيه بعد الحق الأول بالجواهر العقلية العالية ثم الروحانية السماوية ثم ما بعد ذلك تمثّلاً لا يمايز الذات.

فاعلم أن الخبر ليس كالمعاينة، والعلم بالشيء غير النيل لوصوله ووجدانه وحصوله، ولا يبلغ مرتبة علم اليقين مرتبة عين اليقين فضلاً عن مرتبة حق اليقين بل الأول دون الثاني بمراحل والثاني دون الثالث بمنازل، قال الشيخ الرئيس قدس سره في أواخر النمط التاسع من كتاب الإشارات: من أحب أن يتعرفها

- يعني أن يتعرف الدرجات التي يجدها السالك - فليتدرّج إلى أن يصير من أهل المشاهدة دون المشافهة ومن الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر».

وقال الخواجه نصير الدين الطوسي رضوان الله عليه في الشرح بعد كلام في الدرجات: «واعلم أن العبارة عن هذه الدرجات غير ممكنة لأن العبارات موضوعة للمعاني التي يتصوّرها أهل اللغات ثم يحفظونها ثم يتذكرونها ثم يتفاهمونها تعليماً وتعلّماً، أما التي لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلاً عن قوى بدنه فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ فضلاً عن أن يعبّر عنها بعبارة، وكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام والموهومات لا تدرك بالخيالات والمتخيلات لا تدرك بالحواس كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين فلا يمكن أن تدرك بعلم اليقين، فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد في الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبرهان».

قلت: قد مضى في ذلك كلامنا آنفاً وتقدّم قول الإمام الصادق عليه السلام فيه.

ولا يتيسّر الوصول إلى لقائه تعالى إلا بالعمل الصالح والإخلاص في عبادته كما في آية الكهف الكريمة، وإنما يتأتّى لمن تخلّص عن العلائق النفسانية والشواغل الدنياوية وإلا لم يحصل معها ذوق اللذائذ العقلية حتى يحصل الشوق إليها، فمن لم يعشق العبادة فإنما لتمكّن تلك العوائق فيه، ونِعْم ما قال الشيخ في النمط الثامن من الإشارات: «الآن إذا كنت في البدن وفي شواغله وعلائقه فلم تشتق إلى كمالك المناسب أو لم تتألم بحصول ضدّه فاعلم أن ذلك منك لا منه».

وما قال المعلم الثاني أبو نصر الفارابي رضوان الله عليه في الفصوص: «إن لك منك غطاءً فضلاً عن لباسك من البدن فاجهد أن ترفع الحجاب فحينئذ تلحق، فلا تسأل عمّا تباشره، فإن ألمت فويل لك، وإن سلمت فطوبى لك ونفسك وأنت في بدنك كأنك لست في بدنك وكأنك في صقع الملكوت، فترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاتّخذ لك عند الحق عهداً إلى أن تأتيه فرداً».

قلت: قوله: «فلا تسأل عما تباشره» كلام عميق بعيد الغور يفسّره قول الشيخ الرئيس في آخر النمط التاسع في مقامات العارفين: «والعارف ربما ذهل فيما يصار به إليه فغفل عن كل شيء فهو في حكم من لا يكلّف، وكيف والتكليف لمن يعقل التكليف حال ما يعقله ولمن اجترح بخطيئته إن لم يعقل التكليف».

وقال الخواجه نصير الدين الطوسي في الشرح: «والمراد أن العارف ربما ذهل في حال اتصاله بعالم القدس عن هذا العالم فغفل عن كل ما في هذا العالم وصدر عنه إخلال بالتكاليف الشرعية فهو لا يصير بذلك متأثّماً لأنه في حكم من لا يُكلّف لأن التكليف لا يتعلق إلا بمَن يعقل التكليف في وقت تعقّله ذلك، أو بمَن يتأثّم بترك التكليف إن لم يكن يعقل التكليف كالنائمين والغافلين والصبيان الذين هم في حكم المكلفين».

وإلى هذا المعنى أشار الخواجه عبدالله الأنصار بقوله: «العاشق الولهان لا يعلم بأحوال نفسه وليست الذنوب هي التي تسكره» ويقول الخواجة شمس الدين الحافظ، ما ترجمته:

أعذرني إن انقطعت سلسلة تسبيحي لقد كانت
يدي في ساعد الساقي الذي ساعده فضيًّا

وبيانه أوضح من ذلك يطلب من شرح اللاّهيجى على گلشن راز للشبستري (ص١٩٨ من الطبع الأوَّل)، ومن شرح الأمير إسماعيل الشنب غازاني التبريزي على فصوص الفارابي (ص٧١) رحمة الله عليهم.

وقوله: «وأنت في بدنك كأنك» الخ، ومنه أخذ الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا كلامه في أول النمط التاسع في مقامات العارفين: فكأنهم وهم في جلابيب من أبدانهم قد نضوها وتجرّدوا عنها إلى عالم القدس الخ، وكأن هذا الكلام مأخوذ من مشكاة الولاية العلوية حيث قال إمام المُوحّدين علي بن أبي طالب عليه السلام في صفة الزهاد: «كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها» الخ (نهج البلاغة آخر المختار ٢٢٨ من باب

الخطب) وحيث قال عليه السلام لكميل بن زياد: «صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى» الخ (المختار ١٤٧ من باب الحكم والمواعظ من النهج)، وإلى هذا المعنى أشار السعدي بقوله، ما ترجمته:

هل سمعت وجوداً حاضراً وغائباً في آنٍ واحد،
فأنا مع الجمع ولكن قلبي في مكانٍ آخر

وقوله: «فترى ما لا عين رأت»، مأخوذ من حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

وقوله: «فاتخذ لك عند الحق فرداً»، كأنما إشارة إلى قوله تبارك وتعالى: **﴿لا يملكون الشفاعة إلاّ من اتّخذ عند الرّحمن عهداً﴾** [مريم: ٨٨]، وقوله: إلى أن تأتيه فرداً إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾** [مريم: ٩٦].

معرفة النفس والعوالم الوجودية

ثم اعلم أن معرفة النفس هي مرقاة إلى معرفة الرب، ومَن عرف نفسه فقد عرف ربه كما تقدمت الإشارة إليه إجمالاً، وفي الخبر المروي تارة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام كما في الصافي للفيض قدس سره، وأخرى عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كما في المجلي لابن جمهور الأحسائي رضوان الله عليه: «الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهدة على كل غائب، وهي الحجّة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الجسر (الصراط ـ خ ل) الممدود بين الجنة والنار».

وهذا الخبر الشريف باب بل أبواب إلى معارف حقّة وأسرار مكنونة، ولعمري جدير أن يقال فيه «كل الصيد في جوف الفراء»، شرحه يخرجنا إلى الإسهاب، ويجرّنا إلى تأليف رسالة على حده أو كتاب، وحيث إن الصورة الإنسانية هي مجموع صور العالمين قالوا في حدّ الفلسفة: «هي معرفة الإنسان نفسه» كما في رسالة الكندي في حدود الأشياء ورسومها (ص١٧٣ من طبع مصر) وقد أتى الكندي فيها في حدّ الفلسفة بستة حدود من القدماء وهذا أحدها، وقال بعد نقله الحدّ المذكور: وهذا قول شريف النهاية بعيد الغور مثلاً أقول: إن الأشياء إذا كانت أجساماً ولا أجسام، وما لا أجسام إما جواهر وإما أعراض، وكان الإنسان هو الجسم والنفس والأعراض، وكانت النفس جوهراً لا جسماً فإنه إذا عرف ذاته عرف الجسم بأعراضه والعرض الأول والجوهر

الذي هو لا جسم فإذن إذا علم ذلك جميعاً فقد علم الكل، ولهذه العلّة سمّى الحكماء الإنسان العالم الأصغر.

وقال العارف المتنزّه الميرزا جواد الملكي قدس سره في كتابه المسمى بلقاء الله: «إن الإنسان له عوالم ثلاثة: عالم الحس والشهادة، وعالم الخيال والمثال، وعالم العقل والحقيقة، فمن جهة أن إنيّته الخاصة إنما بدأت من عالم الطبيعة كما في الآية الكريمة المباركة **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾** صار عالمه هذا له بالفعل وعرف نفسه وحقيقته بعالمه هذا، بل لو سمع من عارف أو عالم عالميه الآخرين أنكره، بل لو أخبره أحد بصفات عالمه العقلي لكفّره، وذلك لأن عالمه الطبيعي له بالفعل وعالميه الآخرين بالقوة، ولم ينكشف له بالكشف التام إلا عالم الطبيعة، وآثار من عالم المثال، وشيء قليل من عالمه العقلي.

وإنسانيته إنما بعالمه العقلي وإلا فهو مشترك مع سائر بني جنسه من الحيوان في عالميه الآخرين، وإن كان عالماه الآخران أيضاً من جهة المرتبة أشرف من عالمي سائر الحيوانات.

وبهذه العوالم الثلاثة وترتيبها وقع التلويح بل التصريح في دعاء سجدة ليلة النصف من شعبان عن النبي ﷺ حيث قال فيها: «وسجد لك سوادي وخيالي وبياضي».

وبالجملة فعالمه الحسيّ عبارة عن بدنه الذي له مادة وصورة، وعالمه المثالي عبارة عن عالمه الذي حقائقه صور عارية عن المواد، وعالمه العقلي عبارة عن عالمه الذي هو حقيقته ونفسه بلا مادة ولا صورة.

ولكل من هذه العوالم لوازم وآثار خاصة لازمة لفعليتها، فمن انغمر في عالم الطبيعة وتحقّقت بآثارها وتحرّكت بحكمها وضعفت فيه آثار عالمه العقلي فقد أخلد إلى الأرض وصار موجوداً بما هو حيوان بل أضلّ من الحيوان كما هو الصريح في قوله تعالى: **﴿إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾**، ومَن ترقّى إلى العالم العقلي وغلب آثاره على آثار عالميه الطبيعي والخيالي وكان

الحاكم في مملكة وجوده العقل يصير موجوداً روحانياً حتى يتكامل في العقلانية وانكشف له حقيقته ونفسه وروحه فإذا ترتفع عنه الحجب الظلمانية بل النورانية أو غالبها بينه وبين معرفة الله جل جلاله ويتحقق في حقه قوله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

وإذا تمهّد لك هذه الإجماليات فراجع إلى تفصيل لوازم كل عالم من العوالم واشتغل بتدبير السفر وتوكّل على الرب الرحيم واستعن منه وتوسّل بأوليائه في كل جزئي وكلي من شؤونك:

واعلم أن هذا العالم الحسي هو عالم الموت والفناء والفقد والظلمة والجهل، وهو ذات مادة وصورة سائلتين زائلتين دائم التغير والانقسام ولا شعور له ولا إشعار إلا بتبعية العالمين الآخرين وإنما ظهوره للحسّ بتوسط الأعراض من حيث وحدته الاتصالية، أما من حيث كثرته المقدارية المتجزّية عند فرض القسمة فكل واحد من الأجزاء معدوم عن الآخر ومفقود عنه، فالكل غائب عن الكل ومعدوم عنه وذلك من جهة أن المادة مصحوبة بالعدم بل هو جوهر مظلم وأول ما ظهر من الظلام.

ولأنها في ذاتها بالقوة وبما لها في أصلها من عالم النور تقبل الصور النورية وتذهب ظلماتها بنور صورها فهذه النشأة اختلط نورها بظلامها وضعف وجودها وظهورها، ولضعفها احتاجت إلى مهد المكان وظئر الزمان وأهله المخصوصون بها أشقياء الجن والإنس والحيوان والنبات والجماد، وفي الحديث القدسي: «ما نظرت إلى الأجسام منذ خلقتها»، وهم الذين علومهم مختصة بهذا العالم ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون، ولم يتجاوز علمهم عن المحسوسات ولم يعرفوا من العوالم العالية إلا الأسماء، وكلما سمعوا حكاية منها قدّروا له لوازم عالمهم وأنكروا ما يقال لهم من لوازم غير عالمهم.

وبالجملة مرعيهم ومأنسهم ووطنهم هذا العالم المحسوس وملاذهم ومقاصدهم كلها من مألوفات هذا العالم وهم الذين قلنا إنهم من الذين أخلدوا إلى الأرض وهم يعتقدون أن أنفسهم هو هذا البدن وأرواحهم هي الروح

الحيواني، وأن الجماد كلها موجودات متأصلة متحققة وجواهر قائمة بذواتها مخلوقة في عالمها وحيّزها، وأن موجودات العوالم الأخر على القول بها موجودات اعتبارية خيالية لا حقيقة لها وأن اللذة إنما هي في المأكل والمشرب والمنكح وجاه هذا العالم، وذكرهم وفكرهم وخيالهم وآمالهم وعولمهم كلها متعلّقة بالمحسوسات وأُنسهم بها يحبّونها ويستأنسون بها، ويشتاقون لما لم يصلوا إليه من زخارفها وحلوها وخضرتها بل يعشقونها وشغفهم حبها كالعاشق المستهتر.

فمن كان منهم مع ذلك مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولكن بإيمان مستقر غير زائل عند الموت لضعفه وقلة نوره وشدة ظلمة المعاصي وخلط مع ذلك عملاً صالحاً وآخر سيئاً أولئك ممن يرجى له المغفرة ولو بعد حين.

وأما الطائفة الأولى فهم الأشقياء الكافرون ليس لهم في الآخرة إلا النار لأنهم من أهل السجّين، ويوم القيامة إذا ميّزت الحقائق والتحقت الفروع بالأصول التحق ما في هذا العالم من النور إلى عوالمه وبقي ظلمتها ونارها وتبدلّت صور كل واحد من الأفعال والأخلاق بما يناسب عالم القيامة من الحيات والعقارب وعذب بها فاعلها ومختلقها، و﴿**من كان يريد الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك ليس لهم في الآخرة إلا النار**﴾.

ولو فرض لهم عمل خير يوفّ إليهم في حياتهم الدنيا أو ينقص بقدره من عذابهم في الآخرة وبالجملة أن الإنسان لما خلق ابتداء من هذه الأرض فإن بقي فيها بعدما خلق فيه الروح والعقل واستأنس بها وألف لذاتها كان ممن أخلد إلى الأرض فيوم القيامة ملتحق بالسجّين.

وإن خلص منها بعد ذلك بمعنى أن تحقق بآثار العقل والروح وصار جسداً عقلانياً، وهيكلاً نورانياً فيوم القيامة يرتقي إلى أعلى عليّين، وبعبارة أوضح خلق الله الإنسان في أول ما خلق من سلالة من طين، وبقي مدة في صورة السلالة والنطفة والعلقة والمضغة والعظم واللحم، ثم أعطاه الحياة وبقي

حياً إلى أن وهبه قوة الحركة والبطش، وبقي على ذلك حتى وهبه قوة التميّز بين النافع والضار فأراد النافع وكره الضار فإن اتبع إرادته لإرادة الله جل جلاله في جميع حركاته وسكناته ولم يبق له إرادة مخالفة لإرادته تعالى فهذا مقام الرضا وهذا الشخص دائماً يكون في الجنة ولهم فيها ما يشاؤون ولذلك كان اسم خازن الجنة «الرضوان».

وفي حديث المعراج أن الله قال: «فمن عمل برضاي ألزمته (الزمه - خ ل) ثلاث خصال: أعرّفه شكراً لا يخالطه جهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبّتي محبّة المخلوقين».

ثم إن عرف أن قدرته منتفية في قدرة الله ولم ير قدرة لغير الله لا لنفسه ولا لغيره فهو مقام التوكّل **﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾**.

ثم إن وُفّق مع ذلك أن ينفي علمه أيضاً في علم الله لئلا يكون بنفسه شيئاً فهذا مقام الوحدة (التوحيد - خ ل) **﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾**.

فإن اتبع إرادة نفسه وعمل في حركاته وسكناته بهواه، والحق لا يتبع بهوى غيره، فيخالف هواه مع هوى الحق فيكون هوى الحق ولا يكون هواه وحيل بينهم وبين ما يشتهون، إلى أن يوصله الهوى إلى الهاوية ويقيده بالأغلال والسلاسل في جميع مراداته وهذا شأن المماليك بالنسبة إلى مراداتهم ولذلك سمي خازن جهنم «مالكاً».

وإن تخلّف عن التوكّل يقع في الخذلان، وإن تخلف عن جليل مرتبة التوحيد (الوحدة - خ ل) رد إلى سفلى الدركات وهي دركة اللعنة **﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾** إلى أن قال قدس سره:

ولا يذهب عليك أن ما ذكرنا من العوالم إنما هي داخل هذا العالم وليس خارجاً عنه، بمعنى أن هذا العالم حالة وكيفية للموجودات في حد ومرتبة من الوجود وعالم المثال حالة وكيفية أخرى ألطف من هذه الكيفيات في باطن هذا العالم وليس خارجاً منه، فمن كان له نور لعينه الحسيّة واجتمع بنور الشمس أو القمر الحسيّين يرى العالم الحسي بكيفيات حسيّة وصور حسيّة، ومن كان

لعينيه المثالية نور مثالي واجتمع نوره بنور الكواكب المثالية يرى مثال هذا العالم بكيفيات مثالية وصور مثالية فإن كيفيات العوالم وصورها مختلفة كل بحسبها ومناسبتها وهكذا.

ويكشف عن هذا الاختلاف الرؤيا وتعبيرها بما يرى واقعة مطابقاً لصورتها المثالية يرى النائم اللبن ويفسّره المعبّر بالعلم ويقع في الواقع ما يرى على وفق التعبير.

ويكشف عن ذلك أيضاً الأخبار الكثيرة الواردة في أحوال البرزخ والقيامة وتجسيم الأعمال بما يناسبها من الصور، فحصل من جميع ما قلنا أن الموجود الحق الواقعي إنما هو الذات جل جلاله في عالمها وسائر العوالم إنما هو شأن من شؤون وتجلي من تجلياتها مثلاً تجلى بالتجلي الأول فوجد منه العالم العقلي ثم تجلى ثانياً فظهر العالم النفسي، وهكذا إلى أن خلق هذا العالم الحسي ففي الخارج موجود حقيقي حق ثابت وشؤونه فكل شأن من شؤونه عبارة عن عالم من العوالم تام في مرتبته ولكل عالم آثار وصفات حتى ينتهي إلى أحسن العوالم وأكثفها وأضيقها وهو هذا العالم المحسوس وهذا العالم كيفية خاصة وصور وحدود شتى لازم لهذه المرتبة من الوجود، ووجوده وآثاره مخصوصة بعالمها وهكذا.

وعالم الرؤيا إنما هو من عالم المثال، فكلما يرى فيها فهو من هذا العالم أرضها وسماؤها وجمادها ونباتها بل وصور المرايا أيضاً منه والصور الخيالية أيضاً منه، وهذا العالم عالم واسع بل عوالم كثيرة بل قيل إن في عالم المثال ثمانية عشر ألف عالم.

وحكي عن بعض العرفاء «أنه كلما ورد في الشرع مما ظاهره مجاز في عالمنا فقد وجدناه في بعض هذه العوالم حقيقة من غير تجوز فكما أن كلما يراه النائم في الرؤيا إنما هو حال وكيف مثالي يظهر لنفسه في عالم المثال فكذلك ما يراه اليقظان في عالمنا هذا الحسيّ حال وكيف حسيّ يظهر لنفسه في عالم الحس - إلى أن قال رضوان الله عليه:

والإدراك لا يمكن إلا بنيل المدرك لذات المدرك، وذلك إما بخروجه

من ذاته إلى أن يصل إليه أو بإدخاله إياه في ذاته وكلاهما محال إلاّ أن يتحد معه ويتصوّر بصورته فالذات العالمة ليست بذاتها بعينها هي الذات الجاهلة، فالعلم بالأجسام لا يتعلق بوجوداتها الخارجية لأن صورها بما هي هي ليست حاصلة بهذا النحو من الحصول الاتحادي إلا لموادها وليست حاصلة لأنفسها وحصولها لموادها ليس بنحو العلمي إذ هي أمر عدميّ ليست إلا جهة القوة في الوجودات فليس لها في أنفسها ذات يصح أن يدرك شيئاً ويعلمه وإذا لم يكن الصور الخارجية للأجسام مما يصح أن يحصل لها شيء الحصول المعتبر في العلم ولا هي حاصلة لما يصح له أن يعلمها فليست هي عالمة بشيء أصلاً ولا لشيء أن يعلمها بعينها كما هي فهي إذاً معلومة بالقوة بمعنى أن في قوتها أن ينتزع منها عالم صوراً فيعملها أي يتصور بمثل صورها لاستحالة انتقال المنطبعات في المواد فالمعلوم بالذات من كل شيء ليس إلا صوراً إدراكية قائمة بالنفس متّحدة معها لا مادة خارجية.

فالمعلوم بالفعل ليس إلا لعالمه فكل عالم معلومه غير معلوم عالم آخر وهو في الحقيقة عالم وعلم ومعلوم، هذا.

والمقصود من التعرض بهذه التفصيلات التنبيه إلى الفكر في معرفة النفس وكيفية الترقي منها إلى معرفة الرب، والاستدلال بما يستحكم به تصديق ذلك وأن يتفطن المبتدي لأصول تنفع في فكره، وإلا فليس كيفية التفكر إلاّ أن يشتغل المتفكّر تارة لتجزية نفسه، وأخرى لتجزية العالم حتى يتحقق له أن ما يعلمه من العالم ليس إلا نفسه وعالمه لا العالم الخارجي، وأن هذه العوالم المعلومة له إنما هو مرتبة من نفسه وحتى يجد نفسه لنفسه ما هي؟! ثم ينقّي عن قلبه كل صورة وخيال ويكون فكره في العدم حتى تنكشف له حقيقة نفسه أي يرتفع العالم من بين يديه ويظهر له حقيقة نفسه بلا صورة ولا مادة، وهذا هو أول معرفة النفس ولعل إلى ذلك أشير في تفسير قوله تعالى: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**﴾ [الزمر: ٢٤] حيث سئل عنه وقال عليه السلام: «نور يقذفه الله في قلبه فيشرح صدره، قيل: هل لذلك من علامة؟ قال عليه السلام: علامته التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت».

ولعل العامة لا يعتقدون في معنى التجافي إلا الزهد في شهوات الدنيا، ولا يتصورون معنى للتجافي الحقيقي الذي هو ارتفاع الغرور الواقع في هذا العالم لأهله وعدم رؤية الأشياء كما هي الذي هو شأن العامة الذين لم يبلغوا بعد معرفة النفس بهذه المعرفة» انتهى ما أردنا من نقل كلامه نوّر الله تعالى رمه. وقد أجاد فيما أفاد وكتابه في لقاء الله ممتّع جداً لله درّه مؤلفاً.

وكلامه ـ ره ـ في النشآت الثلاثة الإنسانية تشير إلى ما برهنه المتألّه المولى صدرا في الرابع من الأسفار حيث قال قدس سره:

حكمة عرشية: إن للنفس الإنسانية نشآت ثلاثة إدراكية: النشأة الأولى هي الصورة الحسيّة الطبيعية ومظهرها الحواس الخمس الظاهرة ويقال لها «الدنيا» لدنوّها وقربها لتقدمها على الأخيرتين، وعالم الشهادة لكونها مشهودة بالحواس وشرورها وخيراتها معلومة لكل أحد لا يحتاج إلى البيان وفي هذه النشأة لا يخلو موجود عن حركته واستحالته ووجود صورتها لا تنفك عن وجود مادتها.

والنشأة الثانية هي الأشباح والصور الغائبة عن هذه الحواس ومظهرها الحواس الباطنة ويقال لها عالم الغيب والآخرة لمقايستها إلى الأولى لأن الآخرة والأولى من باب المضاف، ولهذا لا يعرف إحداهما إلا مع الأخرى كالمتضائفين كما قال تعالى: **﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون﴾**، وهي تنقسم إلى الجنة وهي دار السعداء، والجحيم وهي دار الأشقياء، ومبادىء السعادات والشقاوات فيهما هي الملكات والأخلاق الفاضلة والرذيلة.

والنشأة الثالثة هي العقلية وهي دار المقرّبين ودار العقل والمعقول، ومظهرها القوة العاقلة من الإنسان إذا صارت عقلاً بالفعل، وهي لا تكون إلا خيراً محضاً ونوراً صرفاً فالنشأة الأولى دار القوة والاستعداد والمزرعة لبذور الأرواح ونبات النيات والاعتقادات، والأخريتان كل منهما دار التمام والفعلية، وحصول الثمرات وحصاد المزروعات».

وقد أفاد قدس سره هذا المطلب الأرفع الأعلى في عدة مواضع من الأسفار فراجع إلى ص١٧، وص٢١، وص٩٧، وص١٣١ من ج٩.

وإذا دريت أن الصورة الإنسانية هي مجموع صور عالمي الأمر والخلق فادر أيضاً أن الإنسان إذا كان مراقباً لقلبه وحارساً له عن ولوج الأجانب والأغيار، وناظراً إلى ربه ومستشعراً جانب الله عز وجل ومنصرفاً بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره يلوح له ملكوت السموات والأرض ويرتقي إلى أعلى علّيّين، ويصافحه الملائكة المقرّبين، قال عز من قائل: **﴿إنَّ الذين قالوا ربّنا الله ثمَّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون * نزلاً من غفور رحيم﴾** [حم السجدة، فصّلت: ٣١ ـ ٣٣]، وقد تقدَّم في صدر الرسالة كلام العارف السهروردي: الفكر في صورة قدسية يتلطّف بها طالب الأريحيّة.

وفي باب تنقل أحوال القلب من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي (ص٣٠٩ ج٢ من المعرب) بإسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أما إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل نكاد أن نحوّل عن التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شيء أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلاّ إنَّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء» ـ الخبر.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولا إن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».

قوى النفس

قال الكندي في رسالته في النفس: «إنَّ النفس بسيطة ذات شرف وكمال عظيمة الشأن، جوهرها من جوهر الباري عز وجل كقياس ضياء الشمس من الشمس.

وقد بيّن أن هذه النفس منفردة عن هذا الجسم مباينة له وأن جوهرها جوهر إلهي روحاني بما يرى من شرف طباعها ومضادّتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب.

وذلك أن القوة الغضبية قد تتحرك على الإنسان في بعض الأوقات فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم فتضادّها هذه النفس وتمنع الغضب من أن يفعل فعله أو أن يرتكب الغيظ وترته، وتضبطه كما يضبط الفارس الفرس إذا همّ أن يجمح به أو يمدّه.

وهذا دليل بيّن على أن القوة التي يغضب بها الإنسان غير هذه النفس التي تمنع الغضب أن يجري إلى ما يهواه لأن المانع لا محالة غير الممنوع لأنه لا يكون شيء واحد يضادّ نفسه، فأما القوة الشهوانية فقد تتوق في بعض الأوقات إلى بعض الشهوات ففكر النفس العقلية في ذلك أنه أخطأ وأنه يؤدي إلى حال رديّة فتمنعها عن ذلك وتضادها، وهذا أيضاً دليل على أن كل واحدة منهما غير الأخرى.

وهذه النفس التي هي من نور الباري عز وجل إذا هي فارقت البدن علمت كل ما في العالم ولم يخف عنها خافية، والدليل على ذلك قول أفلاطن حيث يقول: إن كثيراً من الفلاسفة الطاهرين القدماء لما يتجرّدوا من الدنيا

وتهاونوا بالأشياء المحسوسة وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الأشياء انكشف لهم الغيب، وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم واطّلعوا على سرائر الخلق.

فإذا كان هذا هكذا، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن في هذا العالم المظلم الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة فكيف إذا تجردت هذه النفس، وفارقت البدن، وصارت في عالم الحق الذي فيه نور الباري سبحانه؟!.

ولقد صدق أفلاطن في هذا القياس وأصاب به البرهان الصحيح، ثم إن أفلاطن أتبع هذا القول بأن قال: فأما مَن كان غرضه في هذا العالم التلذّذ بالمآكل والمشارب المستحيلة إلى الجيف، وكان أيضاً غرضه في لذّة الجماع فلا سبيل لنفسه العقلية إلى معرفة هذه الأشياء الشريفة ولا يمكنها الوصول إلى التشبّه بالباري سبحانه.

ثم إن أفلاطن قاس القوة الشهوانية التي للإنسان بالخنزير، والقوة الغضبية بالكلب، والقوة العقلية التي ذكرنا بالملك، وقال: مَن غلبت عليه الشهوانية وكانت هي غرضه وأكثر همته فقياسه قياس الخنزير، ومَن غلب عليه الغضبية فقياسه قياس الكلب، ومَن كان الأغلب عليه قوة النفس العقلية وكان أكثر أدبه الفكر والتمييز ومعرفة حقائق الأشياء، والبحث عن غوامض العلم كان إنساناً فاضلاً قريب الشبه من الباري سبحانه لأن الأشياء التي نجدها للباري عز وجل هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والحق.

وقد يمكن للإنسان أن يدبّر نفسه بهذه الحيلة حسب ما في طاقة الإنسان فيكون حكيماً عدلاً جواداً خيّراً يؤثر الحق والجميل، ويكون بذلك كله بنوع دخل دون النوع الذي للباري سبحانه من قوته وقدرته لأنها إنما اقتبست من قربها قدرة مشاكلة لقدرته، فإن النفس على رأي أفلاطن وجلّة الفلاسفة باقية بعد الموت جوهرها كجوهر الباري عز وعلا في قوتها إذا تجرّدت أن تعلم سائر الأشياء كما يعلم الباري بها أو دون ذلك برتبة يسيرة، لأنها أُودعت من نور الباري جل وعز.

وإذا تجردت وفارقت هذا البدن وصارت في عالم العقل فوق الفلك صارت في نور الباري، ورأت الباري عز وجل وطابقت نوره وجلّت في ملكوته فانكشف لها حينئذ علم كل شيء، وصارت الأشياء كلها بارزة لها كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل، لأنا إذا كنا ونحن في هذا العالم الدنس قد نرى فيه أشياء كثيرة بضوء الشمس فكيف إذا تجردت نفوسنا، وصارت مطابقة لعالم الديموميّة وصارت تنظر بنور الباري فهي لا محالة ترى بنور الباري كل ظاهر وخفيّ وتقف على كل سرّ وعلانية.

وكان أفسقورس يقول: إن النفس إذا كانت وهي مرتبطة بالبدن تاركة للشهوات متطهّرة من الأدناس، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق الأشياء انصقلت صقالة ظاهرة واتّحد بها صورة من نور الباري يحدث فيها ويكامل نور الباري بسبب ذلك الصقال الذي اكتسبه من التطهر فحينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلها ومعرفتها كما يظهر صور خيالات سائر الأشياء المحسوسة في المرآة إذا كانت صقيلة، فهذا قياس النفس لأن المرآة إذا كانت صدئة لم يتبين صورة شيء فيها بتّة، فإذا زال منها الصدء ظهرت وتبينت فيها جميع الصور، كذلك النفس العقلية إذا كانت صدئة دنسة كانت على غاية الجهل ولم يظهر فيها صور المعلومات وإذا تطهّرت وتهذّبت وانصقلت، وصفاء النفس هو أن النفس تتطهّر من الدنس وتكتسب العلم ظهر فيها حينئذ صورة معرفة جميع الأشياء، وعلى حسب جودة صقالتها تكون معرفتها بالأشياء، فالنفس كلما ازدادت صقالاً ظهر لها وفيها معرفة الأشياء.

وهذه النفس لا تنام بتّة لأنها في وقت النوم تترك استعمال الحواس وتبقى محصورة، ليست بمجرَّدة على حدتها، وتعلم كل ما في العوالم وكل ظاهر وخفي ولو كانت هذه النفس تنام لما كان الإنسان إذا رأى في النوم شيئاً يعلم أنه في النوم بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة.

وإذا بلغت هذه النفس مبلغها في الطهارة رأت في النوم عجائب من الأحلام وخاطبتها الأنفس التي قد فارقت الأبدان وأفاض عليها الباري من نوره ورحمته فتلتذ حينئذ لذّة دائمة فوق كل لذّة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح

والسماع والنظر والشمّ واللمس، لأن هذه لذات حسية دنسة تعقب الأذى، وتلك لذة إلهية روحانية ملكوتية تعقب الشرف الأعظم، والشقي المغرور الجاهل من رضي لنفسه بلذّات الحس وكانت هي أكثر أغراضه ومنتهى غايته.

وإنما نجيء في هذا العالم في شبه المعبر والجسر الذي يجوز عليه السيارة ليس لنا مقام يطول، وأما مقامنا ومستقرّنا الذي نتوقع فهو العالم الأعلى الشريف الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت حيث تقرب من باريها، ونقرب من نوره ورحمته، ونراه رؤية عقلية لا حسيّة، ويفيض عليها من نوره ورحمته، فهذا قول أفسقورس الحكيم» انتهى ما نقلنا عن الفيلسوف الكندي.

وقد صدر هذه النكات اللطيفة الشريفة عن قلوب نقية، وهي كلمات اقتبست من مشكاة الأنبياء غاية الأمر بوسائط، والملهم المبتدع القديم حق عليم منه عظيم.

قوله: «جوهرها من جوهر الباري» يعني أنها من عالم الأمر الحكيم قال عز من قائل: **﴿قل الروح من أمر ربي﴾** [الإسراء: ٨٦] **﴿ونفخت فيه من روحي﴾** [ص: ٧٣].

وقوله: «كقياس ضياء الشمس من الشمس» شريف جداً وقد قال الإمام كشّاف الحقائق وارث علوم النبيين أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها» رواه ثقة الإسلام الكليني قدس سره في باب «أخوة المؤمنين بعضهم لبعض» من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي (ص٣٣ ج٢ من المُعرَّب).

قوله: «إذا هي فارقت البدن علمت كل ما في العالم»، قال تبارك وتعالى: **﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾** [ق: ٢٤].

وقوله: «ثم إن أفلاطن قاس القوة الشهوانية التي للإنسان بالخنزير» الخ كلام شريف أيضاً ومن هنا يعلم أيضاً حشر الناس على صور نيّاتهم وأن الجزاء

في الآخرة بنفس العمل وقد وردت في ذلك روايات كثيرة من بيت الوحي والعصمة والطهارة ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يحشر الناس على صور نيّاتهم»، وفي الآخر عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ: يا رسول الله ما رأيت قول الله تعالى: **﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾** الآيات؟ فقال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميّزهم الله من المسلمين وبدَّل صورهم: فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صُمّ بُكْم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على رؤوسهم فآكلوا الربا، والعمي الجائرون في الحكم، والصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسّعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللّذات ويمنعون حق الله تعالى في أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر والخيلاء».

وهذا الحديث قد رواه الفريقان في الجوامع وكتب التفسير وفي الحديث عنه ﷺ: «من خالف الإمام في أفعال الصلاة يحشر ورأسه رأس حمار»، وقد روى الكليني في باب الكبر من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي (ص٢٣٥ ج٢ من المعرب) بإسناده عن داود بن فرقد عن أخيه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إن المتكبرين يجعلون في صور الذرّ يتوطّأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب».

وفي الحديث عنه ﷺ: «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون» وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي قوماً تقرض شفاههم، وكلما قرضت وفت، فقال لي جبرائيل: هؤلاء خطباء أمّتك تقرض شفاههم لأنهم يقولون ما لا يفعلون»، رواه علم الهدى سيد المرتضى في المجلس الأول من أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد (ص٦ من ج١ من طبع مصر).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة بعض علماء السوء: «فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان».

وفي حديث الريّان بن شبيب عن ثامن الأئمة علي بن موسى الرضا عليه السلام: «يا ابن شبيب إن سرَّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله تعالى معه يوم القيامة» رواه المجلسي رحمة الله عليه في عاشر البحار (ص١٦٥ من طبع الكمباني) عن عيون أخبار الرضا وأمالي الصدوق.

قلت: كنت ذات ليلة متفكراً في أمري من حشري معادي وناظراً في صحيفة عملي، ويوم عرضي للحساب ونحوها إذ رأت فيما رأيت في صقع نفسي شيئاً لازباً بها جدًا، محشوراً عندها غير منفك عنها، ولما أمعنت النظر فيه عرفته، وكان نسخة مخطوطة من كتاب، قد كنت أحبها شديداً فعندئذ حضر وخطر بالبال، قوله عليه السلام: «فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله تعالى معه يوم القيامة» فإن الكتاب جماد كالحجر ولا فرق بينهما من هذه الحيثية.

ومن تلك البراهين النقلية المعاضدة للعقلية قال أساطين الحكمة: إن حشر الخلائق في الآخرة على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وأخلاقهم فلقوم على سبيل الوفد، **﴿يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً﴾**، ولقوم على سبيل التعذيب **﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾**، ولقوم **﴿نحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾** ولقوم **﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**، وبالجملة كل أحد إلى غاية سعيه وعمله وإلى ما يحبه ويهواه حتى أنه لو أحب حجراً لحشر معه لقوله تعالى: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾**، وقوله

تعالى: ﴿**احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾.

والمراد بأزواجهم الملكات وصورها فإن تكرر الأفاعيل يوجب الملكات وكل ملكة تغلب على نفس الإنسان تتصور في القيامة بصورة تناسبها، ﴿**قل كل يعمل على شاكلته**﴾ ولا شك أن أفاعيل الأشقياء المدبرين إنما هي بحسب هممهم القاصرة النازلة في مراتب البرازخ الحيوانية وتصوراتهم مقصورة على أغراض بهيمية أو سبعية أو شيطانية تغلب على نفوسهم فلا جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات، ﴿**وإذا الوحوش حُشرت**﴾، وفي الحديث عنه ﷺ «يُحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير»[1]، وفيه أيضاً «يُحشر الناس يوم القيامة ثلاث أصناف: ركباناً، ومشاة، وعلى وجوههم».

والسرّ في ذلك أن لكل خُلق من الأخلاق المذمومة والهيئات الردية المتمكنة في النفس صورة نوع من أنواع الحيوانات وبدن يختص بذلك كصور أبدان الأسود ونحوها لخلق التكبّر والتهوّر مثلاً، وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان، وأبدان القرود ونحوها للمحاكاة والسخرية، والخنازير للحرص والشهوة إلى غير ذلك.

وربما كان لشخص واحد من الإنسان عدد كثير من الأخلاق الردية على مراتب متفاوتة فبحسب ذلك تختلف الصور الحيوانية في الآخرة قال الله عز وجل: ﴿**يوم تشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**﴾.

قال المُلاّ صدرا قدس سره في مبحث الحشر من الأسفار: «إن في داخل بدن كل إنسان ومكمن جوفه حيواناً صورياً بجميع أعضائه وأشكاله وقواه وحواسّه هو موجود قائم بالفعل لا يموت بموت هذا البدن، وهو المحشور يوم القيامة بصورته المناسبة لمعناه وهو الذي يثاب ويعاقب وليست حياته كحياة هذا البدن المركب عرضيّة واردة عليه من الخارج وإنما حياته كحياة النفس ذاتية وهو حيوان متوسط بين الحيوان العقلي والحيوان الحسيّ يحشر في القيامة على صورة هيئات وملكات كسبتها النفس بيدها العمالة، وبهذا يرجع

ويؤول معنى التناسخ المنقول عن الحكماء الأقدمين كأفلاطن ومن سبقه مثل سقراط وفيثاغورس وغيرهما من الأساطين، وكذا ما ورد في لسان النبوات، وعليه يحمل الآيات المشيرة إلى التناسخ، وكذا قوله تعالى: **﴿وإذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾**، وقوله تعالى: **﴿ويوم نحشر من كلّ أمّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فيهم يوزعون﴾**، وقوله تعالى: **﴿يومئذ يتفرّقون﴾**، كل ذلك إشارة إلى انقلاب النفوس في جوهرها وصيرورتها من أفواج الأمم الصامتة وخروجها يوم النشور إذا بعثرها في القبور وحصّل ما في الصدور على صورة أنواع الحيوانات من السباع والموذيات والبهائم والوحوش والشياطين».

وقال في المبدأ والمعاد (ص٣٢٥): «قال بعض العرفاء: كل مَن شاهد بنور البصيرة باطنة في الدنيا لرآه مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسه وتنهشه إن سهى عنه بلحظة، إلاّ أن أكثر الناس لكونه محجوب العين عن مشاهدتها فإذا كشف الغطاء ووضع في قبره عاينها وقد تمثلت له بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فيرى بعينه العقارب والحيات قد أحدقت به وإنما هي صفاته الحاضرة الآن قد انكشفت له صورها، فإن أردت يا أخي أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل وإلا فوطّن نفسك على لدغها ونهشها بصميم قلبك فضلاً عن ظاهر بشرتك وجسمك».

وقول الكندي كان أفسقورس يقول «إن النفس» الخ، يقصد بأفسقورس فيثاغورس الفيلسوف المشهور من أعاظم الحكماء الأقدمين قد استفاد من مشكاة النبوة وله في نضد العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه رموز عجيبة وأغراض بعيدة وله في شأن المعاد مذاهب قارب فيها «أبيذقلس» من أن عالماً فوق عالم الطبيعة روحانياً نورانياً لا يدرك العقل حسنه وبهاءه، وأن الأنفس الزكية تحتاج إليه، وأن كل إنسان أحسن تقويمه بالتبرّؤ من العجب والتجبّر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية فقد صار أهلاً أن يلحق بالعالم الروحاني ويطلع على ما شاع (يشاء خ ل) من جواهره من الحكمة الإلهية،

وأن الأشياء الملذة للنفس تأتيه حشداً إرسالاً كالألحان الموسيقية الآتية إلى حاسة السمع فلا يحتاج إلى أن يتكلف لها طلباً» نقلناه من تاريخ الحكماء للقفطي.

ومن كلماته السامية: «أنك ستعارض لك في أفعالك وأقوالك وأفكارك وسيظهر لك من كل حركة فكرية أو قولية أو عملية صورة روحانية أو جسمانية فإن كانت الحركة غضبية أو شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حياتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك، وإن كانت الحركة عقلية صارت ملكاً تلتذ بمنادمته في دنياك، وتهتدي به في أخراك إلى جوار الله ودار كرامته» نقلناه من مبحث نشر الصحائف وإبراز الكتب من الأسفار.

وما أفاد هؤلاء الأعاظم في إنيَّة النفس وتطوراتها لطيف جداً إلا أني ما رأيت بعد قول الله تعالى ورسوله ﷺ كلاماً في النفس وأطوارها ألطف وأجمع وأتقن من كلام إمام الموحّدين وراية السالكين وقدوة المتألهين علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال لحبر من أحبار اليهود وعلمائهم: «مَن اعتدل طباعه صفى مزاجه، ومَن صفى مزاجه قوى أثر النفس فيه، ومَن قوى أثر النفس فيه سمى إلى ما يرتقيه، ومَن سمى إلى ما يرتقيه فقد تخلّق بالأخلاق النفسانية، ومَن تخلّق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، ودخل في الباب الملكي، وليس له عن هذه الحالة مغيّر فقال اليهودي: الله أكبر يا ابن أبي طالب لقد نطقت بالفلسفة جميعها» نقله العلاّمة الشيخ بهاء الدين العاملي قدس سره في أواخر المجلد الخامس من الكشكول (ص٥٩٤ من طبع نجم الدولة).

وقال في المجلد الثاني منه (ص٢٤٦) عن كميل بن زياد قال: سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن تعرّفني نفسي، فقال: يا كميل وأي الأنفس تريد أن أعرّفك؟ قلت: يا مولاي وهل هي إلا نفس واحدة؟!.

قال: يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسيّة الحيوانية،

والناطقة القدسية، والكلية الإلهية، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيّتان:

فالنامية النباتية لها خمس قوى: ماسكة، وجاذبة، وهاضمة، ودافعة ومربّية، ولها خاصيتان: الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد.

والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع، وبصر، وشم، وذوق، ولمس ولها خاصيتان: الرضا والغضب، وانبعاثها من القلب.

والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر، وذكر، وعلم، وحلم، ونباهة، وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية، ولها خاصيتان: النزاهة والحكمة.

والكلية الإلهية لها خمس قوى: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء، وعز في ذل وفقر في غناء، وصبر في بلاء، ولها خاصيتان: الرضا والتسليم وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود، قال الله تعالى: **﴿ونفخت فيه من روحي﴾**، وقال الله تعالى: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربّك راضية مرضية﴾**، والعقل وسط الكل.

وروي في كتاب الدرر والغرر أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن العالم العلوي فقال: «صور عارية عن المواد، عالية من القوة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكيها بالعلم والعقل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد» (نقلناه من الكلمة التاسعة عشر من قرّة العيون في أعز الفنون للفيض قدس سره)، وقد رواه العالم الجليل ابن شهر آشوب في المناقب أيضاً.

مكاشفات

ولنذكر ما حصل لبعض الأعاظم من التخلّص عن درن البدن، والتنزّه عن رين الرذائل النفسانية فكوشف لهم ما وراء الطبيعة ترغيباً للمشتاقين إلى السير في عالم المجردات، وأنموذجاً من عظم شأن النفس وشرفها للطالبين:

(١) قال الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي في رسالته في النفس (ص٢٧٩ من رسائل الكندي): «وقد وصف أرسطاطاليس أمر الملك اليوناني الذي تحرّج بنفسه فمكث لا يعيش ولا يموت أياماً كثيرة، كلما أفاق أعلم الناس بفنون من علم الغيب وحدّثهم بما رأى من الأنفس والصور والملائكة، وأعطاهم في ذلك البراهين، وأخبر جماعة من أهل بيته بعمر واحد واحد منهم، فلما امتحن كل ما قال لم يتجاوز أحد منهم المقدار الذي حدّه له من العمر، وأخبر أن خسفاً يكون في بلاد الأوس بعد سنة، وسيل يكون في موضع آخر بعد سنتين فكان الأمر كما قال.

قال: وذكر أرسطاطاليس أن السبيل في ذلك أن نفسه إنما علمت ذلك العلم لأنها كادت أن تفارق البدن، وانفصلت عنه بعض الانفصال فرأت ذلك فكيف لو فارقت البدن على الحقيقة؟! لكانت قد رأت عجائب من أمر الملكوت الأعلى.

فقل للباكين ممن طبعه أن يبكي من الأشياء المحزونة ينبغي أن يبكي ويكثر البكاء على من يهمل نفسه، وينهك من ارتكاب الشهوات الحقيرة الخسيسة الدنيّة المموّهة التي تكسبه الشرّة (الشره ـ خ ل) وتميل بطبعه إلى طبع البهائم ويدع أن يتشاغل بالنظر في هذا الأمر الشريف والتخلص إليه، ويطهّر

نفسه حسب طاقته، فإن الطهر الحق هو طهر النفس لا طهر البدن فإن العالم الحكيم المبرّز المتعبد لباريه، إذا كان ملطّخ البدن بأكماة فهو ند جميع الجهّال، فضلاً عن العلماء أفضل وأشرف من الجاهل الملطّخ البدن بالمسك والعنبر.

ومن فضيلة المتعبّد لله الذي قد هجر الدنيا ولذّاتها الدنيّة أن الجهال كلهم إلا من سخر منهم بنفسه يعترف بفضله ويجلّه ويفرح أن يطلع منه على الخطاء.

فيا أيها الإنسان الجاهل ألا تعلم أن مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة ثم تصير إلى العالم الحقيقي، فتبقى فيه أبد الآبدين؟» انتهى كلام الكندي تغمده الله بغفرانه.

(٢) وروى الكليني أعلى الله مقامه في باب «حقيقة الإيمان واليقين» من كتاب الإيمان والكفر من جامعه الكافي (ص٤٤ ج٢ من المُعرَّب) بإسناده عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن رسول الله ﷺ صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرًا لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله ﷺ كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله ﷺ من قوله وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الآرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله ﷺ لأصحاب: هذا عبد نوَّر الله قلبه بالإيمان ثم قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر».

وروي بعده بإسناده عن عبدالله بن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عبد نوَّر الله قلبه، أبصرت فأثبت، فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني الشهادة معك فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثم قتل».

وقال: وفي رواية القاسم بن بريد عن أبي بصير قال: «استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر».

قلت: إنما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ادع لي أن أُرزق الشهادة معك لما فيها من فضيلة سامية وكفى فيها ما قال عز من قائل: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾، وأرى في طلبه الشهادة منه صلى الله عليه وآله أن حفظ الحال أصعب من تحصيله كالمال قال شاعر العجم، ما ترجمته:

يستطيع أي كان أن يحصل على المال ولكن المَشَقّة تكمن في الاحتفاظ بهذا المـــال

وتأمّل في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال له: «الزم ما أنت عليه»، أو «أبصرت فاثبت»، أمره بلزوم ما وجده من الإيمان الكامل الذي نوّر الله به قلبه وثباته على ذلك، فإن للكمالات الحاصلة آفات كثيرة والمراقبة في حفظها وعدم زوالها لازمة جداً لمن تنعّم بها.

قال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم:

يا هشام «إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا**

بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها» (رواه الكليني ـ ره ـ في كتاب العقل والجهل من أصول الكافي الحديث ١٢).

قال الشيخ العلاّمة البهائي قدس سره كما في سلافة العصر (ص٢٩٢): سانحة: «قد تهب من عالم القدس نفحة من نفحات الأُنس على قلوب أصحاب العلائق الدينية، والعلائق الدنيوية، فتقطر بذلك مشام أرواحهم وتجري روح الحقيقة في رميم أشباحهم، فيدركون قبح الأنفاس الجسمانية، ويذعنون بخساسة الانتكاس في مهاوي القيود الهيولانية، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد وينتبهون من نوم الغفلة عن البداء والمعاد، لكن هذا التنبيه سريع الزوال، ووحي الاضمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية تميط عنهم أدناس عالم الزور وتطهّرهم من أرجاس دار الغرور، ثم إنهم عند زوال تلك النفحة القدسية، وانقضاء هاتيك النسمة الإنسية يعودون إلى الانعكاس في تلك الأدناس، فيتأسفون على ذلك الحال الرفيع المنال، وينادي لسان حالهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال، ما ترجمته:

رميت سهماً وسر جُرح قلبي، فيا طبيب المتألمين أريد مرهماً آخر

وبالجملة كأن الشاب خاف من زيغ القلب وزوال النعمة فرأى أن خروجه من الدنيا مع ذلك النور الإلهي أفضل وأحب إليه من البقاء فيها مع خوف زواله فاستحب الأول على الثاني، والله تعالى أعلم.

وقد روى ابن الأثير في أسد الغابة بإسناده عن أنس هذه الواقعة ونسبها إلى حارثة أيضاً (ص٣٥٥ ج١)، وكذا الغزالي في إحياء العلوم، لكن نسبها العارف الرومي في المجلد الأول من المثنوي إلى زيد، والظاهر أنه زيد بن حارثة.

ونسبها أبو نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء (ص٢٤٢ ج١) إلى معاذ بن جبل ورواها بإسناده عن أنس بن مالك أيضاً، ونسبها الديلمي في الباب السابع والثلاثين من كتابه إرشاد القلوب إلى سعد بن معاذ وألفاظهما واحدة والاختلاف يسير.

وفي رواية أبي نعيم أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: «كيف أصبحت يا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمناً بالله تعالى قال: إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول؟ قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة، قال: عرفت فالزم».

(٣) قال العارف المتنزه المتأله السيد حيدر الآملي قدس سره في أول كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار: «والله ثم والله لو صارت أطباق السماوات أوراقاً، وأشجار الأرضين أقلاماً، والبحور السبعة مع المحيط مداداً، والجن والإنس والملك كتّاباً لا يمكنهم شرح عشر من عشير ما شدت من المعارف الإلهية والحقائق الربانية، الموصوفة في الحديث القدسي «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، المذكورة في القرآن: **﴿فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾**.

ولا يتيسر لهم بيان جزء من أجزاء ما عرفت من الأسرار الجبروتية والغوامض الملكوتية المعبَّر عنها في القرآن بما لم يعلم لقوله تعالى: **﴿اقرأ وربّك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾** المومي إليها أيضاً بتعليم الرحمن، لقوله تعالى **﴿الرَّحمن علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان﴾** المسمّاة بكلمات الله التي لا تبيد ولا تنفد لقوله تعالى **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا بمثله مدداً﴾** ولقوله تعالى: **﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم﴾**.

(٤) وفي «سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر» (ص٤٧٩) تأليف العلاّمة السيّد عليّ صدر الدين المدني صاحب «رياض السالكين في

شرح صحيفة سيد الساجدين»، و«شرح الفوائد الصمدية في النحو»، و«الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة» وغيرها تبلغ إلى ثمانية عشر مؤلفاً في فنون متنوّعة: الأمير محمد باقر بن محمد الشهير بالداماد الحسني ـ إلى أن قال صاحب السلافة في ترجمته قدس سره: ومن غريب رسائله رسالته الخليعة وهي مما يدل على تألّه سريرته، وتقدّس سيرته، وصورتها:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد كله لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين، كنت ذات يوم من أيام شهرنا هذا، وقد كان يوم الجمعة، سادس عشر «شهر رسول الله، شعبان المكرّم» لعام ثلاث وعشرين وألف من هجرته المقدسة، في بعض خلواتي أذكر ربي في تضاعيف أذكاري وأورادي باسمه «الغني» فأكرّر يا غني يا مغني مشدوهاً بذلك عن كل شيء إلا عن التوغل في حريم سرّه والانمحاء في شعاع نوره وكأن خاطفة قدسية قد ابتدرت إليَّ، فاجتذبتني من الوكر الجثماني ففككت حلق شبكة الحس، وحللت عقد حبالة الطبيعة وأخذت أطير بجناح الروح في وسط ملكوت الحقيقة، وكأني قد خلعت بدني ورفضت عدني، ومقوت خلدي، ونضوت جسدي، وطويت إقليم الزمان، وصرت إلى عالم الدهر فإذا أنا بمصر الوجود بجماجم أمم النظام الجملي من الإبداعيات والتكوينيات والإلهيات والطبيعيات والقدسيات والهيولانيات والدهريات والزمنيات وأقوام الكفر والإيمان، وأرهاط الجاهلية والإسلام من الدارجين والدارجات والغابرين والغابرات، والسالفين والسالفات، والعاقبين والعاقبات، في الأزال والأباد، وبالجملة آحاد مجامع الإمكان ودارات عوالم الإمكان بقضّها وقضيضها وصغيرها وكبيرها بإثباتها وبإبدائها حالياتها وآتياتها وإذا الجميع زفة زفة وزمرة زمرة يجذبهم قاطبة معاملون، وجوه ماهياتهم شطر بابه سبحانه شاخصون، بأبصار نيّاتهم تلقاء جنابه جل سلطانه من حيث لا يعلمون، وهم جميعاً بألسنة فقر ذواتهم الفاخرة، وألسن فاقة هوياتهم الهالكة في صحيح الضراعة وصراخ الابتهال ذاكروه وداعوه ومستصرخوه ومناده بـ«يا غني يا مغني» من حيث هم لا يشعرون فطفقت في تلك الضجّة العقلية، والصرخة الغيبية أُخرّ مغشياً علي،

وكدت من شدة الوله والدهش أنسي جوهر ذات العاقلة وأغيب عن بصر نفسي المجردة وأهاجر ساهرة أرض الكون وأخرج من صقع قطر الوجود رأساً إذ قد ودعتني تلك الخلسة الخالسة حيناً حيوناً إليها، وخطفتني تلك الخطفة الخاطفة تائقاً لهوفاً عليها فرجعت إلى أرض التيار، وكورة البوار، وبقعة الزور، وقرية الغرور تارة أخرى» هذا منتهى الرسالة المذكورة.

(٥) قال صدر المتألّهين قدس سره في آخر الثاني من العاشر من رابع الأسفار: «إني أعلم من المشتغلين بهذه الصناعة مَن كان رسوخه بحيث يعلم من أحوال الوجود أموراً يقصر الأفهام الذكيّة عن إدراكها، ولم يوجد مثلها في زبر المتقدمين والمتأخرين من الحكماء، والعلماء، لله الحمد وله الشكر».

ولا يخفى على العارف بأساليب الكلمات أنه أراد بقوله هذا نفسه الشريفة وقال المتألّه السبزواري رضوان الله عليه: والحق معه، وتحقيقاته الأنيقة أعدل شاهد على ما أفاده، شكر الله مساعيه.

(٦) قال الشيخ الرئيس في آخر السابعة من ثامن طبيعيات الشفاء (ص٤١٧ ج١): «حكى لي رجل «بيابان دهستان» يخدّر نفسه ونفخه الحيات والأفاعي التي بها وهي قتّالة جداً والحيّات لا تنكأ فيه باللسع ولا تلسعه اختياراً ما لم يقسرها عليه، فإن لسعته حية ماتت، وحكي أن تنيناً عظيماً لسعته فماتت وعرض له حمّى يوم، ثم إني لما حصلت بـ«بيابان دهستان» طلبته فلم يعش وخلف ولداً أعظم خاصية في هذا الباب منه، فرأيت منه عجائب نسيت أكثرها وكان من جملتها أن الأفاعي تصد عن عزّه ويحتد عن نفسه ويخدر في يدره» انتهى.

وهذه الأحوال التي سمعتها نزر يسير مما رأينا في الكتب المعتبرة من العجائب الصادرة عن النفس الناطقة الإنسانية، على أن هؤلاء العظام ممن لم يبلغوا رتبة النبوّة والإمامة بل جلّهم لولا الكل اقتبسوا من مشكاة نبي أو وصي نبي فما ظنّك بالفائز إلى الخلافة الإلهية من الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين.

طرق السير إلى الله تعالى

فلنأت بعدّة أمور من مواعظ الله سبحانه ومواعظ رسوله وأهل بيته مما لا محيص عنها للسائر إلى الله تعالى فنقول:

١ ـ **القرآن الكريم** صورة الإنسان الكامل الكتبية، أعني أنه صورة الحقيقة المحمدية ﷺ **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾** فبقدر ما قربت منه قربت من الإنسان الكامل، فانظر إلى حظك منه فإن حقائق آياته درجات ذاتك ومدارج عروجك، ومن وصية إمام الثقلين أبي الحسنين علي عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية عليه السلام كما رواه صدوق الطائفة المحقة في الفقيه (الوافي ص٦٤ ج١٤):

«وعليك بتلاوة (بقراءة ـ خ) القرآن والعمل به، ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه، والتهجّد به وتلاوته في ليلك ونهارك، فإنه عهد من الله تعالى إلى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر في كل يوم في عهده ولو خمسين آية، واعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن: اقرأ وارق، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه».

وانظر بنور العقل والعلم إلى ما أفاضه وليّ الله الأعظم في كلامه هذا فإن محاسنه ولطائفه فوق أن يحوم حولها العبارة.

وقد روى علم الهدى الشريف المرتضى في الغرر والدرر عن نافع عن أبي إسحاق الهجريّ عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود عن سيد البشر ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم، وإن

أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله تعالى» (المجلس ٢٦ منه، ص٣٥٤ ج١ من طبع مصر).

قلت: تعبير القرآن «بمأدبة الله» تدرك حلاوته ولا تُوصف.

قال الشريف علم الهدى: «المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو الناس إليه فشبّه النبي ﷺ ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائدته عليه إذا قرأه وحفظ بما يناله المدعوّ من طعام الداعي وانتفاعه به، يقال: قد أدب الرجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه، ويقال للمأدبة: المدعاة، وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضاً مأدبة بفتح الدال، وقد روي هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة» وقال الأحمر: المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم.

وقال غيره: المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب، معناه أن الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وإنما دخلت الهاء في مأدُبة ومأدَبة والقرآن مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس. وكما قال عنترة: والكفر مخبثة لنفس المنعم» انتهى ما أردنا من نقل كلامه قدس سره.

فيا إخوان الصفاء هلمّوا إلى مأدبة إلهية فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين وإلى مأدبة ليس وراءها أدب ومؤدِّب وماذا بعد الحق إلا الضلال.

وفي «فلاح السائل» للسيد الأجل ابن طاووس قدس سره: فقد روى أن مولانا الصادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلاة فغشي عليه فلما أفاق سئل ما الذي أوجب ما انتهت حالك إليه؟ فقال عليه السلام ما معناه: «ما زلت أكرر آيات القرآن حتى بلغت إلى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن أنزلها على المكاشفة والعيان، فلم تقم القوة البشرية بمكاشفة الجلالة الإلهية».

واعلم أن القرآن محيط لا نفاد له كيف لا وهو مجلي الفيض الإلهي وقد تقدم في الرسالة عن الإمامين الأول والسادس عليهما السلام: «أن الله عز وجل تجلّى لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون». قال الطريحي رحمة الله عليه في مادة «جمع» من مجمع البحرين: «وفي الحديث أعطيت جوامع الكلم» يريد به

القرآن الكريم لأن الله جمع بألفاظه اليسيرة المعاني الكثيرة حتى روي عنه أنه قال: ما من حرف من حروف القرآن إلا وله سبعون ألف معنى، انتهى.

وقلت: إذا كان شكل واحد هندسي يعرف عند أهله بالشكل القطّاع يفيد (٤٩٧٦٦٤) أحكام هندسية كما برهن في محله فلا بعد أن يكون لكل حرف من القرآن سبعون ألف معنى. ويطلب الكلام في القطّاع في رسالتنا المعمولة في «معرفة الوقت والقبلة».

يا عباد الرحمن! هذه آيات آخر «الفرقان» من القرآن الفرقان لا تلكها بين فكّيك بل تدبّر فيها حق التدبّر فإن كل آية منها دستور برأسه من عمل به فاز ونجا.

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والّذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً * والّذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنَّ عذابها كان غراماً * إنها ساءت مستقرًّا ومقاماً * والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والّذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنّه يتوب إلى الله متاباً * والّذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللّغو مرُّوا كراماً * والّذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمًّا وعمياناً * والّذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتّقين إماماً * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحيّة وسلاماً * خالدين فيها حسنت مستقرًّا ومقاماً * قل ما يعبؤا بكم ربّي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً﴾.

المحافظة على الطهارة:

٢ ـ روى الديلمي رضوان الله عليه في الموضعين من كتابه «إرشاد القلوب» أحدهما في أواخر الباب الثالث عشر، وثانيهما في أواخر الباب

العشرين عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «مَن أحدث ولم يتوضّأ فقد جفاني، ومَن أحدث وتوضّأ ولم يصلّ ركعتين فقد جفاني، ومن صلّى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضّأ وصلّى ركعتين ودعاني فلم أجبه فيما يسأل من أمر دينه ودنياه فقد جفوته ولست بربّ جافٍ».

واعلم يا حبيبي أن الوضوء نور، والدوام على الطهارة سبب لارتقائك إلى عالم القدس، وهذا الدستور العظيم النفع مجرّب عند أهله جداً فعليك بالمواظبة عليها ثم عليك بعلوّ الهمّة وكبر النفس فإذا صليت الركعتين فلا تسأله تبارك وتعالى إلا ما لا يبيد ولا ينفد ولا يفنى، فلا تطلب منه إلاّ إياه وليكن لسان حالك هكذا:

نحن لا نطلب منك إلا حلاوة الإيمان بك فأعطي
الذات الآنيّة إلى الذي لم يذق طعم عشقك

فإن مَن ذاق حلاوة محبته تعالى يجد دونها تفهاً، على أن ما يطلب مما سواه كل واحد منها مظهر اسم من أسمائه فإذا وجد الأصل كانت فروعه حاضرة عنده، وقلت في أبيات، ما ترجمته:

لماذا يهوى الزاهد الجنة ولما هو غافلٌ عن خالق الجنة؟!

وقال العارف المتألّه صدر الدين الدزفولي قدس سره، ما ترجمته:

الزاهد يا ربي، يريد منك حور الجنان فهيّء له القصور
ويفر إلى جنتك بعشقه إليك فاعطف عليه

فإذا صلّيت فقل ساجداً: «اللهم ارزقني حلاوة ذكرك ولقائك، والحضور عندك» ونحوها.

الجوع:

٣ ـ قال عز من قائل: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحبّ المسرفين**﴾ [الأعراف: ٣٢] واعلم حبيبي أن فضول الطعام يميت القلب بلا كلام، ويفضي إلى جموح النفس وطغيانها، والجوع من أجلّ خصال المؤمن، ونِعْم ما قال يحيى بن معاذ: «لو تشفعت بملائكة سبع سماوات، وبمائة ألف

وأربعة وعشرين ألف نبي وبكل كتاب وحكمة ووليّ على أن تصالحك النفس في ترك الدنيا والدخول تحت الطاعة لم تجبك، ولو تشفعت إليها بالجوع لأجابتك وانقادت لك» نقل قوله هذا أبو طالب المكي في علم القلوب ص٢١٥ من طبع مصر.

في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن البطن ليطغى من أكله، أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل إذا خفّ بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا امتلأ بطنه».

قلة الكلام:

٤ ـ إياك وفضول الكلام فقد روى شيخ الطائفة الناجية في أماليه بإسناد عن عبدالله بن دينار عن أبي عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي» وقد جعله الشيخ قدس سره الخبر الأول من كتابه الأمالي فلا بد في عمله هذا من عناية خاصة في ذلك، وقد رواه الكليني رضوان الله عليه في باب الصمت وحفظ اللسان من أصول الكافي (ص٩٤ ج٢ من المعرب) بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا» إلى آخر الخبر.

محاسبة النفس:

٥ ـ وعليك بالمحاسبة، ففي باب محاسبة العمل من أصول الكافي (ص٣٢٨ ج٢ من المُعرَّب بإسناده عن أبي الحسن الماضي صلوات الله عليه ـ يعني الإمام الكاظم عليه السلام ـ قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه».

وفي الفصل الخامس من الباب الثاني من «مكارم الأخلاق» في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري رحمة الله عليه: «يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام».

المراقبة:

٦ ـ والمراقبة لله تعالى، وهي العمدة في الباب، وهي مفتاح كل سعادة ومجلبة كل خير وهي خروج العبد عن حوله وقوّته مراقباً لمواهب الحق ومتعرضاً لنفحات ألطافه ومعرضاً عما سواه، ومستغرقاً في بحر هواه ومشتاقاً إلى لقائه، وإليه قلبه يحن، ولديه روحه يئن، وبه يستعين عليه، ومنه يستعين إليه، حتى يفتح الله له باب رحمة لا ممسك لها ويغلق عليه باب عذاب لا مفتّح له، بنور ساطع من رحمة الله تعالى على النفس به يزول عنها في لحظة ما لا يزول بثلاثين سنةً بالمجاهدات والرياضات، يبدّل الله سيئاتهم حسنات، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والزيادة حسنات ألطاف الحق، وذلك فضل الله يؤتيه ما يشاء.

في ساحة القدس يصبح المسكين سلطاناً من أجل عملٍ صغير والله عز وجل
يعطي من أجل القليل عطاءً كثيراً

فعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة.

ففي الباب التاسع والثلاثين من «إرشاد القلوب» للديلمي رضوان الله عليه: قال الله تعالى: ﴿وكان الله على كلِّ شيء رقيباً﴾، وقال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك» وهذا إشارة إلى المراقبة، لأن المراقبة «علم العبد باطلاع الرب عليه في كلِّ حالاته» وملاحظة الإنسان لهذا الحال هو المراقبة، وأعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه أن الله تعالى عليه رقيب ومنه قريب، يعلم أفعاله ويرى حركاته ويسمع أقواله ويطلع على أسراره وأنه ينقلب في قبضته وناصيته وقلبه بيده وأنه لا طاقة له على الستر عنه ولا على الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: «يا بني إذا أردات أن تعصى الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه» إشارة منه لأنك لا تجد مكاناً لا يراك فيه فلا تعصه وقال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾.

وكان بعض العلماء يرفع شاباً على تلاميذه كلهم، فلاموه في ذلك

فأعطى كل واحد منهم طيراً وقال: اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد، فجاؤوا كلهم بطيورهم وقد ذبحوها، فجاء الشاب بطيره وهو غير مذبوح، فقال له: لم لم تذبحه؟ فقال: لقولك لا تذبحه إلا في موضع لا يراك فيه أحد، ولا يكون مكان إلا يراني الواحد الأحد الفرد الصمد، فقال له: أحسنت ثم قال لهم: لهذا رفعته عليكم وميزته منكم.

ومن علامات المراقبة إيثار ما آثر الله، وتعظيم ما أعظم الله، وتصغير ما صغّر الله، فالرجاء يحثّك على الطاعات والخوف يبعد عن المعاصي، والمراقبة تؤدي إلى طريق الحياء وتحمل على ملازمة الحقائق والمحاسبة على الدقائق، وأفضل الطاعات مراقبة الحق سبحانه وتعالى على دوام الأوقات.

ومن سعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسبة والمراقبة وسياسية نفسه باطّلاع الله ومشاهدته لها، وأنها لا تغيب عن نظره ولا تخرج عن علمه» انتهى كلامه قدس سره.

قلت: ومن آداب المراقب أن يراقب أعمال الأوقات من الشهور، والأيام، بل الساعات، بل يواظب أن لا يهمل الأنات ويكون على الدوام متعرضاً لنفحات أُنسه ونسائم قدسه كما قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها ولا تعرضوا عنها».

وللعَلَم الآية المرزا جواد آقا الملكي التبريزي قدس سره الشريف كتاب في «مراقبات أعمال السنة» وهو من أحسن ما صُنع في هذا الأمر فعليك بالكتاب.

وفي خاتمة إرشاد القلوب فيما سأل رسول الله ﷺ ربه ليلة المعراج: «يا أحمد هل تدري أي عيش أهنى وأي حياة أبقى؟ قال: اللهم لا، قال: أما العيش الهنيّ فهو الذي لا يفتر صاحبه عن ذكري، ولا ينسى نعمتي، ولا يجهل حقي، يطلب رضاي ليله ونهاره.

وأما الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا، وتصغر في عينيه، وتعظم الآخرة عنده، ويؤثر هواي على هواه، ويبتغي مرضاتي، ويعظم

حق عظمتي، ويذكر علمي به ويراقبني بالليل والنهار كل سيئة ومعصية، وينفي قلبه عن كل ما أكره، ويبغض الشيطان ووساوسه، ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطاناً وسبيلاً، فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حباً حتى أجعل قلبه لي وفراغه واشتغاله وهمّه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبتي من خلقي، وأفتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي وأضيق عليه الدنيا، وأبغض إليه ما فيها من اللذات، وأحذره من الدنيا وما فيها كما يحذر الراعي غنمه من مراتع الهلكة، فإذا كان هكذا يفرّ من النار فراراً وينقل من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الشيطان إلى دار الرحمن.

يا أحمد لأُزيّنه بالهيبة والعظمة فهذا هو العيش الهنيّ والحياة الباقية، وهذا مقام الراضين.

فمن عمل برضاي أُلزمه ثلاث خصال: أُعرّفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين، فإذا أحبني أحببته وأفتح عين قلبه إلى جلالي، فلا أخفى عليه خاصة خلقي، فأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه من المخلوقين ومجالستهم معهم، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي، وأعرّفه السر الذي سترته عن خلقي وأُلبسه الحياء حتى يستحيي منه الخلق كلهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له، واجعل قلبه واعياً وبصيراً ولا يخفى عليه شيء من جنة ولا نار، وأعرّفه بما يمر على الناس في يوم القيامة من الهول والشدة، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهّال والعلماء، وأنوّر في قبره، وأنزل عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه ولا يرى غمّ الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطّلع حتى أنصب له ميزانه وأنشر له ديوانه ثم أضع كتابه في يمينه فيقرأه منشوراً ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبين» الحديث.

فتأمّل يا مريد الطريق إلى الله تعالى في قوله عز وجل لحبيبه خاتم النبيين من الجوائز الكريمة التي أعدها للمراقبين والراضين والمحبين ومن تلك المواهب الجزيلة والعطايا النفيسة العزيزة اليتيمة الثمينة فتح عين القلب وقد ذكرها لعظم شرفها وعلو رتبتها مرتين.

ونظير تلك المنح السنية ما وعد عباده في النوافل والفرائض من القرب حيث:

قال تعالى: «وما يتقرّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ ممَّا افترضت عليه، وإنه ليتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته».

نقله العلاّمة الشيخ البهائي في كتاب الأربعين، وهو الحديث الخامس والثلاثون منه، بإسناده عن أبان بن تغلب عن الإمام جعفر بن محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «لما أُسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد ـ إلى قوله: وما يتقرَّب إليَّ عبدي» الخ وقال ـ قده ـ: وهذا الحديث صحيح السند وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصة والعامة وقد رووه في صحاحهم بأدني تغيير، فراجع إليه.

وقد رواه ثقة الإسلام الكليني قدس سره في باب «من أذى المسلمين واحتقرهم» من أبواب الإيمان والكفر (ص٢٦٣ ج٢ من المُعرَّب) بطريقين، وروى فيه حديثاً ثالثاً يقرب منهما معنى.

هذا قرب النوافل الذي يدور في ألسنة القوم أي القرب الذي يحصل للعبد من النوافل، وأما قرب الفرائض، فقال عز وجل: «ما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما زال يتقرَّب إليَّ عبدي بالفرائض حتى أحبه وإذا أحببته كان سمعي الذي أسمع به، وبصري الذي أبصر به، ويدي الذي أبطش بها».

فانظر إلى تفاوت القربين، ففي الأول كان الله سمع العبد وبصره ولسانه ويده، وفي الثاني كان العبد سمع الله تعالى وبصره ويده، فالواجبات أكثر ثواباً وأعلى مرتبة من المندوبات بتلك النسبة بين القربين.

قال العلاّمة المحقّق نصير الدين محمد الطوسي قدس الله سره: «العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحق رأى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة

بجميع المقدورات، وكل علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكل إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبى عنها شيء من الممكنات، بل كل وجود وكل كمال وجود فهو صادر عنه، فائض من لدنه فصار الحق حينئذ بصره الذي به يبصر، وسمعه الذي به يسمع، وقدرته التي بها يفعل، وعلمه الذي به يعلم، ووجوده الذي به يوجد فصار العارف حينئذ متخلقاً بأخلاق الله بالحقيقة».

نقلنا كلامه من الرابعة من الرابعة من قرة العيون للفيض رضوان الله عليه وفي الثالثة من السابعة من ذلك الكتاب:

قال بعض العارفين: «إذا تجلّى الله سبحانه بذاته لأحد يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبّرة لها وهي أعضاؤها لا يلمّ بواحد منها شيء إلا ويراه ملماً به، ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها لاستهلاكه بالكليّة في عين التوحيد، ولما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التميز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق، ويسمى هذه الحالة جمعاً، ولصاحب الجمع أن يضيف إلى نفسه كل أثر ظهر في الوجود وكل صفة وفعل واسم لانحصار الكل عنده في ذات واحدة فتارة يحكي عن هذا وتارة عن حال ذاك ولا نعني بقولنا قال فلان بلسان الجمع إلا هذا».

ثم قال الفيض بعد نقل كلام هذا العارف: «ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان وغيرها كقوله عليه السلام: «أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مجري الأنهار ـ إلى أن قال عليه السلام: أنا ذلك النور الذي اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من في القبور أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه أنا أقمت السماوات بأمر ربي» إلى آخر ما قال من أمثال ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أجاد في المقام العالم العارف الشهير داود بن محمود القيصري في الفصل الثامن من مقدِّماته على شرح فصوص الحكم في أن العالم هو صورة الحقيقة الإنسانية بقوله: «إن الاسم «الله» مشتمل على جميع الأسماء وهو متجلّ فيها بحسب مراتبه فلهذا الاسم الإلهي بالنسبة إلى غيره من الأسماء اعتباران: اعتبار ظهور ذاته في كل واحد من الأسماء، واعتبار اشتماله عليها كلها من حيث المرتبة الإلهية.

فبالأول يكون مظاهرها كلها مظهر هذا الاسم الأعظم لأن الظاهر والمظهر في الوجود شيء واحد لا كثرة فيه ولا تعدّد وفي العقل يمتاز كل منهما عن الآخر كما يقول أهل النظر بأن الوجود عين المهية في الخارج وغيره في العقل فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقة الواحدة على أفرادها المتنوّعة.

وبالثاني يكون مشتملاً عليها من حيث المرتبة الإلهية اشتمال الكل المجموعي على الأجزاء التي هي عينه بالاعتبار الأول.

وإذا علمت هذا علمت أن حقائق العالم في العلم والعين كلها مظاهر للحقيقة الإنسانية التي هي مظهر للاسم «الله» فأرواحها أيضاً كلها جزئيات الروح الأعظم الإنساني سواء كان روحاً فلكياً أو عنصرياً أو حيوانياً وصورها صور تلك الحقيقة ولوازمها لوازمها لذلك يسمى العالم المفصّل بالإنسان الكبير عند أهل الله، لظهور الحقيقة الإنسانية ولوازمها فيه، ولهذا الاشتمال وظهور الأسرار الإلهية كلها فيها دون غيرها استحقت الخلافة من بين الحقائق كلها ولله در القائل: «سبحان من أظهر ناسوته» إلى آخر البيتين المذكورين آنفاً.

فأول ظهورها في صورة العقل الأول الذي هو صورة إجمالية للمرتبة العمائية المشار إليها في الحديث الصحيح عند سؤال الأعرابي أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال عليه السلام: كان في عماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء، لذلك قال عليه السلام: أول ما خلق الله نوري، وأراد العقل كما أيّده بقوله: أول ما خلق الله العقل ثم في صورة باقي العقول والنفوس الناطقة الفلكية وغيرها، وفي صورة الطبيعة والهيو الكلية والصورة الجسمية البسيطة والمركّبة بأجمعها.

ويؤيد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين ولي الله في الأرضين قطب الموحدين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبة كان يخطبها للناس: «أنا نقطة باء بسم الله، أنا جنب الله الذي فرطّتم فيه، وأنا القلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون» إلى أن صحا في أثناء الخطبة وارتفع عنه حكم تجلّي الوحدة ورجع إلى عالم البشرية، وتجلّى له الحق بحكم الكثرة فشرع معتذراً فأقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية.

ولذلك قيل: الإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها، وذلك في السفر الثالث الذي «من الحق إلى الخلق بالحق» وعند هذا السفر يتم كماله وبه يحصل له حق اليقين.

ومن ههنا يتبين أن الأخرية هي عين الأولية، ويظهر سر **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾**.

قال الشيخ رضي الله عنه في فتوحاته في بيان المقام القطبي: إن الكامل الذي أراد الله أن يكون قطب العالم وخليفة الله فيه إذا وصل إلى العناصر مثلاً متنزلاً في السفر الثالث ينبغي أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانية إلى يوم القيامة وبذلك الشهود أيضاً لا يستحق المقام حتى يعلم مراتبهم أيضاً فسبحان من دبّر كل شيء بحكمته، وأتقن كل ما صنع برحمته» انتهى كلام القيصري.

الأدب مع الله تعالى:

٧ ـ الأدب مع الله تعالى في كل حال، وقد كان بعض مشايخي وهو العالم المتنزّه المتألّه والحكيم العارف الموحّد البارع الآية السيد محمد حسن القاضي الطباطبائي التبريزي الشهير بالإلهي أعلى الله تعالى مقاماته ورفع درجاته وجزاه عني خير جزاء المعلّمين كثيراً ما يوصيني فيما يوصي بالمراقبة لله تعالى، والأدب معه، ومحاسبة النفس لا سيما بالأولى منها، ولا أنسى نفحات أنفاسه الشريفة وبركات فيوضاته المنيفة.

قال عيسى روح الله وكلمته عليه السلام: «لا تقولوا العلم في السماء، مَن يصعد فيأتي به، ولا في تخوم الأرض، مَن ينزل فيأتي به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يدي الله بآداب الروحانيين، وتخلّقوا بأخلاق الصدّيقين، يظهر من قلوبكم حتى يعطيكم ويغمركم».

قال الإمام الجواد عليه السلام كما في الباب ٤٩ من إرشاد القلوب للديلمي في الأدب مع الله تعالى: «ما اجتمع رجلان إلا كان أفضلهما عند الله آدبهما فقيل: يا ابن رسول الله قد عرفنا فضله عند الناس فما فضله عند الله؟ فقال بقراءة القرآن كما أنزل، ويروى حديثنا كما قلنا، ويدعو الله مغرماً».

وفي ذلك الباب: قد روي أن الله تعالى يقول في بعض كتبه: «عبدي أمن الجميل أن تناجيني وتلتفت يميناً وشمالاً ويكلّمك عبد مثلك تلتفت إليه وتدعني؟ وترى من أدبك إذا كنت تحدث أخاً لك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطني فبئس العبد عبد يكون كذلك».

وفيه أيضاً: روي أن النبي صلى الله عليه وآله خرج إلى غنم له وراعيها عريان يفلي ثيابه فلمّا رآه مقبلاً لبسها، فقال النبي صلى الله عليه وآله: امض فلا حاجة لنا في رعايتك، فقال: إنا أهل بيت لا نستخدم من لا يتأدَّب مع الله ولا يستحي منه في خلوته».

والأدب مع الله بالاقتداء بآدابه وآداب نبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهو العمل بطاعته، والحمد لله على السرّاء والضرّاء والصبر على البلاء، ولهذا قال أيوب **﴿ربّ إني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾** فقد تأدب هنا من وجهين أحدهما أنه لم يقل أنك أمسستني بالضر، والآخر لم يقل ارحمني بل عرض تعريضاً فقال: وأنت أرحم الراحمين وإنما فعل ذلك حفظاً لمرتبة الصبر.

وكذا قال إبراهيم عليه السلام: **﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾** ولم يقل إذا مرضتني حفظاً للأدب.

وقال أيوب عليه السلام في موضع آخر: **﴿إني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾**، أشار بذلك إلى الشيطان لأنه كان يغري الناس فيؤذونه وكل ذلك تأدّب منهم مع الله تعالى في مخاطبتهم.

قلت: وتأدب آدم وزوجه عليهما السلام بقولهما: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** وترك إبليس الأدب معه تعالى بقوله: **﴿فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾**.

العزلة عن الناس:

٨ ـ والعزلة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب العزلة متحصّن بحصن الله تعالى ومتحرس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرّد به سراً وعلانية، وفي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة، وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه إما في ابتدائه وإما في انتهائه» نقلناه من مصباح الشريعة.

وفي كشكول العلاّمة البهائي (ص١٥٥ من طبع نجم الدولة) عن سفيان الثوري قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد يقول: «عزّت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن لم توجد في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول، وإن لم تكن في التخلي فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي، وإن لم توجد في الصمت فيوشك أن يكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة».

وتأمل في قوله تعالى: **﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيًا فاتّخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويًا﴾** [مريم: ١٨]، والعزلة هي «الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع» وأصلها عزل الحواس بالخلوة عن التصرف في المحسوسات، فإن كل آفة وفتنة وبلاء ابتلى الروح بها دخلت فيه بروازن الحواس فبالخلوة وعزل الحواس ينقطع مدد النفس عن الدنيا والشيطان وإعانة الهوى والشيطان.

التهجّد:

٩ ـ والتهجّد، قال الله تعالى: **﴿ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً وقل ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج**

صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ [الإسراء: ٨١]، وقال تعالى: **﴿إنّ المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربّهم إنّهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾** [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: **﴿يا أيّها المزمل قم الليل إلاّ قليلاً نصفه أو أنقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً إنّ ناشئة الليل هي أشد وطاءً وأقوم قيلاً إنَّ لك في النهار سبحاً طويلاً واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلاً**، **وقال تعالى: واذكر اسم ربّك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾** [الإنسان: ٢٨].

وروى الشيخ الصدوق قدس سره في باب معنى التوحيد والعدل من كتاب التوحيد (ص٨٤) عن سلمان الفارسي رحمه الله تعالى أنه أتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله إني لا أقوى على الصلاة بالليل، فقال: لا تعص الله بالنهار.

وفيه أيضاً: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني قد حرمت الصلاة بالليل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أنت رجل قد قيَّدتك ذنوبك».

وروى الكليني ـ قده ـ في باب الذنوب من كتاب الإيمان والكفر (ص٢٩٠ ج٢ من المُعرَّب) بإسناده عن ابن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم».

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في الأمالي بإسناده عن المفضل قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران أن قال له: يا ابن عمران كذب مَن زعم أنه يحبّني فإذا جنّه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطّلع على أحبائي إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثّلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلّموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي

من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك (عينك ـ خ ل) الدموع في ظلم الليل وادعني فإنك تجدني قريباً مجيباً».

التفكّر:

١٠ ـ والتفكّر، قال تعالى: **﴿الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾** [آل عمران: ١٩٢]، وروى الكليني في الكافي (ج٢ ص٤٥ من المُعرَّب) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته»، وروي عن معمّر بن خلاّد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكّر في أمر الله عز وجل»، وروي عن ربعي قال قال أبو عبدالله عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «إن التفكر يدعو إلى البرّ والعمل به».

وروى العلامة البهائي في الحديث الثاني من كتابه الأربعين بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله قال: إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً وتكلموا فكان كلامهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب» ورواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي بأدنى تفاوت (الحديث ٢٥ من باب المؤمن وعلاماته وصفاته من كتاب الإيمان والكفر: ص١٨٦ ج٢).

ذكر الله تعالى:

١١ ـ وذكر الله تعالى في كل حال قلباً ولساناً قال تعالى: **﴿واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين إنَّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبّحونه وله يسجدون﴾** [آخر الأعراف].

وروي عن النبي ﷺ قال: «ارتعوا في رياض الجنة، فقالوا: وما رياض الجنة؟ فقال: الذكر غدوًا ورواحاً فاذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل الله العبد من نفسه، ألا إن خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها عند ربكم في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وأي منزلة أرفع من منزلة جليس الله تعالى». (الباب الثالث عشر من إرشاد القلوب للديلمي).

وفي كتاب الدعاء من الكافء: فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام قال: «يا موسى لا تنسني على كل حال فإن نسياني يميت القلب» (ص٣٦١ ج٢).

وفيه أيضاً قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: «يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملاءك (ملئي ـ خ ل) أذكرك في ملإ خير من ملإ الآدميين، يا عيسى ألن لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات، واعلم أن سروري أن تبصبص إليَّ وكن في ذلك حيًا ولا تكن ميتاً». (ص٣٦٤ ج٢).

وفي الباب الأول من توحيد الصدوق رحمة الله عليه: قال رسول الله ﷺ «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلاّ الله».

وفيه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «خير العبادة قول لا إله إلا الله».

وفيه أيضاً قال أبو عبدالله عليه السلام: «قول لا إله إلا الله ثمن الجنة».

وفيه أيضاً قال رسول الله ﷺ: يقول الله جل جلاله: «لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي».

وفيه أيضاً عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ، وكذا بإسناده عن محمد بن حمران، عن أبي عبدالله عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرّم الله عز وجل».

والذكر هو «الخروج عن ذكر ما سوى الله بالنسيان عن غيره» وكلمة «لا إله إلا الله» ذكر معجون مركّب من النفي والإثبات، فبالنفي تزول الموادة

الفاسدة التي يتولّد منها مرض القلب وقيود الروح، وبإثبات «إلاّ الله» تحصل صحة القلب وسلامته عن الرذائل من الأخلاق.

الرياضة النفسية بالعلم والعمل:

١٢ ـ والرياضة في طريقة العلم والعمل على النهج الذي قرره الشريعة المحمدية ﷺ فحسب، فدونها لا يوجب إلا بعداً، وماذا بعد الحق إلا الضلال لما قد دريت آنفاً **﴿أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾** واعلم أن العلم والعمل بمنزلة جناحين للإنسان ولولاهما لما يقدر على الطيران إلى أوج الكمال والعروج إلى المعارج.

والنفس بالاعتبار الأول تسمى نظرية، وبالاعتبار الثاني عملية.

توضيحه: أن لها باعتبار تأثّرها عما فوقها من المبادي باستفاضتها عنها ما تتكمل به من التعقلات قوة تسمى نظرية، ولها أربع مراتب، وأن لها باعتبار تأثيرها في البدن لتفيد جوهره كمالاً تأثيراً اختيارياً قوة أخرى تسمى عملية ولها أيضاً أربع مراتب، على أن هذا الكمال الذي يحصل للبدن بسببها في الحقيقة تعود إليها لأن البدن آلة لها في تحصيل العلم والعمل.

أما مراتب القوة النظرية فلأن النفس في مبدء الفطرة خالية عن العلوم كلها لكنها مستعدة لها وإلا لامتنع اتصافها بها وحينئذ تسمى عقلاً «هيولانياً» تشبيهاً لها بالهيولى الخالية في نفسه عن جميع الصور القابلة إياها، ثم إذا استعملت آلاتها أعني الحواس الظاهرة والباطنة حصل لها علوم أولية واستعدت لاكتساب النظريات وحينئذ تسمى عقلاً «بالملكة» لأنها حصلت لها بسبب تلك الأوليات ملكة الانتقال إلى النظريات، ثم رتّبت العلوم الأولية وأدركت النظريات وحصلت لها ملكة الاستحضار بحيث تستحضرها متى شاءت من غير كسب جديد لأجل تكرار الاكتساب لكن لا تشاهدها بالفعل بل صارت مخزونة عندها فهو العقل «بالفعل» لحصول قدرة الاستحضار للنفس بالفعل وإذا استحضرت العلوم مشاهدة إياها تسمى عقلاً «مستفاداً» لأن النفس الإنسانية في آخر المراتب تصير عقلاً لكن لا فعّالاً للكمالات بل عقلاً منفعلاً بحسب قبول الكمالات من العقل الفعّال.

وأما مراتب القوة العملية،

فأوليها تهذيب الظاهر باستعمال الشرايع النبوية والنواميس الإلهية، وهذه المرتبة تسمى عندهم التجلية - بالجيم - وبعبارة واضحة التجلية «أن تورد النفس قواها وأعضائها بالمراقبة الكاملة تحت انقياد الأحكام الشرعية والنواميس الإلهية وإطاعتها فتطيع أوامر الشرع وتجتنب عن المناهي حتى يظهر آثار الطهارة الظاهرية في الظاهر أعني البدن، ويحصل للنفس أيضاً على التدريج ملكة التسليم والانقياد للسلوك إلى طريق الحق تعالى والمتكفّل لحصول» هذه المرتبة هو علم الفقه على الطريقة الحقّة الجعفرية ليس إلا.

وثانيها تهذيب الباطن عن الملكات الرديّة ونفض آثار شواغله عن عالم الغيب وتسمى هذه المرتبة «التخلية» بالخاء، وبعبارة أخرى التخلية «أن يعرض النفس عن المضار الاجتماعية والانفرادية ومفاسدهما يحذر من عواقبهما الوخيمة دنيوية وأخروية كالحسد والحرص والكبر والعجب وغيرها من الأخلاق الرذيلة المبيّنة في الكتب الأخلاقية»، ورفض تلك الرذائل عن النفس بمنزلة علاج البدن من الأمراض الجسمانية، وشرب المسهل والدواء لقلعها فكما أن الجسم ما كان مريضاً لم ينفعه غذاء طيّب مقوٍّ وعلى الطبيب أن يداوي الجسم ويعالجه أولاً ثم يقوّيه بالأغذية المقوّية كذلك الأمراض الروحية أعني تلك الرذائل الأخلاقية ما لم يقلع من النفس ولم يسلم النفس منها لم ينفعه الملكات الفاضلة.

وثالثها ما يحصل بعد اتصالها بعالم الغيب وهو تحلّي النفس بالصور القدسية وتسمى هذه المرتبة «التحلية» بالحاء المهملة، وبعبارة أخرى التحلية «أن تتحلى النفس بعد حصول التخلية بحلى الأخلاق الحميدة والملكات الفاضلة الجميلة مما هي في نظام الاجتماع ورشد الفرد وتكامله مؤثر جداً» فالتحلية طهارة معنوية وما لم يتحقق هذه الطهارة للإنسان فهو ليس بطاهر حقيقة وإن كان ظاهره متّصفاً بالطهارة واتّصاف النفس بها بمنزلة تقوية المريض بالأغذية المقوية بعد خلاصه من الأمراض.

ورابعتها ما يتجلى له عقيب ملكة الاتصال والانفصال عن نفسه بالكلية

وهو ملاحظة جمال الله وجلاله وقصر النظر على كماله حتى يرى كل قدرة مضمحلّة جنب قدرته الكاملة، وكل علم مستغرقاً في علمه الشامل بل كل وجود فائضاً من جنابه، وتسمى هذه المرتبة بـ«الفناء في الحق»، رزقنا الله وجميع المؤمنين تلك النعمة العظمى وبلغنا إلى تلك الغاية القصوى، وله أيضاً ثلاث مراتب: محو، وطمس، ومحق، **المحو**: فناء أفعال العبد في فعل الحق، **والطمس**: فناء صفاته في صفات الحق، **والمحق**: فناء وجوده في ذات الحق، ففي الأول لا يرى في الوجود فعلاً لشيء إلا للحق، وفي الثاني لا يرى لشيء من الوجود صفة إلا للحق، وفي الثالث لا يرى وجوداً لشيء إلا للحق، والفناء قسمان: فناء استهلاك كفناء أنوار الكواكب في نور الشمس، وحينئذ يبقى عين الفاني وذاته ويرتفع حكم إنّيته، وفناء هلاك كفناء الأمواج عند سكون البحر، وحينئذ يزول الفاني ويرتفع عينه ولا يبقى أثره.

ونزيدك بياناً ونقول: غبّ ما حصلت المراتب الثلاثة «التجلية، والتخلية، والتحلية» للسالك تحصل له ببركة الطهارة والصفاء، جاذبة المحبة والعشق إلى جناب الحق جل جلاله فتصير محباً لما هو كمال له حقيقة من الحضور دائماً عنده تعالى وعبادته والخلوة معه والأنس به، وذكره قلباً ولساناً، فتوجب تلك الأحوال تشديد المحبة تدريجاً واشتعال نار المحبة يسيراً يسيراً حتى يذهل عن نفسه ولا يرى إلا هو، ويبلغ بحق اليقين إلى أنه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وإلى أنه هو الظاهر لا غير، وأن الظاهر هو لا غير، وإلى أن الباطن هو الظاهر، وأن الأول هو الآخر والآخر هو الأول، والكل تحت اسم الظاهر تدويناً وتكويناً لفظاً وعيناً، وهذه الحالة للعارف تسمى بـ«الفناء في الله» فالفناء ملاحظة جمال الله وجلاله وقصر النظر على كماله.

وللفناء ثلاث درجات: الأولى، الفناء في الأفعال فيرى العارف في هذه الدرجة المؤثرات والمبادي والأسباب والعلل من المجردات والماديات ومن الطبيعيات والإراديات باطلة بلا أثر «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» ولا يرى مؤثراً إلا الحق جل جلاله ولا يرى قدرة عاملة ولا إرادة نافذة في الكائنات إلا

قدرته وإرادته، فيشهد ذاتاً غير متناهية، وإرادة وقدرة غير متناهيتين حاكمة على الجميع، **﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾** فيرى بعين الشهود بلا شوب ريب حقيقة الكريمة: **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** فيكون لسان حاله مترنّماً بمقال «لا حول ولا قوة إلا بالله» بلا شائبة خيال ووهم بل بعين بصيرة وقلب مستيقظ نبيه، وفي هذا المقام يحصل له اليأس عما سواه تعالى والرجاء الواثق التام إليه تعالى، ويساوي عنده بل يتّحد قدرة أعظم ملوك الأرض وقدرة أخسّ ذوي النفوس كالبقّ مثلاً، وهذه الدرجة تسمى بـ«المحو» وإليه أشار صاحب المثنوي بقوله، ما ترجمته:

الأسباب تحجب الأنظار ولا يليق بأي نظر أن يبصر صنع الخالق
فيجب أن يثقُب النظر هذه الأسباب ليقلع الحُجُب من جذورها
ليرى الإنسان كل الأسباب والأشياء عبثاً وجُزافاً ووحده
مسبّب الأسباب يتجلى نوره في كل مكان

والثانية، الفناء في الصفات، فيرى العارف في هذه الدرجة جميع أسمائه تعالى وصفاته من صفات اللطف كالرحمن والرحيم والرازق والمنعم، وصفات القهر كالقهّار والمنتقم مستهلكة في غيب الذات الأحدية، ولا يرى إلا الذات الأحدية ولا يرى تعيناً، وحينئذ يرتفع اختلاف المظاهر كالجبرائيل والعزرائيل وموسى وفرعون من عين صاحب هذا المقام، ويتحد عنده ولا يتفاوت له اللطف والقهر والبسط والغضب والعطاء والمنع والجنة والنار والصحة والمرض والفقر والغنى والعزة والذلّة، وإلى هذه المرحلة أشار العارف المِصقع بقوله، ما ترجمته:

إذا كنت موعوداً بالخلود أو العذاب، لا تحزن فلم يخرجوك من ديار الحبيب

وهذه الدرجة تسمى بالطمس.

واعلم أن صفاته تعالى إما إيجابية وإما سلبية ويقال لنعوته الإيجابية لكونها وجودية جماله تعالى، ولنعوته السلبية صفات الجلال لتجليله بأنه المترفّع عن التركيب والجوهرية والعرضية والجسمية ويقال: إنه ليس بمركب

وليس بعرض وليس بجسم وليس له ماهية ونحوها فلزم أن لا يكون مرئياً ومشاهداً بل ولا مدركاً ولذا نسب الاحتجاب إلى صفة الجلال كما قيل:

جمالك في كلِّ الحقائق سائر   وليس له إلاّ جلالك ساتر

وقال المتأله السبزواري قدس سره، ما ترجمته:

لم يحجب جمالك إلا صفات جلالك، لن يحجب هذا الوجه أي نقاب ولم يحول هذا اللُّب أية قشور

والصفات الجمالية والجلالية، يقال بمعنى آخر أيضاً قال القيصري في الفصل الثاني من مقدماته على شرح الفصوص: «إن ذاته تعالى اقتضت بحسب مراتب الألوهية والربوبية صفات متعددة متقابلة كاللطف والقهر والرحمة والغضب والرضا والسخط وغيرها وتجمعها النعوت الجمالية والجلالية إذ كل ما يتعلق باللطف فهو الجمال، وما يتعلق بالقهر فهو الجلال.

ولكل جمال أيضاً جلال كالهيمان الحاصل من الجمال الإلهي فإنه عبارة عن انقهار العقل منه وتحيّره فيه، ولكل جلال جمال وهو اللطف المستور في القهر الإلهي كما قال الله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حيوة يا أولي الألباب**﴾، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «سبحان من اتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته، واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته» ومن هنا يعلم سر قوله عليه السلام: «حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات» انتهى كلام القيصري.

والثالثة، الفناء في الذات، والعارف في هذا المقام يرى جميع أنواع الكائنات المختلفة متّحدة كما أن الجاهل يحسبها متكثرة، إذ تعيّن كل واحد منها كالملك والفلك والإنسان والحيوان والأشجار والمعادن، أو همه إلى الكثرة فظن أنها متبددة متعددة ولكن العارف في ذلك المشهد العظيم يشاهد من عرش التجرد الأعلى إلى مركز التراب بصورة نجارستان انتقش بقلم التجلّي على جدرانه وسقفه، وعلى جميع ما في ذلك النجارستان عكوس علمه تعالى وقدرته وحياته ورحمته، ونقوش لطفه وقهره، وأشعة جماله وجلاله، ويشاهد

جميع ما في دار الوجود من برّها وبحرها وعاليها ودانيها ومجردها وماديها متصلاً بعضها ببعض ومرتبطاً أحدها بآخر ومنضماً هذا بذاك كهيكل إنسان واحد مثلاً، يخبر الجميع بنغمة موزونة واحدة عن عظمة العالم الربوبي، وفي هذا المقام يتحقق بحقيقة التوحيد وكلمة «لا إله إلا الله» الطيبة، قائلاً بلسان الحقيقة «يا هو يا من ليس إلا هو» فإذن لا يبقى له ولا للممكنات الأخرى هوية، بل هوية الكل مضمحل ومتلاشٍ في تجلّي حقيقة الحق سبحانه **﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾** وتسمى هذه الدرجة بالمحق.

وما حررنا في مراتب القوة العملية نبذة من إفاضات مولانا المكرّم ورشحة من فيوضات أستاذنا العيلم، الآية العظمى الميرزا أبي الحسن الرفيعي القزويني متّع الله تعالى المسلمين بطول بقائه وأدام أيام إفاداته ـ مع بعض إفاضات منا مزيداً للإيضاح، والحمد لله باسط الرزق فالق الإصباح.

واعلم أن الطهارة الحقيقية للنفس إنما هي حاصلة في الثالثة من الدرجات لأنها تطهير النفس عما عداه تعالى، قد أفلح من زكّيها.

وأن لسان الغيب الخواجه شمس الدين الحافظ قدس سره أشار في بيته، ما ترجمته:

الساقي يسرد حديث السرو والورد وشقائق النعمان ويتعمّق الساقي في أبعاد حديثه هذا

إلى هذه الدرجات الثلاث فعبّرها بالثلاثة الغسّالة لتغسيلها النفس عن الأنجاس والأدناس، فبالفناء في الأفعال ينبت الورد في روضة سر القلب، ويستشمّ العارف من رياض القدس ريح الورد، وبالفناء في الصفات ينبت الشقائق فيها إشارة إلى تكامل الورد، وبالثالث ينبت السرو فيها فيحيط أثر العمل شراشر وجود السالك فالجزاء مرتّب على وفق العمل فكلما كان العمل أصعب وأشد كان جزاؤه أشرف وأسدّ، **﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾** نقل هذه اللطيفة المحقق النراقي قدس سره في الخزائن عن الشيخ محمد الدارابي (ص٤١٣ طبع علمية إسلامية ١٣٨٠هـ.ق).

وأن العلامة البهائي قدس سره نقل في أواخر المجلد الأول من الكشكول (ص١٤٣ من طبع نجم الدولة) عن النبي ﷺ قال: خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي وهو: «لا إله إلا الله وحده وحده وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير»، وروى ثقة الإسلام الكليني في كتاب الدعاء من الكافي (ص٣٧٥ ج٢ من المُعرَّب) بإسناده عن علي بن النعمان، عمن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال جبرائيل عليه السلام لرسول الله ﷺ: طوبى لمن قال من أمّتك: «لا إله إلا الله وحده وحده وحده»، ورواه الشيخ الجليل الصدوق في باب ثواب الموحّدين والعارفين من كتاب التوحيد بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام (ص٨) وتثليث قول وحده فيها باعتبار توحيد الذات والصفات والأفعال، أفاده العالم المتأله السعيد القاضي السعيد في شرح توحيد الصدوق.

فإذا زكيت نفسك فقد أفلحت ولاح فيك ما وعد الله تعالى عباده الصالحين ولم يكن حجابك إلا أنت، قال عز من قائل: ﴿**كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ [المطفّفين: ١٦].

قال الخواجة «صائن الدين علي التركة» في آخر قواعد التوحيد: «إن العلوم كلها موجودة فينا لكنها مختفية بالحجب المانعة عن الظهور، ولا يخفى عليك أن ظهورها تارة يكون بالحركات اللطيفة الفكرية الروحانية بعد تسليط القوة القدسية على قوّتي الوهمية والمتخيّلة وسائر القوى الجسمانية وتهذيب الأخلاق وتزيين النفس بالأخلاق الحسنة، وتارة أخرى بتسكين المتخيّلة والمتوهّمة وإلجامهما ومنعهما عن الحركات المضطربة المشوشة بعد تسخير القوى الجسمانية بالتزكية والتصفية وكلا الطريقين حق عند أكثر المحققين من أهل النظر وأصحاب المجاهدة.

ومن اعتقد أنه لا اعتبار بالتزكية والتصفية في طريق التعلم والنظر ركب متن الهوى والهوس حسب هذه العقيدة الفاسدة، وغلبت على نفسه الشهوة

والغضب واستولت عليه الرذائل الطبيعية المهلكة، وحرمت عليها الفضائل الملكية المحيية، واشتغل بقراءة كتب مقلّدي الفلاسفة وزبر المتكلمين من أصحاب الجدل والمشاغبة، وضيّع عمره في ضبط الآراء المتناقضة وحفظ الأحوال والأقوال المتقابلة، فأوقع نفسه في لجج الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة عند تلاطم أمواج الشكوك والشبهات المفرقة فاضمحلّ نور قلبه وعميت بصيرته بتراكم الكدورات المظلمة والعقائد الفاسدة وازداد فيه الجهل والتردد وحصل له البهت والتحيّر، ولا يدري أين يذهب فلحق به من الحق الغضب وظن أن الكمال ما حصل له ووصل إليه وليس وراءه حالة مرغوبة كمالية ولا سعادة باقية فتيقّن خبث هذه العقيدة ووجه ضررها من لطفه واستعذابه من مكره وغضبه».

توصيات عامة:

١٣ ـ وعليك بما نقصُّ عليك من قصص ثلاث هي من أحاسن القصص دستوراً.

أما الأولى فقد روى ثقة الإسلام الكليني في «باب المؤمن وعلاماته وصفاته» من كتاب الإيمان والكفر من الكافي (ص١٨٦ ج٢ من المُعرَّب): أن الحسن بن علي صلوات الله عليهما خطب الناس فقال: «أيها الناس أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخفّ له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهّى ولا يتسخّط ولا يتبرّم، كان أكثر دهره صمّاتاً فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجّة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجدّ كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا بتزّه أمران لا

يدري أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير (يسترشد ـ خ) إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرّم ولا يتسخّط ولا يتشكّى ولا يتشهّى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوّة إلا بالله» وهذا الحديث قد نسبه الشريف الرضي رضوان الله عليه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وأتى به في القسم الثالث من النهج أعني في باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام وهو المختار ٢٨٩.

ورواه أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني رحمة الله عليه عن أبي محمد الإمام الحسن بن علي المجتبى عليه السلام أيضاً، كما في الكافي وفي هامش نسخة مخطوطة عتيقة من النهج توجد في مكتبتنا: قال السيد الإمام السعيد أبو الرضا رضي الله عنه: وجدت هذا الفصل في أدب ابن المقفع، ووجدت في كتاب آخر هذا الكلام منسوباً إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما، ونقل ذلك الحديث العلاّمة البهائي أيضاً في أوائل المجلد الثالث من كشكوله (ص٢٤٩ طبع نجم الدولة) من النهج أيضاً من غير تعرّض فيه.

قلت: إذا دار الأمر بين الجامع الكافي وبين غيره من الجوامع الروائية فضلاً عن غيرها فلا ريب أن المتعيّن هو الأول، على أن رواية ابن شعبة موافقة له ومعاضدة، وبين النسخ تفاوت في الجملة ونحن نقلناها من نسخة مخطوطة مصحّحة من الكافي مزدانة بعلائم المقابلة والتصحيح من أولها إلى آخرها وبتعليقات أنيقة رشيقة، وبخط صدر الدين السيد علي خان المدني قدس سره الذي تقدم ذكره في هذه الرسالة غير مرة على ظهرها وهذه صورته: «الحمد لله سبحانه، على هذه النسخة الشريفة المعتمدة خط السيد نصير الملة والدين وخط ابن أخيه وصهره السيد محمد معصوم وخط ابنه والدي الأمير نظام الدين أحمد، وقد قرأها على السيد العلامة نور الدين ابن علي بن أبي الحسن العلوي قدس الله سبحانه أسرارهم، كتب عليٌّ الصدر المدني عفى عنه».

وأما الثانية فقد نقلها العلاّمة الشيخ البهائي قدس سره في أول المجلد

الثالث من كتابه القيّم النفيس المسمى بالكشكول (ص٢٤٥ من طبع نجم الدولة) حيث قال: من خط (س)(١) عن عنوان البصري وكان شيخاً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين فلما قدم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال يوماً لي: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار فلا تشغلني عن وردي وخذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف.

فاغتممت من ذلك، وخرجت من عنده، وقلت في نفسي: لو تفرّس لي خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلّمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الروضة، وصليت فيها ركعتين وقلت: أسألك يا الله يا الله، أن تعطف عليَّ قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتمًّا ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب في قلبي من حب جعفر عليه السلام فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري، فلما ضاق صدري تنعّلت وتردّيت وقصدت جعفراً عليه السلام وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلاّه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلا يسيراً إذا خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله.

فدخلت وسلمت عليه فرد علي السلام، وقال: اجلس غفر الله لك فجلست فأطرق ملياً، ثم رفع رأسه فقال: أبو من؟ قلت: أبو عبدالله، قال: ثبّت الله كنيتك ووفّقك يا أبا عبدالله ما مسألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي في زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً.

---

(١) هكذا في ذلك الطبع بالسين المهملة في الأول والآخر، وفي طبع قم بالشين المعجمة، وقال صديقنا الفاضل محمد صادق النصيري زاده الله تعالى نصراً في تعاليقه على الكشكول «كلمة شين المعجمة إشارة إلى مجموعة الشهيد الثاني - رحمه الله - منه.

ثم رفع رأسه فقال: ما مسألتك؟ قلت: سألت الله أن يعطف عليَّ قلبك ويرزقني من علمك وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبدالله ليس العلم بالتعلّم وإنما هو نور يقع على قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك.

قلت: يا شريف، قال: قل يا أبا عبدالله، قلت: يا أبا عبدالله ما حقيقة العبودية؟

قال: ثلاثة أشياء أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً وجعل اشتغاله فيما أمره الله تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه وإذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبّره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، وإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً أو تفاخراً ولا يطلب ما عند الناس عزًّا وعلوًّا ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أول درجة التقى، قال الله تعالى: **﴿تلك الدَّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾**.

قلت: يا أبا عبدالله أوصني، فقال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفّقك لاستعماله:

ثلاث منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم فاحفظها، وإياك والتهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبي له.

قال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً، وسمّ الله وذكّر حديث الرسول ﷺ: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه».

فأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل: له: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك، ومن وعدك بالخَنى فعِدْهُ بالنصيحة والدعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك في الناس جسراً، قم عنّي يا أبا عبدالله فقد نصحت لك ولا تفسد عليَّ وردي فإني امرؤ ضنين بنفسي والسلام على من اتبع الهدى» منقول كله من خط س. انتهى ما أتى به الشيخ ـ ره ـ في الكشكول.

قلت: تأمّل يا باغي السداد وطالب الرشاد وسالك الطريق إلى رب العباد في هذه الصحيفة المكرّمة التي كتبت بقلم الولاية وانتقشت بما كلّه نور وهداية.

وأخاطب نفسي الخاطئة فأقول لها: أيتها الهالكة ما غرَّك بربك الكريم تعمل عنده الأعمال الفاضحة، قومي وسافري إلى مَن خلقك فسوَّاك فعدَّلك في أي صورة ما شاء ركّبك، ألا ترى أن ما سواه معتكف ببابه، ومالك لا تطير إلى جنابه، صرفت العمر في قيل وقال، وضيّعته في الجواب والسؤال، قومي فاغتنمي الفرصة، واخلصي من الغصّة، إياك والتسويف فإنه مبير الوضيع والشريف، عليك بالحضور عند ربك الغفور فإن الحضور يورث النور بل النور على النور والله نور السموات والأرض وجمالهما جل جلاله وعمَّ نواله، أما قرأت الكتاب الحكيم القرآن العظيم يقول قائله عز اسمه وله الأسماء الحسنى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا**﴾، ألا رأيت كلام إمامك كشّاف الحقائق أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق: «ليس العلم بالتعلّمَ وإنما هو نور يقع على قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه».

إذا كنت غايةً في كمال العلم والمعرفة فلماذا عجزت عن درك معرفته جل جلاله

إلى متى في فراش الغفلة، واتخذي لك الخلوة، وانتبهي من النوم، وتوبي نصوحاً في اليوم، وعليك بالسكوت والصوم، وقومي عن العشيرة والقوم، ويا نفسي الآثمة الجانية، وازهدي في الدنيا الفانية فإن حبها جبّ كل عطية ورأس كل خطيئة، أعرضي عن دار الغرور، وتوجهي إلى نور كل نور، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، وعسى أن تأتيه فرداً.

أيا من انغرّ بدار غرور قد خسر الغافل يوم النشور
يا من ابتعد عن جادّة العشق ألا إلى الله تصير الأمور
لما أنت غافلٌ عن أحوال نفسك، مع أن الحبيب حاضر وقلبك ليس بحاضر
وما أظنك تنجو فيما فعلت يداك من شرور ومعاصي
لا تخاف سوى من أهواء نفسك فخوفك من الموت والقبر غير مبرَّر
والله قد أظهر آياته مع أن قلبك غافل وبصيرتك عمياء
اجتهد في طريق العشق ما استطعت، فالعشق وحده يظهر لنا خفايا الأمور
واترك اتّباع اللّذات والرغبات حتى يشع قلبك نوراً وضياءً كالشمس
هل كان عبد البطن عبد الإله فالظلمة بعيدة عن الضياء والنور
واطلب رضا الله جل جلاله لأنه غاية المراد، إياك
أن تتزهّد من أجل الحصول على الجنة والحور
اسعَ دائماً في طلب لقاء الحبيب إن شئت عيشاً دائماً في سرور
فعقلك التائه من الحيرة لن يفيق إلى يوم القيامة
ليس لقلبك المتصدّع طريقاً ليرجو في ساحة القدس من الله نور
نعم لئن تبت نصوحاً عسى أن يغفر الله الرحيم الغفور
في ظلمة الليل تناجي الإله تكلم الله كموسى بطور
وابكِ بكاءً عالياً قانتاً عند صلاة ليلك بالحضور
فإذا لم يكن قلبك منعدماً فلماذا لست لربك بعبدٍ شكور
إن قلب العابد متلهّف للقاء ربه لا للحور والقصور

فيا من خلقني من العدم، يا من كرّم بني آدم، يا نور المستوحشين في الظلم، يا شاهد كل نجوى، يا من إليه الكل يسعى، يا من هو بدّنا اللازم، يا

من جرى في الخلق حكمه الجازم، يا من إلى بابه ألوذ، يا من به من شر نفسي أعوذ، يا من تحيّر فيه ما سواه، يا من نطق به الألسن والأفواه.

يا من لهجت به الألسن وتملّك هواه القلب والبصيرة
يا من تفيض صفاته وذاته جمالاً وهو مبرّأ من كل عيب
يا من تجلى نور وجهه الجميل، بهاءً وجمالاً في كل شيء
يا من سَحَر بثورة عشقه أفئدة العاشقين
ويا من لأجله يئن طائر الليل، أنين اللوعة في الأسحار
فخذ بيده وحرره من نفسه، يا عليماً بأسرار قلبه

وأما الثالثة، فهي مكاتبة جرت بين العالمين الشيخ «أبي سعيد بن أبي الخير» والشيخ الرئيس «أبي علي بن سينا» ولما رأينا كثرة فوائدها أتينا بها مزيداً للفائدة وقد نقلها الشيخ البهائي في أواخر الكشكول (ص٦٢٣ من طبع نجم الدولة وص٥٩٥ ج٢ من طبع قم)، ولكن صورتها على طبع قم مشوشة بل مشوهة جداً، وهي منقولة أيضاً في نامه دانشوران في ترجمة الشيخ الرئيس أكمل مما في الكشكول وقد نقل القاضي نور الله الشهيد نبذة من كلام الشيخ الرئيس في مجالس المؤمنين وهذه صورتها:

كتب الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير إلى الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا: «أيها العالم وفّقك الله لما ينبغي، ورزقك من سعادة الأبد ما تبتغي، إني من الطريق المستقيم على يقين، إلاّ أن أودية الظنون على الطريق المستجدّ (الجدّ ـ خ) متشعّبة، وإني من كل طالب طريقه لعل الله يفتح لي من باب حقيقة حاله بوسيلة تحقيقه وصدقة تصديقه، وإنك بالعلم وفقت لموسوم، بمذاكرة أهل هذا الطريق مرسوم، فأسمعني ما رزقت، وبيّن لي ما عليه وقفت، وإليه وفّقت، واعلم أن التذبذب بداية حال الترهّب، ومن ترهّب ترأب، وهذا سهل جداً، وعسر إن عدّ عدًّا، والله ولي التوفيق».

فأجابه الشيخ الرئيس: «وصل خطاب فلان مبيّناً ما صنع الله تعالى لديه (إليه ـ خ) وسبوغ نعمه عليه، والاستمساك بعروته الوثقى، والاعتصام بحبله المتين والضرب في سبيله، والتولية شطر التقرب إليه، والتوجه تلقاء وجهه،

نافضاً عن نفسه غبرة هذه الخربة، رافضاً بهمّته الاهتمام بهذه القذرة ـ أعزّ وارد وأسرّ واصل وأنفس طالع وأكرم طارق، فقرأته وفهمته وتدبّرته وكرّرته وحقّقته في نفسي وقرّرته فبدأت بشكر الله واهب العقل ومفيض العدل، وحمدته على ما أولاه، وسألته أن يوفّقه في أُخراه وأُولاه، وأن يثبّت قدمه على ما توطّاه، ولا يلقيه إلى ما تخطّاه، وتزيده إلى هدايته هداية، وإلى درايته التي آتاه دراية، إنه الهادي المبشّر والمدبّر المقدّر، عنه يتشعّب كل أثر، وإليه يستند الحوادث والعبر (الغير ـ خ) وكذلك تقضي الملكوت، ويقضي الجبروت، وهو من سر الله الأعظم يعلمه مَن يعلمه ويذهل عنه مَن لا يعصمه، طوبى لمَن قاده القدر إلى زمرة السعداء، وحاديه عن رتبة الأشقياء، وأوزعه استرباح البقاء من رأس مال الغنى، وما نزهة هذا العاقل في دار يتشابه فيها عقبى مدرك ومفوّت، ويتساويان عند حلول وقت موقّت، دارٌ أليمها موجع، ولذيذها مشبع، وصحتها قسر الأضداد (قران الأضداد ـ خ) على وزن وإعداد، وسلامتها استمرار فاقة إلى استمراء مذاقة، ودوام حاجة إلى مجّ مجاجة.

نعم والله ما المشغول بها إلا مثبّط، والمتصرف فيها إلا مخبّط، موزّع البال بين ألم ويأس، ونقود وأجناس، أخيذ حركات شتى، وعسيف أوطار تترى وأين هو من المهاجرة إلى ا لتوحيد، واعتماد النظام بالتفريد، والخلوص من التشعّب إلى الترأُب، وعن التذبذب إلى التهذّب، وعن ناد (باد ـ خ) يمارسه إلى أبد يشارقه، هناك اللذّة حقًّا، والحسن صدقاً، سلسال كلما سقيته على الريّ كان أهنى وأشفى، ورزق كلما أطعمته على الشبع كان أغذى وأمرىء، ريّ استبقاء لا ريّ إباء، وشبع استشباع لا شبع استبشاع.

ونسأل الله تعالى أن يجلو عن أبصارنا الغشاوة، وعن قلوبنا القساوة، وأن يهدينا كما هداه، ويؤتينا مما آتاه، وأن يحجز بيننا وبين هذه الغارّة الغاشّة البسور في هيأة الباشّة، المعاسرة في حلية المياسرة، المفاصلة في معرض المواصلة وأن يجعله إمامنا فيما آثر وأثّر، وقائدنا إلى ما صار إليه وسار، إنه وليّ ذلك.

فأما ما التمسه من تذكرة ترد مني وتبصرة تأتيه من قبلي وبيان يشفيه من

كلامي فكبصير استرشد من مكفوف، وسميع استخبر عن موقور السمع غير خبير، فهل لمثلي أن يخاطبه بموعظة حسنة، ومثل صالح، وصواب مرشد، وطريق أسنّه له منفذ، وإلى غرضه الذي أمّه منفذ؟.

ومع ذلك فليكن الله تعالى أول فكره وآخره، وباطن اعتباره وظاهره ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى، وما فيه من آيات ربه الكبرى، فإذا انحطّ إلى قراره فلير الله في آثاره فإنه باطن ظاهر تجلّى بكل شيء لكل شيء.

ففي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكة، وهذه الخصلة وتيرة، انطبع في فصّه نقش الملكوت، وتجلّى له آية قدس اللاهوت، فألف الأنس الأعلى، وذاق اللذة القصوى، وأخذ عن نفسه إلى مَن هو به أولى، وفاضت عليه السكينة، وحفّت به الطمأنينة، واطّلع على الأدنى اطلاع راحم لأهله مستوهن بحبله (بخيله - خ): مستخفّ لثقله، مستحسن لفعله، مستطل لطرفه، ويذكر نفسه وهي بهجة فتعجّب منهم تعجّبهم منه، وقد ودعها وكان معها كمن ليس معها.

وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأرفع (أنفع - خ) البر الصدقة (وأفضل البر العطا - خ) وأزكى السير الاحتمال، وأبطل السعي الرياء (وأفضل السعي المراياة - على نسخة مجالس المؤمنين)، ولن تخلص النفس عن البدن ما التفتت إلى قيل وقال، ومناقشة وجدال، وانقلعت بحالة من الأحوال، وخير العمل ما صدر عن مقام نية (عن خالص نية - خ) وخير النية ما ينفرج عن جناب علم، والحكمة أم الفضائل، ومعرفة الله أوّل الأوائل، إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، أقول قولي هذا وأستغفر الله وأستهديه وأتوب إليه وأستكفيه، وأسأله أن يقرّبني إليه إنه سميع مجيب.

ثم يقبل على هذه النفس المزيّنة بكمالها الذاتي، ويحرسها عن التلطّخ بما يشينها من الهيئات الانقيادية للنقوش المادية التي إذا بقيت في النفس المزينة

كانت حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال، إذ جوهرها متثاوب ولا مخالطة وإنما يدنّسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب بل يفيدها هيئات الاستيلاء والاستعلاء والرياسة ولذلك يهجر أكذب قولك، ويخلّي حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة فيصدّق الأحلام والرؤيا واللذات، فليستعملها على إصلاح الطبيعة وإلقاء الشخص والنوع والسياسة.

وأما المشروب فأن يهجر شربه ملهياً بل تشفيًّا تداوياً، ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه، ويسمح بالمقدور من المال ويترك لمساعدة الناس كثيراً ما هو خلاف طبعه، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية، وتعظيم السنن الإلهية والمواظبات على التعبدات البدنية، ويكون دوام عمره إذا خلا وخلص من المعاشرين، نظر بالروية والفكرة في الملوك الأول وملكها، واكبس عن عثار الناس من حيث لا تقف على الناس، عاهد الله أن تسير بهذه السيرة وتدين بهذه الديانة، والله ولي الذين آمنوا حسبنا الله نعم الوكيل».

هذا آخر المكاتبة، وقد نقل منها الشيخ في الكشكول ـ إلى قوله: إنه سميع مجيب، ونقلنا بعده من نامه دانشوران، ونقل القاضي نور الله الشهيد نوَّر الله مرقده في المجالس بعد قوله: إنه سميع مجيب، هذا السطر أيضاً: والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين.

العبودية:

١٤ ـ كن عالي الهمة، على حد لا تعبد إلا إياه تعالى، ولا تكن في إعراضك عن متاع الدنيا وطيّباتها معاملاً ولا في عباداتك أجيراً، وكن كما نطق به الناطق بالصواب ميزان يوم الحساب، وفصل الخطاب أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طعماً في جنّتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

لا تكن كالمستجدي الذي يطلب أجراً لتعبُّده، فالمولى عز وجل يجيد مداراة العاشق

وفي الباب التاسع عشر من مصباح الشريعة: قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي للسائلين».

وروى ثقة الإسلام الكليني في باب العبادة من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي (ص٦٨ ج٢ من المعرب) بإسناده عن هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن العُبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزَّ وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة».

ورواه ابن شعبة رحمة الله عليه في تحف العقول عن سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام أيضاً، حيث قال عليه السلام: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة» وهذا بعينه منقول في النهج عن أمير المؤمنين عليه السلام (المختار ٢٣٧ من باب حكمه عليه السلام).

فكن من أهل الله لا من أهل الدنيا ولا من أهل الآخرة، وحقيقة الزهد «أن يزهد في الدنيا والآخرة»، كما قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله».

وفي ذلك الباب من الكافي بإسناده عن عمرو بن جميع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر».

أقول: هذه الرواية قد نطقت بالعشق، وفي «عشق» من «سفينة البحار» للمحدث القمّي رحمة الله عليه: النبوي ﷺ «أن الجنة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة». وفي تاسع البحار (ص٥٨٠) عن الخرائج: روي عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه قال: «مرَّ عليّ عليه السلام بكربلا فقال لما مرَّ به أصحابه وقد اغرورقت عيناه يبكي ويقول: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، ههنا مراق دمائهم، طوبى لك من تربة عليها تراق دماء الأحبة»، وقال

الباقر عليه السلام: «خرج عليٌّ يسير بالناس حتى إذا كان بكربلا على ميلين أو ميل تقدم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال له المقدفان فقال: قتل فيها مائتا نبي ومائتا سبط، كلهم شهداء ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ويلحقهم من بعدهم».

وكم نرى من المقدسين الخشك يطعنون في أهل الله بإطلاقهم العشق ومشتقاته قائلين بأن أي خبر نطق به؟ وهذا خبرهم بل هذه أخبارهم، على أنه لو لم يأت به أثر في الجوامع الروائية لكانت حجتهم داحضة وكلمتهم سفلى.

وفي الباب الرابع والخمسين من إرشاد القلوب للديلمي وهو آخر أبواب الكتاب فيما سأل رسول الله صلى الله عليه وآله ربه ليلة المعراج: «يا أحمد وجوه الزاهدين مصفرّة من تعب الليل وصوم النهار، وألسنتهم كلال من ذكر الله تعالى، قلوبهم في صدورهم مطعونة من كثرة صمتهم قد أعطوا المجهود من أنفسهم لا من خوف نار ولا من شوق جنة ولكن ينظرون في ملكوت السموات والأرض فيعلمون أن الله سبحانه أهل للعبادة، يا أحمد هذه درجة الأنبياء والصديقين من أمتك وأمة غيرك وأقوام من الشهداء» الخ.

وفي باب «اتباع الهوى» من كتاب الإيمان والكفر من أصول الكافي (ص٢٥١ ج٢ من المعرب) عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عز وجل: «وعزّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتّت عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم أوته منها إلا ما قدّرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفّلت السموات والأرضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة».

وإذا ذقت حلاوة ذكره تعالى وأنست به ورزقت جنة اللقاء لا تطلب منه تعالى إلا إياه وتنسى غيره، كما في الباب التاسع عشر من مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «لقد دعوت الله مرة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأن

استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجلّ مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة ونعيمها الأبدي، وليس يعقل ذلك إلا العاملون المحبّون العارفون صفوة الله وخواصه» انتهى.

وكأنما الشيخ العارف السعدي رضوان الله عليه يشير إلى قوله عليه السلام، حيث زيَّن مطلع گلسنانه بوَرد بيانه: استغرق أحد العارفين في بحر المكاشفة والمراقبة وبعد أن عاد من حالته تلك، قال له أحد رفاقه في هذه الروضة التي كنت فيها أيُّ تحفة جلبتها لنا؟! قال لهم: كان في نيّتي أن أملأ طرفاً من الزهور عندما أصل لشجر الزَّهر لأهديه أصحابي فعندما شممت عبير زهوري سكرتُ حتى فقدت يدي مجمع الزهور، ولقد أجاد، طيّب الله رسمه وقدس سره.

فمن عبد الله تعالى طلب الثواب أو خوفاً من العقاب فهو محروم عن اللذة الحقيقية، بل إنك إن فتّشته لم تجده إلا عابد هواه وإن عبده تعالى رغبة، أو محباً لنفسه لا لمولاه إن عبده رهبة، وقد أفاد الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا تغمّده الله بغفرانه في مقامات العارفين بقوله:

«المستحلّ توسيط الحق مرحوم من وجه فإنه لم يطعم لذة البهجة به فيستطعمها إنما معارفته مع اللذات المخدجة فهو حنون إليها غافل عما ورائها، وما مثله بالقياس إلى العارفين إلا مثل الصبيان بالقياس إلى المحنكين، فإنهم لما غفلوا عن طيبات يحرص عليها البالغون، واقتصرت بهم المباشرة على طيّبات اللعب صاروا يتعجبون من أهل الجد إذا زوروا عنها عائفين لها عاكفين على غيرها، كذلك من غضّ النقص بصره عن مطالعة بهجة الحق أعلق كفّيه بما يليه من اللذات لذات الزور، فتركها في دنياه عن كره، وما تركها إلا ليستأجل أضعافها وإنما يعبد الله تعالى ويطيعه ليخوّله في الآخرة شبعه منها فيبعث إلى مطعم شهي ومشرب هنيء ومنكح بهي، وإذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره في أولاه وأخراه إلا إلى لذّات قبقبة وذبذبة، والمستبصر بهداية القدس في شجون الإيثار قد عرف اللذة الحق وولّى وجهه سمتها مسترحماً على هذا المأخوذ عن رشده إلى ضده، وإن كان ما يتوخاه بكدِّه مبذولاً له بحسب وعده».

التوبة:

١٥ ـ التوبة، وهي لا تنفك عمن استبصر وإلا فليس بمستبصر، ولا أنسى عذوبة كلام سيدنا الأستاذ محمد حسن الإلهي المقدم ذكره قدس سره، ولطافة بيانه في التوبة حيث قال: التوبة الحقيقية أن تتوب من خيرك وشرك، وبعد تأمل قليل قلت له: أما التوبة من الشر فلا كلام فيها، وأما التوبة من الخير فما مراد جنابك منها؟ فقال رضوان الله عليه: ما نحسبها خيراً من صلاتنا وصيامنا وقراءتنا القرآن ودراستنا وغيرها لو تأملنا فيها لرأيناها مخدجة غير كاملة **﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾** فيجب على المستبصر أن يتوب من هذه الأعمال الناقصة، وأن يقصد الإتيان بها على النحو الكامل الذي يتقبّل الله **﴿وإنما يتقبل الله من المتقين﴾**، فما حسبناه خيراً ليس بخير حقيقة، فطوبى لمن وفّق بالتوبة مما حسبه خيراً وعمل ما هو خير واقعاً.

والتوبة تذهب بدرن القلب، وتزيل رينه فإذاً يستبصر التائب بدائه ودوائه ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال الإمام الباقر عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، وإذا تخلصت النفس من الرذائل وتنزهت من أوساخ الذنوب فقد قبلت توبته، وأما البحث الكلامي عن التوبة فقد أشبعنا الكلام فيه في شرحنا على المختار ٢٣٥ من خطب النهج من كتابنا تكملة منهاج البراعة (ص١٧١ ـ إلى ـ ٢٠١ من ج١٥).

وقال السيد بن طاووس قدس سره الشريف في أعمال شهر ذي القعدة من كتابه الإقبال: فصل: فيما نذكره مما يعمل في يوم الأحد من الشهر المذكور، وما فيه من الفضل المذخور، وجدنا ذلك بخط الشيخ علي بن يحيى الخياط رحمه الله وغيره في كتب أصحابنا الإمامية وقد روينا عنه كلما رواه وخطّه عندنا بذلك في إجازة تاريخها شهر ربيع الأول سنة تسع وستمائة فقال ما هذا لفظه:

روى أحمد بن عبدالله، عن منصور بن عبدالحميد، عن أبي أمامة، عن أنس بن مالك قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال:

يا أيها الناس مَن كان منكم يريد التوبة؟ قلنا: كلنا يريد التوبة يا رسول الله، فقال ﷺ: اغتسلوا وتوضأوا وصلوا أربع ركعات واقرأوا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و«قل هو الله أحد» ثلاث مرات والمعوذتين مرة، ثم استغفروا سبعين مرة ثم اختموا بلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ثم قولوا: يا عزيز يا غفار اغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

ثم قال ﷺ: ما من عبد من أمتي فعل هذا إلا نُودي من السماء: يا عبد الله استأنف العمل فإنك مقبول التوبة مغفور الذنب.

وينادي ملك من تحت العرش: أيها العبد بورك عليك وعلى أهلك وذريتك.

وينادي مناد آخر: أيها العبد ترضي خصماؤك يوم القيامة.

وينادي ملك آخر: أيها العبد تموت على الإيمان، ولا أسلب منك الدين، ويفسح في قبرك وينوّر فيه.

وينادي مناد آخر: أيها العبد يرضى أبواك وإن كانا ساخطين وغفر لأبويك ذلك ولذريتك وأنت في سعة من الرزق في الدنيا والآخرة.

وينادي جبرائيل عليه السلام: أنا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام أن يرفق بك ولا يخدشك أثر الموت إنما تخرج الروح من جسدك سلاً (سلاماً - خ).

قلنا: يا رسول الله لو أن عبداً يقول في غير الشهر؟ فقال عليه السلام: مثل ما وصفت وإنما علّمني جبرائيل عليه السلام هذه الكلمات أيام الله ربي (أيام أسري بي - خ).

ونذيّل الرسالة بقصيدة فارسية تفوّه بها هذا الراجي لقاء ربه الرحيم وقد فرغ منها في أوائل ذي الحجّة ١٣٨٨هـ.ق، وسمّاها بالقصيدة اللقائية:

يا قلب إن كنت تريد رؤية جمال كبريائه عز وجل، أبعد عن تفكيرك الغرور والرياء

فعندما تكونَ جاهلٌ لحقيقة نفسك، ابتعد عن الذين امتلكوا عقلك وتفكيرك
حتى تكتشف ذاتك وتدرك حقيقة المعشوق
إن عنقاء المعشوق المُحَلِّقة في سمائه تُظِلُّ على كل كائنات العالم
لا تتصوَّر سلطاناً يحكم قلبك سوى الله عز وجل فهو الذي يهدي من يشاء
فالقلب هو المرآة التي تبين لنا صفات الله وأسمائه عز وجل فلا تحطّم هذه
المرآة التي تدُلُّك إلى عظمة الخالق
يا أنيس سرائر عالم القدس أبعد عن نفسك يش ذلك الإبليس الماكر
وعندما تُفني الشوائي من نفسك سترى العالم الذي يحيي روحك
فلو انجذبت إلى المعشوق ولو مرةً ستحسب جذب الكَهْرُبا[1] وغيرها ألعوبةً ليس إلا
أحياناً عندما يشرق وجهه العطوف يعطي سماء الروح أنواراً
وأحياناً شعرُهُ المكسي الأَخّاذ يحيُّر أحوالنا
القلب في قبضة يده دائماً فانظر لقدرته المُتَحكّمة
بحياة الإنسان لتفهم معنى هذا الكلام
يا قوم إنَّ الله قد خلقكم أطواراً فكيف لا ترجون لله وقاراً
إني أرى السلطان والفقير يلتمسون لطفه ورحمته في ساحة عطفة تعالى
فتعلّم من ذرّات النوم والثرى كيف تُسبّح ذاته الطاهرة الأزلية
واسمع منّي بأن تكون دائماً في حضوره حتى ترى العجب في ساحة قدسه
فإذا قطعت أوصال وجودي لم تجد سواه مالكاً لذرات كياني
إني أراه عين الحق والصواب وأعبد الواحد الأحد ولا أعرف الشرك أبدا
فلم ينبع عشقي له من حديث الأستاذ إنما أنا شربت عشقه من صدر أمي
لست الوحيد الذي يتحير في رؤية جمال وجهه
إنما تحير في رؤية وجهه السماوات والأرضين
ولست الوحيد المتحير في سرائر الإنسان بل كل القوم تحيروا في ذلك
انظر وتفكّر، من أنت وأين أنت ومن أين أتيت وإلى أين ستذهب

(١) الكهربا هنا، اسم حجر يصدر شرارة.

أسفاً إننا اهلين عن معرفة أنفسنا فارزُقنا المعرفة في الوصول إلى حقيقة أنفسنا يا ربّاه
إذا كنت تبحث عن علاج لآلامك أيها العبد فلماذا لا تطلب الدواء من الخالق
فمعشوقك سيعطيك ثمرة أعمالك في ساحة قُدسه
إنما عليك أن تتحلى في امتحانه لك بإخلاص
تيقّظ واسعَ لتحصيل الحياة الأبدية واقطع سلاسل الأهواء والأغواء عن نفسك
حطّم رسوم هذا أو ذاك من قلبك وليكن الدعاء وأحكام القرآن وساماً لفؤادك
وفي خلوة لياليك المظلمة تستطيع أن تنهل من ينبوع الحياة الأزلية
فإذا وجّهت وجهك وروحك صوب المعشوق ستنكشف لك الأسرار الخفيّة
ليتكُن متوكّلاً على الله جل جلاله وجاهداً لمرضاته وكُفَّ لسانك عن التأويل
ومن رحمته اللامتناهية أن يبتلي أهل الولاء ليجزيهم في الآخرة
فالزاهد الذي يريد نفعاً لِزُهده أو العابد الذي يكون كالأجير، يطلب أُجرةً
لتعبُّده، هم إلى فناء، والمخلص الوفي هو الذي سيفوز برضاء ربه
وسُنّة العارفين هي التقوى والتقوى فقط
والمرزوق عند الله عز وجل لا بد أن يكون من أهل التقوى
اذهب في طريق العاقلين ولا تسلك صراطاً سوى صراط الحبيب المصطفى
فإذا ابتليت يا سالك الدرب نادِ عليًّا فهو حلاّل المشاكل
وإذا أردت أن تتمنى أمنيات عُشاقه شُد رحيلك صوب كربلاء المقدّسة
كن حَسَنَ الخلق والكلام حتى تُجازى بلقاء المعشوق
وأَسعِد الناس من حولك إذا كنت تريد كسب مرضاة الله عز وجل
نحن عاجزين يا حيلة من لا حيلة له فمن هو المعين لنا يا ربّاه
فأنا خَجِلٌ من نفسي المذنبة والعاصية ولي أَمَلٌ بجود عطائك
وكما سخّرت الشمس والقمر والنجوم بأمرك سَخِّر أنفسنا لخدمتك

وقد فرغنا من تأليف هذه الرسالة اللقائية في بلدنا «الآمل» وقت السحر من ليلة الإثنين السادسة عشر من ربيع المولود من شهور سنة تسع وثمانين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة على هاجرها ألف تحية وسلام. رزقنا الله تعالى القرب منه ونعمة لقائه.

الهي نامج

تأليف

الأستاذ حسن حسن زاده الآملي

ترجمة

إسماعيل الترابي

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم
الحمد للّٰه رب العالمين

سماحة خديم العلم ونديمه الروحاني النبيل الجليل مدير مدرسة الإمام محمد باقر علوم النبيين عليه السلام حجة الإسلام القوامي دامت بركاته الوافرة.

بعد التحية والدعاء، عناية جنابكم بما صدر عن قلمنا بإذن من علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم أوجبت جزيل شكر وامتنان عن صميم القلب، قوله تعالى شأنه: **﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾**.

ثم كلامنا حول هذه الترجمة وما يجب لنا أن نقول في المترحم الفاضل المحترم «إسماعيل الترابي» زاده الله سبحانه تأييداً، هو ما تقدم منا في ترجمته رسالتنا «مائة كلمة». نسأل الله تعالى شأنه مزيد توفيقاتكم في إعلاء المعارف الإلهية ونشرها فإنه قد روي عن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله: «من مات وميراثه الدفاتر والمحابر وجبت له الجنّة».

قم ـ الراجي رحمة ربه الغني المغني حسن حسن زاده الآملي.

١١ ج٢ سنة ١٤١٤هـ.ق

٥/٨/ ١٣٧٢هـ.ش

إلهي نامج، هي عدّة كلمات خَرَجَت إلى نَسْج التحرير منذ سنوات ألفِ وثلاثمائة وتسعين إلى أربعة وتسعين من الهجرة، من قلم هذا الأقل «حسن زاده الآملي» باقتضاء تبدّل البال وتحوّل الحال، لذا التَّثبت في تلقّيه لازم، حيث إن التنافي في الواقع منتفٍ. ولم يكن طبعي راغباً في طبعها لما زعمت من عدم الفائدة في نشرها، غير أنه مع تصويب وإبرام أصدقاء فضلاء، طلبت الإجازة (أي استجزْتُ) من ساحة قدس القرآن المجيد بنحو الاستخارة، فتشرَّفتُ بجواب وإجازة هذه الكريمة المباركة: ﴿وفي نُسْخَتِها هُدَىً ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ [الأعراف: ١٥٥] فالجمع على نشرها قد تَمَّ، بالرجاء الواثق من أن تقع مفيدة لبعض النفوس المستعدة، والسلام.

قم ـ حسن حسن الآملي ـ تاسوعاء ١٤٠٤هـ.ق ـ ٢٣/ ٧/ ١٣٦٢هـ.ش

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ **إلهي**: بحقّك هب لي حضوراً ومن جمالك الخالق للشّمس هب لي نوراً.

٢ ـ **إلهي**: إخفاء سِرَّ القلب صعب (أي عسير) والتَّبَوُّح به (أي إظهاره) أصعب.

٣ ـ **إلهي**: «يا من يعفو عن الكثير ويعطي الكثير بالقليل» حرِّرني (أو خلِّصني) من مشقَّة الكثرة وهب لي رحمة الوحدة.

٤ ـ **إلهي**: كنت أظنّ منذ سنوات أننا حفّاظ دينك «أَسْتَغْفِرُكَ اللّهُمَّ»، في هذه (الليلة) ليلة الرَّغائب من ألف وثلاثمائة وتسعين فهمْتُ أنَّ دينك حافظنا «أحمدك اللّهمّ».

٥ ـ **إلهي**: كيف أكون ساكتاً (وصامتاً) والقلب في غليانٍ وصَخْبٍ. وكيف أتكلّم والعقل مدهوش ومُغْمىً عليه.

٦ ـ **إلهي**: نحن جميعاً عاجزون (أي مساكين) وأنت العلاج فقط. ونحن جميعاً لسنا بشيء وأنت كل شيء (أو نحن لا نملك شيئاً وبيدك كل شيء).

٧ ـ **إلهي**: (أنا) مِنْ قَدَمِي إلى قِمَّة رأسي غريق في نورك «يا نور السموات والأرض» أنْعَمْتَ فَزِدْ.

٨ ـ **إلهي**: إذا كان شأن هذه الكلمة الصَّغيرة بهذا العلوّ والعظمة «فيا علي يا عظيم» ماذا يكون شأن المتكلِّم بكل هذه الكلمات العجيبة اللاّمتناهية.

٩ ـ **إلهي**: إن صار عِلْمي قاطع طريقي، وكتابي حجابي فالويل لي.

١٠ ـ **إلهي**: حيث أنت حاضر، أطلب ماذا؟ وحيث أنت ناظرٌ أقول ماذا؟

١١ ـ **إلهي**: كيف أقول: ما عرفتُك وقد عرفتك، وكيف أقول: عَرَفتُك وما عرفتُك؟

١٢ ـ **إلهي**: أنا مثل عوامل الطّاحونة مغلق العينين ومُتعَب الجسد أمشي (أو أسيرُ) كثيراً ولا أقطع مسافة. فيا ويلي إن لم تأخذ بيدي ولم تحرّرني.

١٣ ـ **إلهي**: أنت تعلم (أو عالم) بأن لبحر قلبي مداً وجزراً «يا باسط» هب لي بَسْطاً و«يا قابض» اقبضني.

١٤ ـ **إلهي**: يدُ المؤدّبِ مَمْدُودة وغير المُؤدَّب رجله (ممدودة)، يا باسط اليدين بالرّحمة خذ بيدي.

١٥ ـ **إلهي**: الكثير من الناس ادَّعوا العبوديَّة وتَفَوَّهُوا (أو ادّعوا) بتَرْكِ الدنيا، وبمجرّد ما أن أقبلت عليهم الدُّنيا أعرضوا (وانصرفوا) عن كل شيء سواها. وهذا العبد الذي لم يتعرَّض للامتحان خجلانُ. فبحقّك «ثَبِّت قلبي على دينك».

١٦ ـ **إلهي**: أنا عاجزٌ و(سائر) في الطريق وفي الآتية (أي أمامي) منعطفات (عقبات) صعبة وكثير من قطّاع الطّرق في الكمين وحملٌ ثقيل على العاتق «فيا هادي اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين».

١٧ ـ **إلهي**: أنا خجلانٌ من وجه الشمس والقمر والنّجوم وخجلانٌ من الإنس والجن (و) حتّى من وجه الشيطان أنا خجلان. حيث إنَّ الجميع في أعمالهم (وشؤونهم) ثابتون (ومقاومون) لكن هذا الضعيف العهد غير ثابت (وغير مقاوم).

١٨ ـ **إلهي**: قد جاز (أي طاف وانقضى) رجب ونحن لم نتجاوز عن أنفسنا فتجاوز عنّا.

١٩ ـ **إلهي**: العاقبة ماذا ستكون، وماذا يجب فِعْلُهُ مع الأبد؟!

٢٠ ـ **إلهي**: العرفاء يقولون «عرِّفْنِي نفسك»، وهذا الجاهل يقول «عرِّفني نفسي».

٢١ - **إلهي**: أهل الأدب يقولون: تصرَّف في صَدْري (تَصَرُّفاً) وهذا الغير المؤدّب يقول: ضَعْ يد التَّصَرّف على بطني.

٢٢ - **إلهي**: أنا في الطريق (سائرٌ)، فإذا قُلْتَ في شأني «لم نَجدْ له عَزْماً» فماذا أفعل؟.

٢٣ - **إلهي**: جَرَّبْتُ (أو اِخْتَبَرْتُ) أن البطن طالما يكون دائراً يكون القلب بائراً «فيا مَنْ يُحيِي الأرض الميّتة» هب لي قلباً دائراً.

٢٤ - **إلهي**: الجميع يقولون: «أين الله؟» والحسن يقول: «أين غير الله».

٢٥ - **إلهي**: الجميع يريدون منك الدَّواء والحسن يريد منك الدَّاء (أو الألم).

٢٦ - **إلهي**: أريد أن لا أُريد.

٢٧ - **إلهي**: إن قُسِّمَت (الأرزاق والنِّعم) فلا يصل إلَيَّ أكثر مِمَّا أعطيت «فَلَكَ الحمد».

٢٨ - **إلهي**: ليست لنا القدرة على رؤية الشمس، فكيف نتفوّه بملاقاة خالق الشمس.

٢٩ - **إلهي**: الجميع يقولون: «أَعْطِ» والحسن يقول: «خُذْ».

٣٠ - **إلهي**: الجميع يريدون راحَةَ البال (يريدون الفراغ) والحسن يريد راحة القلب.

٣١ - **إلهي**: الجميع يريدون الرَّاحة (والهدوء) والحسن يريد القلق (والاضطراب)، الجميع يريدون مَلْجأً والحسن يريد التَّشرُّد (والغربة).

٣٢ - **إلهي**: عندما أتأمَّل فيك أخجل مما قَرَأْت (أو دَرَسْت).

٣٣ - **إلهي**: يريدون منِّي برهان التوحيد وأنا أريد دليل التَّكْثير.

٣٤ - **إلهي**: يسألونني: «ما التوحيد»؟ والحسن يقول: «ما التكثير».

٣٥ - **إلهي**: قد تُبْتُ من صلاتي وصومي فبحق أهل صلاتك وصومك إقبل توبة هذا الذي ليس بأهل.

٣٦ - **إلهي**: بفضلك وهبت لي صدراً خالياً من الحقد فبجودك هب لي شرح الصَّدر.

٣٧ ـ **إلهي**: العقل يقول: الحذر الحذر، والعشق يقول: العجل العجل، ذاك (أي العقل) يقول: تَرَيَّث، وهذا (أي العشق) يقول: أسرع.

٣٨ ـ **إلهي**: ما لِلضَّعيف الظَّلوم الجهول والواحد القهَّار (أي أين هذا من ذاك)؟!

٣٩ ـ **إلهي**: مَنْ يخجل من الأكل والشُّرب فماذا يقول عن الأمور الأخرى؟

٤٠ ـ **إلهي**: وإنْ كنت درويشاً (أي زاهداً وفقيراً) ولكن مَنْ هو أغنى منِّي لأنك رأس مالي (أو غِنَاي).

٤١ ـ **إلهي**: أنا متحيِّر في ذاتي فكيف إذا وصل الأمر إلى ذاتك.

٤٢ ـ **إلهي**: ضاعف نعمة سكوتي ببركة **﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾** أضعافاً مضاعفة.

٤٣ ـ **إلهي**: بلطفك قد أخذت الدنيا منِّي فبكرمك خذ الآخرة أيضاً منِّي.

٤٤ ـ **إلهي**: اجعل يومي روحانياً كَلَيْلِي و(اجعل) ليلي مِثل اليوم نورانياً.

٤٥ ـ **إلهي**: جعلتني حَسَناً فَصَيِّرني أحْسَنَ.

٤٦ ـ **إلهي**: وَهَبْتَ الأسنانَ فوهبتَ الخُبْزَ، وهبتَ الروحَ (أو العشق) فهب المعشوق.

٤٧ ـ **إلهي**: الجميع يتوبون من الذنب و(لكن) اجعل الْحَسَن يتوب من نفسه.

٤٨ ـ **إلهي**: يقولون إنَّ الْبُعْدَ يَجْلُبْ (وَيَصْحَب) الحرقة واللَّهيب (الهي) فبالقرب هَب للحَسَنِ حرقةً ولهيباً.

٤٩ ـ **إلهي**: لقد قُلْتَ أنت (ولا تَيْأسوا من روح الله) فكيف أكون يائساً.

٥٠ ـ **إلهي**: وهبت لي خاتماً سُلَيْمانيّاً فهب لي إصبعاً سُلَيْمانياً.

٥١ ـ **إلهي**: أعطيتني رأسَ مالِ الكسب فاعْطِني توفيق الكسب.

٥٢ ـ **إلهي**: إذا لم تكن ستّارَ العيوبِ فماذا كُنّا نفعل من الفضيحة؟

٥٣ ـ **إلهي**: أنا أقول «الله الله» وإن كنت قائلاً بـ«لا إِلَهَ إلاَّ الله».

٥٤ ـ **إلهي**: ليس لِسَكْرانِك (أي مَنْ سَكَرَ بِك) حَدٌّ «من الجلد والرجم وغيره»

ولكن مجنونك يُضرَبُ بالحجارة كثيراً، (إلهي) الحَسَن سكرانك ومجنونك.

٥٥ - **إلهي**: أين ذَوْق المناجاة من شَوْق الكرامات (أي أين هذا من ذاك)؟

٥٦ - **إلهي**: صار علمي مُوجِباً لازدياد جَهْلي فيا (من هو) علمٌ محض ونورٌ مطلق زِد على جهلي.

٥٧ - **إلهي**: أنا أثرك وصنعك فكيف لا أباهي بنفسي.

٥٨ - **إلهي**: ليس للاثنين وجودٌ وليس للواحد قُربٌ وبُعْدٌ.

٥٩ - **إلهي**: كلما ازْدَدْتُ عِلْماً ازْدَدْتُ جَهْلاً (إلهي) فزد على جهلي.

٦٠ - **إلهي**: إلى كعبة وِصالِك (يوجد) فراسخُ وفي الطريق أحجار كبيرة (أي موانع ضخمة) وهذا الأَعْرج أقلّ من السَّرطان (أي سرطان البحر) بمراتب، (وقد) قالوا للسرطان إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الصين وغير الصين. فقالوا: بِمَشْيَتِكَ وطريقَتِكَ هذه؟!

٦١ - **إلهي**: عاشق المعنى ماذا يعلم عن اللفظ وعاشق المسمّى أي أثرٍ له عن الاسم؟

٦٢ - **إلهي**: إذا كان كلماتك وكلامك إلى هذا الحد حُلْواً ومطبوعَ القلبِ (أي لذيذاً) فكيف أنت؟!

٦٣ - **إلهي**: إذا سألوني: «من أنت؟» فماذا أقول؟

٦٤ - **إلهي**: كلّما أفكّر أكثر، أتبعد أكثَر.

٦٥ - **إلهي**: جماعة يقولون: «أين أين؟» والحسن (يقول:) «هو هو».

٦٦ - **إلهي**: أخجل من أنْ أقول (يا).

٦٧ - **إلهي**: لا اللّسان يستطيع أن يقرِّر (ويعبِّر عن) حرقة القلب ولا القلم يَقْدِر (أو يساعد) على أنْ يُحَرِّره. «فالحمد لله» أنَّ المعشوق عالمٌ بما لم يُقَل وما لم يُكْتَب.

٦٨ - **إلهي**: محبَّة الوالد لولده أكثر من محبَّة الولد لوالده حيث ذلك هو الأثر لا هذا، مع أنّه إعدادٌ وليس بعلّية ومعلوليّة. فإذن محبّتك لنا حيث إنّك

عِلّتنا المطلقة إلى أي حدٍّ تكون؟ أين «يحبُّهم» من «يحبُّونَه» (أي أين هذا من ذاك)؟!

٦٩ ـ **إلهي**: تعلَّمْتُ من الأطفال أشياء (كثيرةً) فلا جَرَم أنني اقتديتُ بهم.

٧٠ ـ **إلهي**: كيف يكون، أنَّ المتذوّقين مَطْفيُّون (وساكتون) وغير المتذوِّقين في صراخٍ (وصخب).

٧١ ـ **إلهي**: الانقطاع من شياطين الجن والإنس ليس بصعب، لكن ماذا يجب أنْ يُفْعَل (أي ما العمل) مع شياطين الإنس.

٧٢ ـ **إلهي**: أنا مسرور القلب (أي فَرِح) من أنني أتأوّه من الألم لأنك جعلت لكلِّ ألم علاجاً.

٧٣ ـ **إلهي**: إذا كان في خلقة الشيطان جميع تلك الفوائد والمصالح ففي خلقة المَلَك ماذا يكون؟

٧٤ ـ **إلهي**: جعلتَ البصر بمشاهدة الجمال حسيراً، والقلب بملاقاة ذي الجمال.

٧٥ ـ **إلهي**: طوبى لمن صار وقفاً لك.

٧٦ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ وَهَبْتَ لي ثروةَ الصَّبْر حتى أوْصَلْتني إلى دولة الفقر.

٧٧ ـ **إلهي**: شكراً لك أن تَحرَّزْتُ من التقليد والْتَحقْتُ بالتحقيق.

٧٨ ـ **إلهي**: أنت خَلَقْتَ طاهراً (أو نظيفاً) لكنَّنا لَوَّثْنا.

٧٩ ـ **إلهي**: وضعُ الجبين على التراب سَهْلٌ لكن رفعَ القلبِ من التراب صعبٌ.

٨٠ ـ **إلهي**: لو لم يكن ظاهِرُنا عنوانَ باطِننا ففي **﴿يوم تُبْلَى السَّرائر﴾** ماذا نفعل؟

٨١ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني أعمى بصير، وأصمُّ سميع، وأخرسُ متكلِّم.

٨٢ ـ **إلهي**: دراويشك العَديمي الشَّأنِ في زاوية الخلوة يسيرون آفاقَ العوالم من دون ألم القدم (أي من دون معاناةٍ وتَعَبٍ)، والحال لا يتيسَّر للأثرياء (إخطاء) خطوة (منها).

٨٣ ـ **إلهي**: لئِن كنت وردةً أو شوكةً فإنَّني من بستان الحبيب (أو المعشوق).

٨٤ ـ **إلهي**: أين الإنسانُ الضعيف من حمْلِ القولِ الثقيل (أي أين هذا من ذاك)؟

٨٥ ـ **إلهي**: كيف أدَّعي العبوديَّة والطّيور يفرُّون منِّي والسِّباع ليست بمُروَّضة لي.

٨٦ ـ **إلهي**: الذِّئبُ والنِّمر يمكن ترويضهما (لكن) مع النفس المتمرِّدة ماذا يجب أن يُفْعَل؟

٨٧ ـ **إلهي**: كيف لا تكون علينا المراقبة وأنت الرَّقيب وكيف لا تكون لنا المحاسبة وأنت الحسيب.

٨٨ ـ **إلهي**: تلك الدُّرَّة الثَّمينة: «أنا بدّك اللازم يا موسى» حَلَقَةُ أُذني.

٨٩ ـ **إلهي**: العلف الزائد يمكن إزالته (عن المزرعة) ولكن من بَذْرِ الجرجير لا ينبت الخسّ.

٩٠ ـ **إلهي**: حقُّ محمّدٍ وآلِ محمد علينا عظيمٌ «اللّهم صَلِّ عَلى محمدٍ وآل محمَّد».

٩١ ـ **إلهي**: النَّهر لا يصير بحراً ولكن يمكنه أنْ يتَّحد معه (ويتّصل به) ويصير جدولاً منه.

٩٢ ـ **إلهي**: عندما أتأمَّل فيك تستولي عَلَي الرَّعشة، فالبعوضة ماذا تفعل مع الرِّيح الصرصر؟

٩٣ ـ **إلهي**: البصر يتلذَّذ من مشاهدة الجمال والقلب (يتلذَّذ) من لقاء ذي الجمال.

٩٤ ـ **إلهي**: خلقت الإنسانَ ميزاناً مستقيماً، فوا حسرةً على أنَّنا طَغَيْنا في الميزان.

٩٥ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ وَهَبْتَ لي نعمة صفة الإيثار.

٩٦ ـ **إلهي**: أعْطَيْتَنِي نعمة الإرشاد، فأعطني توفيق شكرها أيضاً.

٩٧ ـ **إلهي**: كيف يَتَيَسَّر العروج إلى الملكوت بدون الخروج من النَّاسوت «يا من بيده ملكوت كل شيءٍ خُذْ بيدي».

٩٨ - **إلهي**: أتَيتُ نحوك، فبحقّك لا تَرُدَّني إلى نفسي.

٩٩ - **إلهي**: إنْ أَرَدْتُ (أو طلبتُ) فأنا خَجْلانُ وإنْ لم أُرِد (أو لم أطلب) فأنا مُبْتَلىً.

١٠٠ - **إلهي**: إذا كان الظاهر إلى هذا الحدّ جميلاً، فالباطن كيف يكون؟!

١٠١ - **إلهي**: تفضَّل في حقّنا (أي علينا) آخِرَك أوّلاً حيث إنَّ آخر الشافعين هو أرحم الرّاحمين.

١٠٢ - **إلهي**: القلب بلا حضور كالبصر بلا نور، لا هذا (أي البصر) يستطيع أن يرى الصورة ولا ذاك (أي القلب) يستطيع أنْ يرى المعنى.

١٠٣ - **إلهي**: مَنْ أَعْقَلُ مِن مجنونك (أي مَنْ استجَنَّ بك)؟!

١٠٤ - **إلهي**: زد ثروة فقري.

١٠٥ - **إلهي**: شكراً لك حيث إنّني فَهِمْتُ أنّني لم أفهم.

١٠٦ - **إلهي**: البكاء لسان الطفل العديم اللّسان. يحصل على كلّ ما يريد عن طريق البكاء، ومنذ الطُّفولةِ علَّمتنا طريق الكسب، فما حاصل القابل الكسِل من الكامل المكمِّل؟!

١٠٧ - **إلهي**: إنَّ مهيَّجاً واحداً يُهَيِّج عالَماً فاجعل هذا المَرِح أكثر هيجاناً.

(**إلهي**:) لم أكن (موجوداً) فَوَهَبْتَ لي كسوة الوجود، وكُنْتُ نائماً فأعطيتني نعمة اليقظة، وكنت عطشاناً فأذقتني ماء الحياة، وكنت متفرّقاً فألبستَني كسوة الجَمْع، فترحَّم عَلَي بتوفيق الدَّوام في صلاتي أيضاً حيث «الذين هم على صلوٰتهم دائمون» حَسَنوا الحظّ.

١٠٨ - **إلهي**: أين المصلّي من المناجي؟ أين تالي الفرقان من أهل القرآن؟، فطوبى لمن يكون مُصَلّياً مناجياً وتالي الفرقان وأهلَ القرآن؟.

١٠٩ - **إلهي**: ما للعارف والعرفان (أي ماذا يريد من العرفان)، العاشق يرى المعشوق لا هذا وذاك.

١١٠ - **إلهي**: دَعَوْتَ المستطيعين لرؤية البيت و(دَعَوْتَ) الدَّراويش لملاقاة صاحب البيت، أولئك لهم الحجر والطِّين وهؤلاء (لهم) الحياة

والقلب، أولئك مشتغلون بالصورة وهؤلاء فانون في المعنى، فطوبى للمستطيع الذي هو درويش.

١١١ ـ **إلهي**: قَيْسُ العامِري جَنَّنته لَيْلى والحسن الآملي (جَنَّنه) خالق لَيْلى. هذا رأى الخالقَ وذاك (رأى) الخالق في المخلوق، فطوبى للمجانين.

١١٢ ـ **إلهي**: إنْ لم تأخذْ عنايتك بأيدينا فمن أربعينات من أربعينيّاتنا (أي ما يتَّخذه العرفاء للاعتكاف من الأيام) لا يحصل شيء.

١١٣ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الهادئين على بساط قُرْبِك دائماً.

١١٤ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ صار هذا الخالي اليد (أي الفقير والمُعْدَم) مقيَّدَ الرِّجلِ بك (أي مُعَلَّقاً قلبه بك).

١١٥ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الذين انكَسَروا (أي هَرِمُوا وشاخوا) في (سِنّ) الشباب لأنَّ الشيخوخة بنفسها انكسارٌ.

١١٦ ـ **إلهي**: العقل والعشق هما كالحجر والزُّجاج، والعُشَّاق يشكون من العقلاء لا من الجُهَّال.

١١٧ ـ **إلهي**: إنْ كان الأطفال مشغولين باللعب فالكبار (مشغولون) بماذا. (أي وهل الكبار مشغولون بِفِعْل آخر)؟!

١١٨ ـ **إلهي**: شكراً لك أنَّني استغفَرْتُ قبل الشَّيْب لأنَّ استغفار الشَّيْخ (أي الكبير في السِّنّ) كالاستهزاء.

١١٩ ـ **إلهي**: من يحبك، فكيف لا يكون عطوفاً مع خلقك؟

١٢٠ ـ **إلهي**: مَنْ له شريكٌ حتى يكون لك شريكٌ؟

١٢١ ـ **إلهي**: أنا واحدٌ بلا شريك، فكيف يكون لك شريكٌ؟

١٢٢ ـ **إلهي**: ما أحْسَنَ تلك اللَّحظة التي أكون (فيها) ضائعاً فيك.

١٢٣ ـ **إلهي**: من قَوْلِ (أو تَلَفُّظ) أنا وأنت أخجلُ، فأنت أنت.

١٢٤ ـ **إلهي**: لا يمكن البقاءُ ساكتاً ولا متكلِّماً، ففي السكوت ماذا نفعل، وفي الكلام ماذا نقول؟

١٢٥ ـ **إلهي**: توجيه القلبِ إلى الكعبةِ ماذا يفيدُ مَنْ لم يُوجِّه قَلْبَهُ إلى ربِّ الكعبة.

١٢٦ ـ **إلهي**: عبادتنا لم تُوجِب القُرْب بل أَوْجَبت البُعْدَ حيث **﴿فويلٌ للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**.

١٢٧ ـ **إلهي**: أَحْلِ فَمي بحلاوة تلاوة كلامك.

١٢٨ ـ **إلهي**: فَتْحُ القلبِ بِضَمِّ العين، نُصْبُ عيني مرفوعُ «غُضُّوا أبصاركم تروا العَجَائبَ».

١٢٩ ـ **إلهي**: القول والفعل قائلان وفاعلان في لباس آخر، حيث **﴿كلٌّ يعمل على شاكلته﴾** في كتاب التدوين والتكوين مَنْ هو غير مصنِّفه؟ (أي هو ليس إلاّ مصنِّفه).

١٣٠ ـ **إلهي**: من إقامة (أو إتيان) الصلاة أخجل ومن عدم إقامته (أو إتيانه) أخجل أكثر.

١٣١ ـ **إلهي**: إذا كان هذا المخلوق إلى هذه الدَّرجة عطوفاً، فخالقه إلى أي درجة؟!

١٣٢ ـ **إلهي**: هب للنّائمين نِعْمَةَ الصَّحوة وللصَّاحين توفيق إحياء الليل (أو قيام الليل) والبكاء والنَّحيب.

١٣٣ ـ **إلهي**: غيرُ هذا لم يكن ممكناً فمع مَنْ نتشاجر (أو نتنازع)؟

١٣٤ ـ **إلهي**: أنت شاهدٌ بنفسك أنَّ هذه الأقوال هي بسبب القلق (والضَّجر)، فلا تَعْتَبْ عَلَيْنا.

١٣٥ ـ **إلهي**: أي فضيحة أكثر من هذا أنْ يسأل الفقير من الفقراء.

١٣٦ ـ **إلهي**: الجنّ قالوا **﴿سَمِعْنَا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به﴾** فالويل على الإنس الذي يكون أقلَّ من الجن.

١٣٧ ـ **إلهي**: الوَيْل علي إنْ يتألَّم قلْبٌ منِّي (أي بسببي).

١٣٨ ـ **إلهي**: يا ليته لم تكن ألفاظٌ غيرَ أسمائك العليا وصفاتك الحُسْنى حيث كم اكتسَبْنَا الألوانَ مِنْ ألوانِ الألفاظ.

١٣٩ ـ **إلهي**: مَنْ أنا وما هي أطوار خِلْقَتي؟

١٤٠ ـ **إلهي**: الجميع يخافون من الموت والحسن (يخاف) من الحياة لأنَّ هذه زراعةٌ وذاك حصادٌ **﴿كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً﴾** و«الدُّنيا مزرعة الآخرة» **﴿جزاءاً وفاقاً﴾**.

١٤١ ـ **إلهي**: ترحَّم عَلَي بتوفيق امتثال تلك الرُّؤيا الحلوة: «يا حسن خذ الكتاب بقوّة».

١٤٢ ـ **إلهي**: الغذاءُ يعطي للأفعال والكلام لوناً ورائحةً، فالْوَيل لمن يكون فَمُهُ مزبلةً.

١٤٣ ـ **إلهي**: العبادة بلا معرفة كومة بخردل **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وَزْناً﴾** فالسَّعيد مَنْ **﴿ثَقُلَتْ موازينه﴾**.

١٤٤ ـ **إلهي**: الفاكهة موجودة في طول نواتها والجزاء (موجود) في طول العمل بل (الجزاء) هو نفس العمل **﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء﴾** فهنيئاً لمن هو روضة من رياض الجنة.

١٤٥ ـ **إلهي**: الباب ليس بمغلقٍ (ولكن) نحن مغلقوا الأيدي والأرجل.

١٤٦ ـ **إلهي**: إنْ أَقُل في جواب خطاب **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** لَبَّيْك، فهو باعثٌ للخجل، وإنْ لا أَقُلْ فهو بعيدٌ عن وظيفة العبوديَّة.

١٤٧ ـ **إلهي**: اليومُ أيضاً مِثلُ **﴿اليوم نختم على أفواههم﴾** حيث **﴿لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون﴾**.

١٤٨ ـ **إلهي**: أنا مسرور القلب بأنني أقول: إلهي.

١٤٩ ـ **إلهي**: سَلَّمْنا (أو وهبنا) القلبَ للجمال المطلق فليكن ما يكون.

١٥٠ ـ **إلهي**: مَنْ ذا الذي وُفِّق لزيارة جمالك المحبوب ولم يَعْشَقْكَ (أو لم يُفْتَن بك)؟

١٥١ ـ **إلهي**: مَنْ (ذا الَّذي) قال: الله، ولم يسمع لَبَّيْك؟

١٥٢ ـ **إلهي**: إنْ يكن كلامي مشوشاً فالمشتَّت (أي الكلام المتبعثر والمشتَّت) من المجنون حُلْوٌ.

١٥٣ - **إلهي**: الورد يعطّر الأَنْفَ والكرّاث يُنْجِزُ الفمَ مع أنّهما مزروعا الآخرينَ (أي زَرَعَهُمَا الغير) وخارجان عن ذاتنا. فما زَرَعْناهُ في أنفسنا ماذا سيفعل مَعَنا؟

١٥٤ - **إلهي**: عمرا (أي طوالِ عمرٍ) كنت أقول أين أين؟ والآن أقول هو هو.

١٥٥ - **إلهي**: قبل العطش الماءُ يتدفَّق من مَنْبَعِ العينِ وعطشانُ للعطشان وقبل الجوع القمح ينمو من المزرعة وجوعانٌ للجوعان. (ذلك هو) العشق الذي هو سارٍ في الجميع بل ليس الجميع سوي العشق.

١٥٦ - **إلهي**: بَدِّل رُؤيانا باليقظة.

١٥٧ - **إلهي**: الذِّلَّة واللَّذَّة قريبتان بل قرينتان حيث (إنَّ مع العُسْرِ يُسْراً) والسائر (أو السالك) يجد في ألمِ البَدَنَ كَنْزَ الرُّوحِ و(يجد) في هذا الحَملِ الثَّقيل حِملاً ثميناً.

١٥٩ - **إلهي**: من يكن عالماً يكن عامِلاً، (لكن) هذا النَّائم صانعٌ لا عالمٌ.

١٦٠ - **إلهي**: من له رأس مالٍ ولا يستفيد منه فهو مُبْتَلىً ومسكينٌ أكثر مِن المتسوِّل (والفقير).

١٦١ - **إلهي**: شكراً لك أنّني في لِباسِ أَحِبَّتِك، فاجعلني في عِدادِ أحبَّتِك.

١٦٢ - **إلهي**: جَعَلْتَني في صورة الأنبياء فاجعلني على سيرتهم أيضاً.

١٦٣ - **إلهي**: تَرْكُ ما سوى المعشوق للعاشق عَيْنُ الفَرْض، فإن قلباً واحداً ومعشوقين، كذبٌ محضٌ.

١٦٤ - **إلهي**: أنا صادقٌ في ﴿**إيَّاك نستعين**﴾ وفي ﴿**إياك نعبد**﴾ لَسْتُ بكاذبٍ.

١٦٥ - **إلهي**: كريمةُ ﴿**الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تَمُت في منامها**﴾ تجعل النومَ حُلْواً والموتَ أحْلى.

١٦٦ - **إلهي**: أيكونُ للخُفَّاش طيرانٌ في الليل ولا يكون للحَسَن؟!

١٦٧ - **إلهي**: كُلَّما طَرَأَ (علينا أو حَلَّ بنا)، فأهلاً (ومرحَباً) به حيث إنّنا ضيوفُ مائدتك.

١٦٨ - **إلهي**: جَيِّدٌ (أو حَسَنٌ) للبدن أنْ ينثني لأجلِ الواحِدِ وجَيِّد للرُّوح أنْ يُصْبح من الإثنين واحداً (أي يتوحّد).

١٦٩ ـ **إلهي**: إنْ لم نُنَادِ: الله الله، فماذا نفعل؟ وإن لم نَتْرُك ما سوى (الله) فماذا نفعل؟

١٧٠ ـ **إلهي**: أَعْجَبُ مِمَّن لا يحزن لنفسه ويَحْزَنْ لرزقه.

١٧١ ـ **إلهي**: العظماء قد خَرِسوا فالمجانين ماذا يقولون؟

١٧٢ ـ **إلهي**: لا تجعل لي اسماً غيرَ اللاّإسم.

١٧٣ ـ **إلهي**: لماذا أبكي وأنت عندي ولماذَا لا أبكي لأنَّني أنا؟

١٧٤ ـ **إلهي**: في هذا العالم المليء بالضَّوضاء لِمَ لا أصِيح بـ: هو هو؟!

١٧٥ ـ **إلهي**: ماذا أنْزَلوا على رأسِ نوحِ النَّجِي (أي ماذا فعلوا به) حتى قال **﴿رَبِّ لا تَذَر﴾**؟! **﴿سلامٌ على نوحٍ في العالمين﴾**.

١٧٦ ـ **إلهي**: الأطفال الكتابِيُّون يَصِلُون إلى الكمال بِوَعْدِ الجوز، والكبار المُتَغَلِّمُون (أو المتطفِّلون) بوعْدِ الجنة.

١٧٧ ـ **إلهي**: طوبى للعالين حيث لم يروا ولم يعرفوا غيرك.

١٧٨ ـ **إلهي**: الحرم على اللاّ مَحْرَم حرامٌ، (لكن) المَحْرَم لماذا يكون محروماً؟

١٧٩ ـ **إلهي**: باليوم والغد (أي بالتَّسويف) لا عَمَل اليوم قد أُنجِز ولا (عمل) الغَدِ، فماذا نفعل مع **﴿كلهم آتيه يوم القيامة فَرْدا﴾**.

١٨٠ ـ **إلهي**: للأشرار علينا حقٌّ كثيرٌ فكيف بالأخيار.

١٨١ ـ **إلهي**: العالَمُ سِجْنُ المَهَرَة (أي مهرة السَّير والسّلوك) وحارس العالم جنَّتهم، فاجعلنا (أو فاحشرنا) مع المهرة.

١٨٢ ـ **إلهي**: إذا كان القاسم (أو المُقسِّم) أنت فليس أَحَدٌ بمحرومٍ ولا مغبون.

١٨٣ ـ **إلهي**: مع السِّباع يمكن العيش (لكن) مع الغاغة ماذا يجب أَنْ يُفْعَل؟

١٨٤ ـ **إلهي**: أي عذابٍ أصعب من الحجاب؟، فبحقِّك حرِّرني من حجابي.

١٨٥ ـ **إلهي**: التوبة من الذَّنب سهلةٌ، فَوَفِّقْنا أنْ نتوب من عبادتنا.

١٨٦ ـ **إلهي**: الحسنُ الآملي كان مليئاً بالآمال (لكن) في سبيل أَمَلٍ واحدٍ وطأ الجميع بقدمه (أي حَطَّم الجميع)، يا مُنتَهى أمل الآملين من بعد ذلك أنت تعلم (أي فالأمر إليك).

١٨٧ ـ **إلهي**: شكراً لك على أنّني أقول شكراً لك.

١٨٨ ـ **إلهي**: إنْ كان آخري (أي نهايتي) كأوّلي فسوءاً لأوّلي وآخري.

١٨٩ ـ **إلهي**: خلقٌ متوغّلون بالنّاسوت، وجَمْعٌ متلَذِّذون بالمثال، وقليلٌ مبهوتون بالملكوت، «سبحانك ما أعظم خلقك وأمرك»؟

١٩٠ ـ **إلهي**: مِنْ ذكر أسماء الأنبياء والملائكة أخجل، حيث مع أي لسان (أذكرهم)؟ فماذا أفعل مع أسمائك حيث قُلْت «عظّم أسمائي» وماذا أفعل مع تلاوة كتابك حيث **﴿لا يمسه إلاّ المطهَّرون﴾**؟

١٩١ ـ **إلهي**: «لولا الشيطان لبطل التكليف» سبحانك ما أحسن صنعك.

١٩٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ وَصَلَ حَيْرانٌ (أي شخصٌ حيرانٌ ومضطربٌ) إلى مقام اليقين.

١٩٣ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني أتلذّذ من الوحدة والخلوة لأن الوحيد يستوحش من الخلوة.

١٩٤ ـ **إلهي**: قَسَماً بكبريائك أنني أفخَرُ بثياب الفقر وأخجل من (الثّياب) الفاخرة حيث في تلك أكون مثيلَ العاجزِ (أو المسكين) المنكسر القلب وفي هذه يُخاف من انكسار القلب، فماذا أفعل حيث في هذا الأوان (أي الزمان) العديم الأساس «لولا اللّباس لالتبس الأمر على أكثر الناس».

١٩٥ ـ **إلهي**: بارِك لذّة الجوع في فمي (أي زِدْهُ بركةً).

١٩٦ ـ **إلهي**: إذا كان الحشر مع عالم الخيال إلى هذا الحدِّ لذيذاً فكيف سيكون الحشر مع عالم العقل.

١٩٧ ـ **إلهي**: أتَيْتُ فلا تَرُدَّني، وجعلتني نارياً فلا تُبَرِّدْني.

١٩٨ ـ **إلهي**: إنْ أستغفر لصغيرةٍ واحدة إلى يوم القيامة فَلَن أخرج من خجلِ تقصير العبوديَّة.

١٩٩ ـ **إلهي**: ليس الكلام في عفوك ورَحْمَتِكَ، وَهَبْ أنَّكَ سامَحْتَني فماذا أفعل من الخجل؟ فأنت بنفسك شاهدٌ أنّني أخجل من الاستغفار.

٢٠٠ ـ **إلهي**: طلبُ الاستغفار هو غفرانك، فمع ذِكرى الذَّنب ماذا أفعل؟!

٢٠١ ـ **إلهي**: ماذا يجب أنْ يُفْعَل حتى يُنسى الذَّنب؟ وإلاَّ فمع تذكُّر الذَّنب إنْ تطردني فخجلانُ وإنْ تَرْأف (أو تعطف) فخجلانُ أكثر.

٢٠٢ ـ **إلهي**: من بعد هذا لا أستطيع أَنْ أتلَذَّذ من الجنَّة لأنَّ عفو الإحسان بإزاء الجرم والعصيان يوجب انفعالاً أكثر إلاَّ أنْ يصبح نصيبي جنة اللِّقاء حيث في الحضور التَّام يُنْسى غيرك.

٢٠٣ ـ **إلهي**: ضَيَّعْتُ الشَّهرَ المبارك («١٣٩٠هـ.ق» لأنَّني لم أعرف قدر الصَّوم ولا قدر القدر، ولم أقرأ القرآن وما كان لي سحرٌ ولا سهر، فماذا أفوز في ليلة الجوائز غيرَ الخجل (والحياء) فطوبى للصائم حيث «له فُرْحَتان حين يفطر وحين يلقى ربّه»، وسوءاً بحالي حيث لي «حُزْنَتان»، فيا إلهي!! آهي محرقة لِجَهَنَّم (أي تحرق جهنّم).

٢٠٤ ـ **إلهي**: الوَيْل لِمَنْ لم ينزل عليه الملَك في ليلة القدر، (حيث) يصبح مونِساً وجليساً للغولِ (أي الشَّيطان).

٢٠٥ ـ **إلهي**: زِدْ يقيني واستَبْدِل اضطرابي بالاطمئنانِ، وما تريد أنْ تفعله (بي) في الآخر (أي في النِّهاية) افْعَلْهُ في الأوّل حيث إن آخر الشافعين هو أرحم الرَّاحمين.

٢٠٦ ـ **إلهي**: كنتُ مسرورَ القلب أنَّه كان لي أحياناً بكاءٌ مُحْرِقٌ وكنتُ أذْرِفُ حَبَّات (أو قطرات) الدُّموع النَّاريّة ولكن هذا الفيض أيضاً انقطع منِّي حيث يخاف زوالُ البصر و(زوال) الأمور المُهِمَّة التي يكون فيها امتثال أمرك بالنَّظر، ولكن يا إلهي: إنْ لم يَبْكِ العاشق فماذا يفعل؟ وإن لم يُطِعِ العبد فماذا يفعل؟.

٢٠٧ ـ **إلهي**: جعلتني في ظلِّ الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلَّم كي أجِذْكَ و(كي) أنجي عبيدَك (أي أهديهم وآخذ بيدهم)، فكيف أشكر هذه

الموهبة؟ يا إلهي: ليس للمُلَوَّثِ (أي الشخص المذنب) إذنٌ (أو طريق) إليكِ وليس له مع عبيدك عَمَلٌ، فخذ بيدي حتى أكون ثابتاً في طريقي.

٢٠٨ - **إلهي**: ما للفم الملوَّث مع كتابك حيث **﴿لا يمسّه إلاّ المطهَرون﴾** فالوَيْل لذلك المرشد الذي يكون فمه ملوّثاً لأنّ ذلك اللاّرشيد هو نفسه شيطان مريد، فإنْ كان في الظاهر «بايزيد» فهو في الخفاء مع «يزيد».

٢٠٩ - **إلهي**: الحشر والتَّكَلّم مع الخيالات نوعٌ من «الماليخوليا». حيث «الجنون فنونٌ» فبحرمة عوالم العقول حرِّرني من ذلك (أي من الحشر والتَّكَلّم مع الخيالات) وأوصِلْني إلى هذه (أي عوالم العقول): حيث هذا الحضور يوهب النُّورَ وذلك التَّكلُّم يوجب الظلمة.

٢١٠ - **إلهي**: كيف لا يكون لي صياحٌ ونَوْحٌ حيث لَوْ بَلَّ جبل «دماوند» فَمَهُ (أي تذوَّق) مِمَّا صَبَبْتَ في فمي (أي مِمّا سقيتني) فسوف لا يعرف الرأس من القدم رَقصاً وسوف يتلف (أو يهلك) من الطَّرب.

٢١١ - **إلهي**: إذا صار العلمُ قاطعَ الطَّريقِ فمن يكون العَاصِم غيْرك؟

٢١٢ - **إلهي**: لو صار العالِمُ قاطعَ الطريق فهو أسوأ من كلِّ جبَّار لأنه لِصٌّ مع مصباح.

٢١٣ - **إلهي**: صار حاصلُ عمري من الدرس والبحث (أي من درسي وبحثي) هذا: مِنْ أنَّ للعالم حارساً (وصاحباً) وللإنسان ملجئاً ومعقلاً.

٢١٤ - **إلهي**: يا صديقي أنت بنفسك تعلم أنَّني غريبٌ فَغَرِّبْنِي أكثر، وهنيئاً بحال المؤمن لأنه غريبٌ.

٢١٥ - **إلهي**: في هذه الليلةَ الإثنين سلخ شهر الله المبارك من ألف وثلاثمائة وتسعين من الهجرة مع كسب الإجازة من حضوركم (أو محضركم) الأنوَر، سَمَّيْتُ مملكة الوجود الواسعة بمعمورة العشق.

٢١٦ - **إلهي**: أصبحْتُ عالِمَ النّجوم (أو منجِّماً) ولم أصبح عالِمَ نفسي، ولي علمٌ (وخبرٌ) برموز الزِّيج والرّبع المجيَّب والاسطرلاب ولا عِلْمَ لي بأسرار نفسي (وروحي).

٢١٧ ـ **إلهي**: تَحْطيم الصَّنم الحجري سَهْلٌ جداً وتحطيم صَنَم النفس صَعْبٌ جداً، فالسَّعيد من يكون من أمَّة الخليل المحطِّم للأصنام الذي حطَّم كلَيْهما.

٢١٨ ـ **إلهي**: لو أُصَدِّق (بمقدار) رأسَ شعرةٍ أنَّ مِهْنتي (أو حِرْفَتي) مقبولةٌ في مَحْضَرك لأَرقُصَنَّ وَلأَتَرنَّمَنَّ مثل (شجر) السَّرْوِ (أو الصَفْصَاف) التي من هبوب الصَّبا تَتَبَخْتَرُ يساراً ويميناً. بحيث أُهَيِّج الحجر والطين من هَيَجاني وأرقِّصُ الجَبَلَ من ألحَاني.

٢١٩ ـ **إلهي**: جميع أنحاء ذَرّات عوالم الوجود في حركةٍ وهَيَجان فكيف يكون الحسن ساكناً (أو ساكتاً).

٢٢٠ ـ **إلهي**: مَنْ لا عشق له فما قيمته؟

٢٢١ ـ **إلهي**: أيكونُ للدِّيك سَحَرٌ ولا يكون للحسن؟!

٢٢٢ ـ **إلهي**: بذل الرأس في سبيل القائد سَهْلٌ ولكن إيداع القلب بيد المحبوب (أو المعشوق) صَعْبٌ، حيث ذاك الجهاد الأصْغَر وهذا (الجهاد) الأكبر.

٢٢٣ ـ **إلهي**: (أصبح) حاصلُ فكري عدم الفكر فطوبى لمن تعدَّى عن الفكر.

٢٢٤ ـ **إلهي**: أين البيت من صاحب البيت (أي أين هذا من ذاك)؟ أين الطائف بذاك من العارف بهذا؟ ذاك سَفَرٌ جسمانيٌّ وهذا روحاني. ذاك (يكون) للغني وهذا للدَّرويش (أي الفقير)، ذاك يودِّع الأهل والعيال وهذا (يودِّع) ما سِوى (الله). ذاك يقوم بترك المال وهذا بترك الرُّوح. سَفَرُ ذاك (يكون) في شهر مخصوص و(سفر) هذا (في) كلِّ شهر. و(سفر) ذاك مرّة واحدة وهذا في جميع العمر. ذاك يقوم بسفرِ الآفاق وهذا (يقوم) بسير الأنفس، طريق ذاك (السفر) له نهاية و(طريق) هذا ليس له نهاية. ذاك يذهب حتى يعود وهذا يذهب حتى لا يبقي (أو لا يكون) له اسْمٌ وَرَسْم. ذاك يَطْوي الفَرْش وهذا (يطوى) العرش. ذاك يصبح مُحْرِماً وهذا (يصبح) مَحْرَماً. ذاك يلبس لباس الإحرام وهذا يتعَرّى من نفسه. ذاك يقول (لَبَّيْك) وهذا يسمع (لَبَّيْك). ذاك (يَسير) حتى يصل

إلى المسجد الحرام وهذا يتعدّى عن المسجد الأقصى. ذاك يقوم باستلام الحجر وهذا (يقوم) بشقِّ القمر، ذاك له جبل الصَّفا وهذا له روح الصَّفا. سَعْي ذاك عِدّة مرّاتٍ بين الصَّفا والمروة وسعي هذا مرّة واحدة في بلدة الوجود. ذاك يُهَرْوِلُ وهذا يطير، ذاك يطلب مُقَام إبراهيم وهذا (يطلب) مَقَام إبراهيم. ذاك يشربُ ماءَ زَمْزَمْ وهذا (يشرب) ماء الحياة. ذاك يرى عرفاتَ وهذا (يرى) العرصات. ذاك له وقوفُ يوم واحد وهذا له كل يوم (وقوفٌ) ذاك يَنْفر من عرفات إلى المشعر وهذا من الدُّنيا إلى المَحْشَر. ذاك يتمنّى دَرْكَ مِنى وهذا (يتمنّى) تَرْك التَّمنِّي، ذاك يقدِّم البهيمة قُرباناً وهذا (يقدِّم) النفس (قُرْباناً). ذاك يرمي الجمرات وهذا يرجم الهَمَزات. ذاك يحلق الرأس وهذا يترك (أو يفدي) الرأس. ذاك لا جدال ولا فسوق له في الحَجِّ وهذا (لا جدال ولا فسوق) له في العمر. ذاك يطلب الجنة وهذا (يطلب) خالق الجنة. لا جرم ذاك يُصْبح حَاجّاً وهذا (يصبح) ناجياً. فطوبى لذاك الحاج الذي هو ناجٍ.

٢٢٥ ـ **إلهي**: إنْ كان هذا وسع العالم الطبيعي. ففسحة العالم الرَّبّاني ما هي؟!

٢٢٦ ـ **إلهي**: منّي آهٌ ومنك نَظْرَةٌ.

٢٢٧ ـ **إلهي**: وَصَلْتُ إلى الثلاثة والأربعين (وقد) كانت عِدَّة سَنَوات (منها) أيام الصِّبى، وبعد ذلك إلى الأربعين كان عهدُ نخوةِ الشَّباب وغرور تحصيل فنونِ الجنون، والآن حاصل يقظتي السَّنَتَيْنِيَّةِ هو الآه حيناً فحيناً «يا لا إله إلاّ أنت» ليس لي شيءٌ في البساط غير الآه فمِنّي آهٌ ومنك نظرةٌ.

٢٢٨ ـ **إلهي**: عمراً (أي طول العمر) لم يكن لي في البساط آهٌ والآن ليس لي في البساط إلاّ الآه.

٢٢٩ ـ **إلهي**: (أنا) أغبط الملائكة الذين لا يعلمون إلاّ السُّجود. فيا ليت الحَسَنَ كان من الأزل إلى الأبد في سجدة واحدة.

٢٣٠ ـ **إلهي**: إلى متى أكون عبد الهَوَى فبعزّتك صِرْتُ عبد الهوى.

٢٣١ ـ **إلهي**: (نحن) من عدم الأكل (أي إذا لم نأكل) مفضوحون ومن الأكل (أي إذا أكلنا) مفضوحون أكثر.

٢٣٢ ـ **إلهي**: مَنْ أهْوَن (أو أعجز) مِمَّن لم يسكر بك؟

٢٣٣ ـ **إلهي**: هب عبدالله ومحمداً وعلياً والفاطمتين والحسين بالحسن وهب (اغفر) للحسن بمحمّد وعلي وفاطمة والحَسَنَيْن.

٢٣٤ ـ **إلهي**: الجميع يشاهدون هذا وذاك والحسن يشاهد نفسه حيث لم يجد (شيئاً) جديراً بالمشاهدة أكثر من نفسه.

٢٣٥ ـ **إلهي**: كلُّ مَنْ أراد الفرحة فَلْيُرِد، (ولكن) هب للحسن غمّاً مُستَمِرّاً (أو مُتَصلاً) وقلباً منكسراً حيث قلت: (أنا عند المنكسرة قلوبهم).

٢٣٥ ـ **إلهي**: القلبُ مع عدم الحضور بصر عديمُ النُّور، هذا (أي البصر العديم النور) لا يرى الدنيا وذاك (أي القلب العديم الحضور) لا يرى العُقْبى.

٢٣٧ ـ **إلهي**: الفرد الوحيد هو أنت لأنَّ ما سواك جميعاً زوجٌ تركيبي، والصمد فقط هو أنت لأنه لا يوجد مُصْمَتٌ غيرك، وأنت الجميع لأنَّك صَمَدٌ.

٢٣٨ ـ **إلهي**: ولدي الحسين الرضيع يَعْزِف نَغْمَة الوقوف (أي يريد أَنْ يقف) ومن العَجْز وعدم القدرة (أو عدمِ التَّحَمُّل) يرتجف على نفسه كي أمسك بِيَده وأوقفه حتى يَهْدَأ، والحسَن أيضاً هو حسينك ولا يوجد ماسكٌ غَيْرُك فبرضيع الحسين (عليه السلام) خُذْ بيد الحسن.

٢٣٩ ـ **إلهي**: هب لي رضيعي الحسين، وتجاوز عن الحسن برضيع الحسين (عليهما السلام).

٢٤٠ ـ **إلهي**: من لم يجعل النوم حبالة اصطياد المبشِّرات فقد قام بكفران نعمة ثمينة حيث هي باب من النُّبوَّةِ.

٢٤١ ـ **إلهي**: الرُّجوع من «الهجرة نحوك»، تَعَرُّبٌ بعد الهِجْرَة وأنت الحافظ للقلوب.

٢٤٢ ـ **إلهي**: أنت بنفسك شاهد أنَّ في عصر آخرِ يوم شهرِ الله المبارك لألفٍ وتسعمائة وتسعين استولت على هذا العبد حسرة (عظيمة) بحيث تساوت

أطراف عينيه مع الميزاب الربيعي وكانت آهاته النّارية محرقة جهنّم حيث أنّ اليقظين (أو الصّاحين) في هذا الشهر قد فازوا وهذا النائم قد خَسِر، هذه كانت حسرة شهر واحدٍ فمع حسرة عمرٍ (كامل) ماذا يجب أنْ يُفْعَل؟ هذه الليلة التي هي ليلة الأربعاء الثلاث والعشرين من شوّال المكرّم لألف وثلاثمائة وتسعين تُبْتُ من (أعماق) القلب والرّوح وشدَّيتُ الرَّحلَ نحوك مُخلِصاً يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله اقبل مسافرك التَّائب وَوَفِّقْهُ أنْ يكون ثابتاً على عهده وأن يكون مَحْوَ المشاهدة (أو الملاقاة) دائماً.

٢٤٣ - **إلهي**: وَهَبْتَ لي نور البرهان فهب لي نار الوجدان أيضاً.

٢٤٤ - **إلهي**: ما لِلفَطِن (أو المُنْتَبِه) مع السرير والوسادة وما للسكران مع الدِّين والطريقة.

٢٤٥ - **إلهي**: من لا يَسْمَع في الصلاةِ جوابَ السَّلامِ فلم يُصْبح مُصَلِّياً بَعْد (أو إلى الآن) فاجعلنا مع المصلِّين.

٢٤٦ - **إلهي**: طوبى لمن يكون ثابتاً على عهده ويكون مَحْوَ المشاهدة (أو الملاقاة) دائماً.

٢٤٧ - **إلهي**: الجميع ثابتون في طريقهم فاجعل الحسن ثابتاً في طريقه.

٢٤٨ - **إلهي**: هب لي توفيق ترك العبادة في عبادتي.

٢٤٩ - **إلهي**: الحاضر غير مساوٍ للغافل فهب لي حضوراً وغفلة.

٢٥٠ - **إلهي**: شكراً لك على أنني وصلْتُ إلى سِرِّ (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية) وعرفْتُ الإمام وفهِمْتُ أنَّ الإمام أصله قائم ونسله دائم.

٢٥١ - **إلهي**: ذلك الشخص يكون له تاج العزة على رأسه الذي تكون حلقة إرادتك في أذنه وطَوْق عبوديّتك في عنقه.

٢٥٢ - **إلهي**: الجميع يَرَوْنَ الحيوان المفترس في الجبل والغابة، والحَسَن (يراه) في المدينة والقرية.

٢٥٣ ـ **إلهي**: كنت في نوم عميق واستيقظت متأخراً، مع ذلك شكراً لك أنّني استَيْقَظْتُ، فالسعيد مَن كان مشمولاً لِـ**﴿آتيناه الحكم صَبِيّا﴾**، و**﴿آتيناه رَحْمَةً مِنْ عندنا﴾**، و**﴿عَلَّمناه مِنْ لَدُنّا علماً﴾**.

٢٥٤ ـ **إلهي**: الحسن هو الهيولى الأولي العديمة الشيء (أي التي ليس لها شيء) وهو فقط قابل لملاقاة صورة المعشوق.

٢٥٥ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني حقير وفقير لا أمير ووزير.

٢٥٦ ـ **إلهي**: كيف لا أكون حاضراً (في محضرك) حيث أنني معلومك بل علمك **﴿وسع ربِّي كلّ شيء عِلْماً﴾**.

٢٥٧ ـ **إلهي**: كيف أقوم بعهدة الشكر حيث وهبت لهذا العديم الاسم والرسم ملجأً ومعقلاً.

٢٥٨ ـ **إلهي**: إلى الآن كنتُ مجنوناً عاقلَ المَظْهَرِ والآن صِرتُ عاقلاً مجنونَ المظهر.

٢٥٩ ـ **إلهي**: أولاد الحسن كلّما تَعِبُوا من العمل بمجرّد سماع «بارك الله» من الأب مرةً اكتسبوا قُوَّةً (أي استعادوا قواهم) بحيث كأنهم لم يَرَوا تَعَباً (أي لم يتعبوا أصلاً)، فإذا سمع أبوهم مَرَّةً واحدة «بارك الله» منك فماذا سيفعل؟!

٢٦٠ ـ **إلهي**: ما للعاشق والشِّعرِ والشاعريةِ والتَّطرُّق للسّجع والقافيةِ واللَّعبِ بالألفاظ (أي ماذا يريد من هذه الأشياء).

٢٦١ ـ **إلهي**: الطيور جميعاً في جانبٍ وطائر العشق في جانب (آخر)، النباتات جميعاً في جهة ونبات العشق في جهة (أخرى)، جميع الدُّروس في جانبٍ ودرس العشق في جانب (آخر)، الجميع في جهة والعشق في جهة (أخرى).

٢٦٢ ـ **إلهي**: البلبل مأنوسٌ بالمَرَج والجُعَل (مأنوس) بالسِّرجين. فاجعل الحَسَن مثل ذاك لا مثل هذا.

٢٦٣ ـ **إلهي**: أنا في عَجَبٍ (أو متعجِّبٌ) من الأكل، حيث يُصَيِّر الجماد حيواناً والحيوانَ إنساناً.

٢٦٤ ـ **إلهي**: هذه هي الأيام المعدودات ومحرّمٌ شهر الإرشاد في الآتية (أي مُقْبِلٌ)، فوفِّقني الآنَ حتى أصير قابلاً للإرشاد حيث الكلام من الفم بدون العمل ليس له أثر.

٢٦٥ ـ **إلهي**: نَعَّمْتَني بنعمة لقائك فكيف أشكر ذلك؟!

٢٦٦ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني وصلتُ إلى جنّة لقائك.

٢٦٧ ـ **إلهي**: أنا خجلان في ما أنا من الأربعين الكليمي، من الأربعينِ والكليمِ (ع) وكريمةِ ﴿**وواعدنا موسى**﴾ لأنني لم أُؤَدِّ حقّ أيِّ مِنهُنَّ.

٢٦٨ ـ **إلهي**: أنّى يكون سِرُّ الحبيب مستوراً عن الحبيب (و) كيف يَدَّعي الحسن المحبة وهو مهجورٌ.

٢٦٩ ـ **إلهي**: عُمراً (كاملاً) أمضيْتُ اليومَ إلى الغَدِ فَوَفِّقْني الآن أنْ أُعيد الغَد إلى اليوم.

٢٧٠ ـ **إلهي**: صارت ثمرة درسي وبحثي وفِكْري وذِكْري: أنَّ للعالم حارساً وللرُّوح معشوقاً (أو محبوباً).

٢٧١ ـ **إلهي**: أذهب فداءاً لشفتي وفمي (أي فديتهما بنفسي) لأنَّهُما متكلمان بِذِكْرِك.

٢٧٢ ـ **إلهي**: إلى الآن كنتُ أجد الطريق إليك مِنْ هذا وذاك، والآن منك أتعَرَّف بهذا وذاك.

٢٧٣ ـ **إلهي**: أنا مُتَعَجِّبٌ مِمَّن يَزْدَهر (أو يتفتَّح) في الغربة مِنْ ذِكْرِ الوطن، وينقبض في الدنيا من ذِكْرِ الآخرة.

٢٧٤ ـ **إلهي**: كيف يكون (أنني) عندما أنظر (أو أتأمّل) في نفسي أتقرَّب إليك وعندما أتأمل فيك أَبْتَعِد عَنْك.

٢٧٥ ـ **إلهي**: أنت بنفسك عظيم (أو كبير) ومتسلِّطٌ على الجميع، وقد خلقتني عظيماً (أو كبيراً) ووهبت لي السلطة على الجميع، نعم من العظيم الكذائي ينشأ العظيم الكذائي.

٢٧٦ ـ **إلهي**: حتى الآن كنت أراك (أو أتصوَّرك) مَخفِيّاً والآن أرى غيركَ مَخفِيّاً.

٢٧٧ ـ **إلهي**: شخصٌ له حافظةٌ قويَّة، وآخرٌ له هاضمةٌ قويَّة، فطوبى لِمَن (أو فالسعيد مَنْ) كانت له عاقلة بالِغَةٌ.

٢٧٨ ـ **إلهي**: مَنْ أعطيته قلباً مفتوحاً يَكُنْ مُغْلَقَ الفم. وهذا المتكلِّم الهَذِر مغلق القَلْبِ.

٢٧٩ ـ **إلهي**: سلِّطْتني (أو وَهَبْتَ لي السُّلطة) على الجميع فبسُلْطانك سلِّطني على نفسي.

٢٨٠ ـ **إلهي**: كان الحسن من نفسه كذا وصار بيدك هكذا فشكراً لك أنْ صار (شخصٌ) مثل ذاك هكذا.

٢٨١ ـ **إلهي**: أنت رأس مالي، فماذا ينقصني، فأي غَمٍ لي (أي لا غمّ لي).

٢٨٢ ـ **إلهي**: كلُّ مَنْ أراهم، (أجِدُهُمْ) مع أنفسهم فاجعلني معك.

٢٨٣ ـ **إلهي**: كُلُّ مَنْ أراه، (أجده) في تسخير وتصرف الملك يقول ويسعى، فَهَبْ للحسن السَّيرَ في الملكوت والأنس مع الجبروت واجعله متكلِّماً (أو وَأَنْطِقْهُ) بلسان أولئك، واجعله في حضور مالك الملك والملكوت والجبروت.

٢٨٤ ـ **إلهي**: أنا من السّجود خجلانُ ومن رفع الرأس من السّجود خجلانُ أكثر.

٢٨٥ ـ **إلهي**: يا «لا إله إلاَّ أنت» أستأذنك (أو أطلب منك الإجازة) حتى أقول: «هو هو» و«أنت أنت».

٢٨٦ ـ **إلهي**: اجعل هذا الأقل مع القليل.

٢٨٧ ـ **إلهي**: أنا مُتَعَجِّب مِمَّن يشق (أو يحفر) الجبل حتى يصل إلى معدن الجواهر ولا يشق نفسه حتى يصل إلى مخزن الحقائق.

٢٨٨ ـ **إلهي**: كُلُّ نَقْمَةٍ وَمَشَقَّةٍ تنزل على الحسن هي نعمة وَرَحمة وجميع المرارات (أي الصعوبات) في فمه أَحْلى من العسل، وكلُّ صعوبةٍ له سهلٌ إلاَّ أنْ يُبْتَلى بالأَحْمَقِ فَبِعِزَّتك وسلطانك لا تَبْتَلِه (ولا تأسَرْهُ) في مَخْلَب (أو قبضة) الأَحْمَق.

٢٨٩ - **إلهي**: الأسد والنّمر يمزقان الحسن، ولا يكون مع الأحمق (أي خيرٌ له من ذلك).

٢٩٠ - **إلهي**: صار سطح أرضك دكّة السّباع فالسعيد مَنْ نجى من الوحوش.

٢٩١ - **إلهي**: شكراً لك أنني عبدٌ حُرٌّ.

٢٩٢ - **إلهي**: لا أقول إنني لَسْتُ بظالمٍ ولكن شكراً على أنني لم أصبح من عُمّال الظلمة.

٢٩٣ - **إلهي**: انْحَدَرَ سَيْلٌ حَتَّى صارَ نصيب الحسن قطرةً.

٢٩٤ - **إلهي**: شكراً لك أنْ صيَّرتَ هذا الطفل في ظلِّ إقبال العظماء واسطةَ الفَيْضِ.

٢٩٥ - **إلهي**: وإنْ كانَ العلم الرَّسْمِي هو القيل والقال مع ذلك شكراً لأَنْ صار العلم والكتاب حجابي لا الحجر والطِّين والدِّرهم والدِّينار.

٢٩٦ - **إلهي**: بحرمة مَنْ ألجَأتهم (وأغنيتهم) اجعل هذا المسكين شريدك.

٢٩٧ - **إلهي**: شكراً لك أنني لَسْتُ مِن مُحِبِّي أعدائك ولا أعداءِ محبِّيك.

٢٩٨ - **إلهي**: شكراً لك أنني أُحِبُّ مُحِبِّيك وأُعادِي أعداءك.

٢٩٩ - **إلهي**: لا أقول أنني من المُحِبِّين ولكن شكراً على أنني لَسْتُ من الأعداء.

٣٠٠ - **إلهي**: شكراً لك أنني عاشقٌ لملاقاةِ حُسْنِ جمالِك وشائقٌ لِتَلَفُّظِ ذِكْرِك الجميل.

٣٠١ - **إلهي**: نحن مهما نفعل فهو قليل، وأنت مهما تُعْطِ فهو كثيرٌ «يا من يعطي الكثير بالقليل».

٣٠٢ - **إلهي**: شكراً لك أنني ذو منصبٍ لا يزوال (أو عديم الزَّوال).

٣٠٣ - **إلهي**: أيحفظ كلب القطيع والحائط والصَّيد حرمة الأمانة والحَسَن الظَّلوم والجهول يَخُون في أمانتك؟!

٣٠٤ - **إلهي**: مالِكوا الكُتُب وقارئوا الكُتُب وعارفوا الكُتُب كثيرون، فطوبى لمن هو كتابٌ وموجِدٌ للكتاب.

٣٠٥ ـ **إلهي**: إذا كان قولنا: «الله الله» المجازي إلى هذا القدر ذا بركةٍ، فكيف سيكون إذا كان حقيقة؟!

٣٠٦ ـ **إلهي**: الويْلُ على الحَسَن إذا أصبح غير مبالٍ إلى درجةٍ (أو مرحلةٍ) حتى يَذْكُر القَسَم (أي يقسم) بذاتك الطّاهرة (والمنزَّهة) وأسمائك الجليلة ورسالتك الكريمة ورُسُلك العظماء ومُحِبِّيك (أو أصحابك) المَمْدُوحين.

٣٠٧ ـ **إلهي**: فَمُ الحَسَن مُعَطَّرٌ بعطر ذِكْرِك. حَيْفٌ أنْ يكتسب رائحة كريهة.

٣٠٨ ـ **إلهي**: وإنْ كان الشمسُ سلطانَ الكواكب والنَّيِّر الأعظم وشَمْسِيَّة عقدِ الفلك وكوكب القلب والتَّسْخير والذَّهب والملك والسِّراج الوهَّاج المُنير للعالم، ولكن «الحَسَن النَّجم» مع القمر حيث إنَّه سائر اللَّيل وشمع حَفْلِ ساكِني الخلوات (أي أهل الخلوة والعُزْلَة) ومصباح قِيَام اللَّيل (أي القائمين بالليل) حيث لا بد للعاشق المحروقِ مِن مصباحِ قليلِ الاشتعال (والإضاءة) حتى لا ينكشف سِرُّه ولا يصبح مفضوحَ كلِّ ديارٍ، (وذلك هو) القمر الذي هو كالسّالك اليَقظِ القلب في تَحَوُّلٍ وأطوار: أحياناً مثل وجهه الزَّعفراني هلالٌ، وأحياناً مثل السَّالك المجذوب بدرٌ منير، وأحياناً مثل مجذوب السَّالك في محاقٍ، أحياناً من الخجل يحترق وأحياناً مِن الشَّوق يَشْتَعِل (ويضيء).

٣٠٩ ـ **إلهي**: لم أَرَ أذنَى من الدُّنيا حيث هي على الدوام جليسة الغاغة الأداني.

٣١٠ ـ **إلهي**: العقلاء يَتَمَنَّوْنَ خطاب «ادخلي في عبادي» وهذا العديم العقل (أي الجاهل) يقول: «يَا لَيْتَ بَيْني وَبَيْنَهُمْ أَمَداً بعيداً» حيث (إنني) كفرتُ بالنِّعمة الإنسانيّة العظيم شأنها ومن وجوههم أنا خجلان.

٣١١ ـ **إلهي**: المتألِّمُ (أو المريض) إذا لم يتأوَّه فماذا يفعل؟ فَهَبْ (لي) علاجاً حتى أتأوَّه أكثر.

٣١٢ ـ **إلهي**: قد مَضَت مني ثلاث وأربعون سنة لا أدري أَعَمَّرْتُ ثلاثاً وأربعين آناً أم لا؟

٣١٣ ـ **إلهي**: مالي و(لَيت) وما الحاصل من «لَيت ولعلّ»؟

٣١٤ ـ **إلهي**: طريقك، بمقدار عَظَمتِك صَعْبٌ، وَعَجباً مِنْ أنَّ لهذه النَّملة العَرْجَاء أمل اللِّقاء.

٣١٥ ـ **إلهي**: مِنْ ذَنْب هذا وذاك أتَألَّم حيث (أنَّهم) أعرضوا عن مثلك.

٣١٦ ـ **إلهي**: أنا مَسْرورٌ مِنْ أَلَمي (ودائي) لأنَّ علاجه أنت.

٣١٧ ـ **إلهي**: ما لِلهَيْمان من الحور والغلمان.

٣١٨ ـ **إلهي**: شكراً لك أنَّني إلى الآن كنت قارِئاً والآن (أنا) متكلِّمٌ.

٣١٩ ـ **إلهي**: هذا العديم التَّمْييز مع أنَّه صرف عمراً في النَّحو والصَّرف لم يُمَيِّز حتي الآن بين المنادي والمنادي والمشتق والمشتق منه.

٣٢٠ ـ **إلهي**: أُدرِكُ الحرمانَ فشُكْراً لك أنني توصَّلْتُ إلى أَلَمي (ودائي) حيث الطبيب طالبٌ للمريض (أي يطلبُ المريضَ).

٣٢١ ـ **إلهي**: عُمراً دَعَوْتُ أهلَ مدينةٍ إليك بحيث إنني لو كنتُ قد عَمِلْتُ واحداً من مائة ألفٍ مِمّا كنتُ داعياً بها لَأَصْبَحْتُ أرفع (وأفضل) من الملك ولكن «يا من أظهر الجميل وسَتَر القبيح» مدينَةٌ (كاملة) لها حُسْنُ ظَنٍّ بالحَسن والحَسَن (له حُسْنُ ظنٍّ) بك، فلا تَفْضَحْهُ في القيامة واجعله بعيداً عن أعْيُنِ أولئك لأنه مُنْتَحٍ من وجوهِ جَميعهم.

٣٢٢ ـ **إلهي**: أنا متعجِّبٌ من هذا القطيع (تِلْو) القطيع من أَشْبَاه الناس. والقطيع (تِلْو) القطيع من أوادم الجسد حيث واحدٌ (منهم) لا يقول: مَنْ أنا؟!

٣٢٣ ـ **إلهي**: حَسَن زاده كيف يَدَّعي عدمَ المَعْصية وهو مولودُ آدم وَحَوّاء لا الملك، وكيف يكون يائساً من عَفوِك حيث يقول: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا**﴾ لا ﴿**بما أغْوَيتني**﴾.

٣٢٤ ـ **إلهي**: كلُّ ما كان من الأسرار أَخْبَرْتَه لرسولك وذلك الممدوح لم يُخْفِ عَلَيْنا، فأعنَّا.

٣٢٥ ـ **إلهي**: العابد دون المعبود والإمامُ أشرفُ من المأموم، (و) آدم مسجودُ الملائكةِ، (و) هُولاء عُبَّاد الشيطان أدنى من إبليس.

٣٢٦ ـ **إلهي**: قال رسولك: «شرّ العمى عمى القلب» وما أَحْسَن (أو أَجْمَل) ما قال حيث إن الأعمى الذي هو عادمُ عينِ الرَّأس محرومٌ من مشاهدة الخلق، والأعمى الذي هو عادم عينِ القلب (محرومٌ) من رُؤية الحق، وقد وَهَبْتَ الحسنَ عينَ رأسٍ بصيرة فهب له أيضاً عَيْنَ قلبٍ بصيرة حتى يصبح بصير الخلقِ بصير الحق.

٣٢٧ ـ **إلهي**: جَعَلْتَ اسمي حَسَناً حيث «الأسماء تنزّل من السَّماء»، (و) جعلتَ خَلْقي حسناً حيث **﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾**، فاجعل خُلُقي أيضاً حَسَناً حيث **﴿يبدّل الله سَيِّئاتهم حَسَنات﴾**.

٣٢٨ ـ **إلهي**: دَهْراً (أو زماناً) كنتُ أدعوك بِصَوْتٍ عالٍ، والآن أستغفر من ذلك حيث «إذْ نادى ربّه نداءاً خَفِيّاً».

٣٢٩ ـ **إلهي**: كنتُ مسرور القلب سنوات بقراءة الإشارات، والأسفار، والشِّفاء، وفصوص الحكم، والآن (أنا مسرورٌ) بتدريسها. فاجعل عاقبة الحَسَن حَسَناً.

٣٣٠ ـ **إلهي**: أيُّ عديم الحياء أكثر ممّن لا يراعي الأدب في حضور مولاه.

٣٣١ ـ **إلهي**: مالَت محاسن الحَسَن إلى البياض، فَنَوِّر وجه قلبه حيث إنّه يخاف من **﴿يوم تَبْيَضُّ وجوهٌ وَتَسْوَدُّ وجوه﴾**.

٣٣٢ ـ **إلهي**: أيُّ عَجَبٍ أكثر من هذا (وهو) أنْ يصبح الماء المهين قارئاً وكاتباً و(يصبح) سلالة الطِّين متكلِّماً وسامعاً.

٣٣٣ ـ **إلهي**: كان كلُّ نومي ويقظتي إلى الآن، قولَ «ربِّ ارجعون» و(كان) من جنابكم القبول، (من) بعد هذا بأي وَجْهٍ أقول: «ربِّ ارجعون» حيث أقول «إنّا إليه راجعون».

٣٣٤ ـ **إلهي**: خوفُ الحَسَن من نفسه أكثر من الشيطان حيث أن هذا العَدُوّ (أي الشيطان) غريبٌ، وذاك (أي النفس) جليسي.

٣٣٥ ـ **إلهي**: النِّعَم التي وَهَبْتَهَا للحسن لا يستطيع أنْ يُحْصيها إلى (يوم) القيامة، ولا يستطيع أن يقوم بعهدةِ شُكْرِ واحدةٍ منها.

٣٣٦ - **إلهي**: كلُّ ما أعطَيْتَ الحَسَن، كان جميعه من تَفَضُّل ذلك الوَلِيّ النِّعَم وإلاّ فهذا المُنْعَم ماذا فَعَل حتى يَسْتَحِقّ بموجبه ثواباً، (ولهذا) له مَرَّة أخرى نظرةُ توقُّع (ورجاء) بِتَفَضُّل ذلك الجناب حيث لا يعرفُ يداً أُخرى.

٣٣٧ - **إلهي**: شخصٌ كان يحفر بئراً وكان القضاء أنْ يصل إلى الكنز، والحَسَن كان يَضرِف (ضرب يضرب) فَتَوَصَّل إلى «كنتُ كنزاً...».

٣٣٨ - **إلهي**: قُلْتَ في شَأن أنبيائك **﴿وجعلنا لكلِّ نَبي عدوّاً شَياطين الجن والإنس﴾**، الحَسَنُ الكثير التَّوقُّع يريد أن لا يصبح هدف سهام شياطين العصر (أي عصره).

٣٣٩ - **إلهي**: إنْ كان الحَسَن الذي لم يَطْوِ مَنْزلاً ولم يَنَل بمقام مشمئزّاً إلى هذا الحدِّ من أشباه الناس فأولئك الذين ساروا منازلَ ووصلوا إلى مقامات إلى أي حَدٍّ مشمئزون من الحَسَن؟!

٣٤٠ - **إلهي**: مَنْ يعلِّمني هذه الكلمات. ومِنْ أين تنزل؟

٣٤١ - **إلهي**: الحَسَن لم يَقْضِ زماناً (أو عمراً) بل الزمان قد مضى عليه.

٣٤٢ - **إلهي**: شكراً لك أَنَّ جميع مَنْ مِن شرق العالم إلى غربه يَخْدِمُون الحسن.

٣٤٣ - **إلهي**: أنا متعجِّبٌ مِمَّن يقول: نَزَل بفلانٍ موتٌ فُجائيّ.

٣٤٤ - **إلهي**: حتى الآن بتعب مني (ومشقَّةٍ) كنتُ أطلُبُ من الخارج، والآنِ بِرَحْمَتِكَ أبحث من الدّاخل (والباطن).

٣٤٥ - **إلهي**: شكراً لك أنني في كسوةٍ يستحي منها أَهْلُ المعصية.

٣٤٦ - **إلهي**: هذا العبد خجلان من وجه نفسه (أو مِنْ وجهه) فكيف لا يكون خجلان من ربِّه؟!

٣٤٧ - **إلهي**: كيف أشكر هذه النِّعْمَة، حيث أَجَزْتَ (أو سَمَحْتَ) لي أَنْ أَذْكُر اسمَك الحَسَن على لِساني، وأنْ أَتَكَلَّمَ في حضرتِك (أو ساحتِك) معك، وأنْ أقرأ رسالتك، وإلا «فأين التُّراب وَرَبُّ الأرْباب».

٣٤٨ ـ **إلهي**: عندما أَسأَل عَنك العلماء يعطونني مفتاح الحيرة حيث: هو (أي أنت) في القلب، (لكن) القَلْب نفسه أين هو؟

٣٤٩ ـ **إلهي**: كيف يقوم الحَسَن بعُهْدةِ شكر جودك، حيث وَهَبْتَ له دار وجودك الغير متناهي.

٣٥٠ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ وَهَبْتَ لي عَيْنَيْنِ مُبْصِرَتَيْن حتى أُشاهِدُ انعكاس جمالك المزيِّن للقلب في مرائي ومجالي أسمائك الحُسْنى وصفاتك العُلْيا وأتَلَذَّذ منها لَذَّةً أنت تَعْلَمُها.

٣٥١ ـ **إلهي**: في إحدى الأيام الباكرة رَأيتُ عِدَّة أشخاصٍ مُجْتمعين على مَزْبَلة حيث كان أحدهم ينبش (أو يُفَتِّش) هذه المزبلة بقطعة حديديَّة، والآخر بقطعة خَشَبِيَّة بحرصٍ وَوَلَع عتيقٍ آخر، (الهي) كيف يقوم الحَسَن بعهدة شكرك حيث يَتَصَفَّحُ لَيْلاً ونهاراً كتابك، وكُتُب أوليائك وَيُنَبِّشُ قَلْبها ويتعطَّرُ من معانيها التي هي نسيم الجنّة أَنْفُ (أو مشام) روحِهِ، إلهي إنْ لم يَكُن أولئك الزَّبّالون بتلك المهنة (أو العمل) فالحسن الأنيق (أو النظيف) لا يستطيع أنْ يكون بهذه المهنة. فهب لهم مكافاة حَسَنة حيث لهم حقٌّ عَلَيَّ.

٣٥٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ صَيَّرت جميع الكواكب والأيام سَعْداً لِلْحَسَن.

٣٥٣ ـ **إلهي**: جَمْعٌ يخافون منك، وخَلْقٌ (يخافون) من الموت، والحَسن (يخاف) من نفسه.

٣٥٤ ـ **إلهي**: إرادةُ جواب السؤال وطلب حَلِّ المشكل من الكتب هو التَّعَيُّل (أو التِعَيُّش) على مائدة الآخرين فَيا غنيُّ ويا مُغْني ويا مَلِيُّ ويا معطي إلى متى أكون عيال هذا وذاك وأجلس عند مائدتهم.

٣٥٥ ـ **إلهي**: شخص له خُبزٌ وليس له أسنانٌ وآخر له روحٌ وليس له معشوقٌ. (الهي) شكراً لك أنّ الحسن له هذا وذاك أيضاً.

٣٥٦ ـ **إلهي**: الأيام الأخيرة لرجبِ ألفٍ وثلاثمائة وواحد وتسعين كانت لي كالنصف منه (أي من رجب) يومَ استفتاح، حيث افتتحنا (أو شرعنا) بتدريس الأسفار، فيا إلهي كيف أشكركَ حيث إنني كل يوم مشغولٌ

ومسرور القلب بوصف أسمائك الحسنى وصفاتك العُلْيا، وأطوار مَجاليك البهيجة.

٣٥٧ ـ **إلهي**: طوبى لمن هو مثل (بُرْج) عين الثور له عينٌ مبصرة ومثل قلب (برج) الأسد والعقرب له قلبٌ ناري ومضيءٌ ومثل الجوزاء قد شدَّ الوسط بشدةٍ (أي استعدَّ جيِّداً) في سبيلك.

٣٥٨ ـ **إلهي**: الحسن يغبط حال (برج) العقرب حيث العقرب أين والحسن أين؟ ذاك متَّجه نحو المشرق وهذا مغربي، ذاك له قلب مضيءٌ وهذا له (قلبٌ) ظلماني، ذاك المتوَّج الرأس أمامَ عينه ميزانُ العدالة وهذا العديم العدل (أي الظالم) قد طغى في الميزان، ذاك يقوم بسير السموات وهذا لم يَطْو الأرض، ذاك يَقِظٌ ليلاً ونهاراً وهذا في النوم (ليلاً ونهاراً)، ذاك في صراط مستقيم وهذا معوجُ السلوك منحرفٌ، ذاك المنتبه (أو اليقظ) له سلاح السهم والنبل واللَّسعة من الخلف من أجل دفع العدو وهذا الغافل العديم السلاح أسير في حبالة الشيطان وما أحسن ما قالوا أنْ: ـ«كونوا عقارب أسلحتها في أذنابها فإن الشيطان لن يراوغ الإنسان إلاّ من ورائه»، لا جرم (حينئذ) أنْ صار ذلك الحسن الحظ أسمى من السموات السبع وهذا السَّيِّىء الحظ ما زال جليسَ التراب.

٣٥٩ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني لم أربُ (أو لم أنْمُ) بالدَّلال والنعمة وإلا فمن أين كنت أصبح حَسَناً.

٣٦٠ ـ **إلهي**: إنْ كان الحسن يحصل على المال ولا يحصل على الحال (أي الحالات الروحية) فماذا كان سيفعل من الحسرة؟

٣٦١ ـ **إلهي**: كيف يكون، أنَّ حزنك (أو همّك) باعثٌ لسرور القلب وعبوديتك وَرَقة (أو تذكرة) الحُرِّيَّة؟

٣٦٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أن فتحت بوجهي بَصيصاً من عوالم الملكوت «رَبِّ زدني علماً، ربِّ زدني فيك تحيُّراً، رَبِّ أنعمت فزد».

٣٦٣ ـ **إلهي**: في هذه الليلة الاثنتين، العشرين من شهر رسول الله لألفِ وثلاثمائة وواحدِ وتسعين أَأَسْتَغْفِرُ من استغفاراتي وعباداتي جميعاً فيا توّاب ويا غفور ويا رحيم ويا من يحبُّ التوّابين اقبل تَوْبَتي.

٣٦٤ ـ **إلهي**: أنا لم أعرف نفسي حتى أعرفك.

٣٦٥ ـ **إلهي**: الحسن يغتبط من حال الحية حيث أنها عندما تصبح هَرِمَة (أي كبيرة في السن) تبقى أربعين يوماً جائعة وتتحمل مشقة الجوع، ثم تغور في الأرض ولَمّا تخرج تكون منزوعة الجلد وقد صارت شابةً حيث قال كلمتك وروحك الممسوح المسيح عليه السلام للحواريين: «كونوا كالحية»، (إلهي) الحية الهرمة (والعجوزة) تخرج من الجلد وتصبح شابة وشباب الحسن قد فات وبدت عليه آثار العجز وما زال مُبتَلاً بالحجب.

٣٦٦ ـ **إلهي**: حتى الآن كنت أقول أنك «خلقتَ العالم لنا» والآن فَهِمْتُ أنك أنت أيضاً لنا.

٣٦٧ ـ **إلهي**: إنْ كان إدراك مفاهيم الأسماء إلى هذا الحدِّ لذيذاً فإدراك حقائقها كيف سيكون؟!

٣٦٨ ـ **إلهي**: إن كان الحسن إلى هذا الحدِّ حسناً فخالق الحسن كيف يكون **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**.

٣٦٩ ـ **إلهي**: إنْ أراد الحسن منك غيرك فما الفرق بينه وبين عابد الصنم (أي الوَثَنِيّ)؟!

٣٧٠ ـ **إلهي**: من قَوْل (أو تَلَفُّظ) النفي والإثبات أخجل حيث إنني إثباتي. (و) «لا إله إلا الله» يقولها الآخرون والحسن (يقول) «الله».

٣٧١ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ ألَمْتَ قلبي العديم الألم.

٣٧٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ أوَّلْتَ أوَّلي بآخري وبدّلت آخري بأولي.

٣٧٣ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني منذ أنْ عرفت ذاتي كنتُ تَعِبَ البَدَن ومنكسر القلب.

٣٧٤ ـ **إلهي**: حتى الآن كنت أقول: مَن أغنى مني حيث أنت مُغْنِيني (أو غَنِيِّي) أعتذر من ذلك القول حيث الآن ١٣ من شهر رمضان لـ١٣٩١ أقول: من أغنى مني حيث أنت غناي (أي رأس مالي).

٣٧٥ ـ **إلهي**: من أغنى مني حيث أنت غناي (أي رأس مالي).

٣٧٦ - **إلهي**: إلى الآن نحن لم نفهم كلام هذا العالم (أي الدنيا) حتى نتوقَّع (فهم كلام) ذلك العالم (أي الآخرة).

٣٧٧ - **إلهي**: يا لَأفكارٍ كنتُ أُفكِّر بها وكنتُ أذهب وراء هذا وذاك وأطرق هذا الباب وذاك، ولم أكن أتوفَّق وكنتُ أقول إلهي إلهي لماذا لم أتوفَّق، فيا إلهي شكراً لك أنك لم تُجِبْني، وكم صار حَسَناً أنْ لم يحصل، وإلا فلم أكُن أصبح الحسن، (إلهي) أنا مستسلم لك. فالحكمُ ما تقول واللُّطفُ ما تدبِّر (أو تقدِّر).

٣٧٨ - **إلهي**: جَهْلاً (أو بدون علم) كنت أطلب منك الاستقرار، والآن عالماً (أو بعلم) أطلب منك عدم الاستقرار حيث أنني مَظْهَر «يا من كل يوم هو في شأن».

٣٧٩ - **إلهي**: طوبى لذاك المُنَعَّم (أو المُنْعَم) الذي هو مَظْهر «هو يُطْعِم ولا يُطعَم».

٣٨٠ - **إلهي**: عندما يقول محمد بن عبدالله الإنسان الكامل وصاحب المقام المحمود وخاتم الأنبياء: -«ما عرفتك حقَّ معرفتك وما عبدتُك حقَّ عبادتك» فالحسن بن عبدالله الإنسان الظاهري (أو بالظاهر) الجاهل يجب أنْ يقول: -«ما عبدتك وما عرفتك».

٣٨١ - **إلهي**: المتمكِّنون (أو الأغنياء) مفتخرون بعتق العبيد فاجعل هذا المُعْدَم (أي الفقير) مرفوع الرَّأس بتعبيد الأحرار.

٢٨٣ - **إلهي**: بالخفاء وبالتَّلَصُّص أبكي حتى لا يتوصَّل غير المحارم إلى حَرَم بيت سِرِّي، وبالعَلَن (أو علناً) لي ابتسام حتى لا يحسبني غير العقلاء مجنوناً.

٣٨٣ - **إلهي**: حتى الآن كنتُ أقول ما مضى قد مضى والآن أرى أن ما مضى مني لم يَمْضِ بل جميعه مجموع فيَّ، فآهٍ آه من يوم الجَمْع.

٣٨٤ - **إلهي**: أثناء التَّفَكُّر في فهم الحروف المقطعة لكتابك وَصَلْتُ إلى هنا: أنَّ جميع كلماتك حروفٌ مقطعة فطوبى لمن هو أهل القرآن.

٣٨٥ ـ **إلهي**: هذا العصر طوفاني أكثر من طوفان نوح والقرآن سفينة النجاة فطوبى لحالِ أصحاب السفينة.

٣٨٦ ـ **إلهي**: أحياناً أنا في أنواع مخلوقاتك المختلفة حيرانٌ (أو مبهوت) وأحياناً في أفرادها الملوّنة، وأكثر من الجميع في أطوار نفسي المتنوعة «ربّ زِدْني فيك تحيُّراً».

٣٨٧ ـ **إلهي**: سوءاً بحالي إن كان موتي بحتف الأنف فقط، فيا حَيُّ ويا مُحْيي مَنْ يوهب الحياة سواك؟

٣٨٨ ـ **إلهي**: إلى الآن كنتُ رافعاً رأسي بالأمل (والرجاء) وكنت أقول إلهي إلهي، والآن بالخجل (والحياء) مُطَأطِئٌ رأسي حيث لماذا كنت أقول: كيف ولماذا؟

٣٨٩ ـ **إلهي**: من أشرف مني حيث إنني جليسك.

٣٩٠ ـ **إلهي**: طوبى لمن صارت لذّاته الجسمانية عقلانية.

٣٩١ ـ **إلهي**: أنا خجلانُ منك لأنني لم أقم بالعبودية، وخجلانُ من نفسي لأنني لم أَعِش، وخجلانُ من الناس حيث ماذا كان أثري الوجودي لهم؟

٣٩٢ ـ **إلهي**: قال قائل: «كل من في الوجود يطلب صيداً إنّما الاختلاف في الشبكات» (و) أنت شاهد بنفسك أنَّ أسوأ الشبكات شبكة صَيْدي فَمِن شَرِّها ألجأ إليك حيث لا مَلْجَأ سواك.

٣٩٣ ـ **إلهي**: وَفِّقني لِأَن أقول مَرَّةً واحدة «أستغفر الله وأتوب إليه» حيث ما زلْتُ أخجل من قول (أو تَلَفُّظ) ذلك.

٣٩٤ ـ **إلهي**: حتى الآن كنت أتصوَّر نفسي على المنبر متكلّماً (أو واعظاً) والحضّار مستمعين ولكن الآن أرى أنَّ المتكلم هو أنت وأنا والمستمعون معاً مستمعون.

٣٩٥ ـ **إلهي**: الملكِ فرحٌ بالخيال والحسن بالعقل.

٣٩٦ ـ **إلهي**: حتى الآن كنت أقول: ﴿**لا تأخذه سنةٌ ولا نوم**﴾ والآن أرى أنّ مظهَرك أيضاً ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾.

٣٩٧ ـ **إلهي**: الحسنُ فتح العينَ حيناً (كان) هو مكبّل اليدين والقدمين.

٣٩٨ ـ **إلهي**: شكراً لك على أنَّ أصدقائي عقلاء وأعدائي حَمْقى.

٣٩٩ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ وهبت للحسن الولد من الأنثى والذكر وأخبرته عن كلٍ واحد (منهما) أشياءَ.

٤٠٠ ـ **إلهي**: إلى الآن كنتُ أرى معرفةَ النفس مرقاةً لمعرفتك فشكراً لك أنْ أسْقَطْتَ المرقاة وعَرّفتني بِسِرِّ إشارة النبي والوَصِيِّ «من عرف نفسه فقد عرف ربه، أعلمكم بنفسه أعلمكم بربِّه».

٤٠١ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث (إنني) إلى أيّة جهةٍ أتَّجه تتجلَّى لي كريمة **﴿فأينما تولوا فثمَّ وجه الله﴾**.

٤٠٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ صارت دنياي آخرتي.

٤٠٣ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ أخرجتني من ظرف اللَّغو الزماني وجعلتني مستقرّاً في ظرفٍ فوقه.

٤٠٤ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الذين هم دائماً مُحْرِمُون حيث إنَّهم مَحارِمُك (أي حافظو سرِّك).

٤٠٥ ـ **إلهي**: استَيْقَظْتُ حيناً كان هو وقت النوم.

٤٠٦ ـ **إلهي**: «الحمد لله» حيث ماذا أقول وماذا أفعل في هذه الحالة أفضل من هذا؟

٤٠٧ ـ **إلهي**: ماذا أفعل؟ حيث (إنني) إلى الآن كُنْتُ أبحث عنك من الخارج وكنتَ داخلياً والآن أبحث عنك من الداخل و(قد) صرتَ خارجياً.

٤٠٨ ـ **إلهي**: مَنْ أعظم مِن الإنسان سواك ومَن أصغر مني في حضرتك؟

٤٠٩ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث أنا في حرفتي كالقصّار والمولِّدة.

٤١٠ ـ **إلهي**: صار سطح أرضك مَحَلّ الحيوانات (أي دكّة السباع) فهب للحسن أنساً بسمائك (الذي هو) محلّ الأناسيّ.

٤١١ ـ **إلهي**: أيُّ وادٍ هذا؟ حيث بمجرّد ما أن أريد أن أقترب رأس شعرة أبتعد فراسخ.

٤١٢ ـ **إلهي**: احفظ خاطرنا من خطور الخطيئة.

٤١٣ ـ **إلهي**: بحقِّ أولئك الذين هم غائبون عن أعين الناس أَمِت هذا الغائب في الحضور.

٤١٤ ـ **إلهي**: أنا مسرور القلب أنني غُصْنٌ من شجرة طوبى.

٤١٥ ـ **إلهي**: هب لي الساعد العلوي كي أحطِّم صنم النفس مثل إبراهيم وصيِّر نفثي نَفَساً رحمانياً كي أنفخ مثل عيسى.

٤١٦ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الذين في فَلَوات عشقك هائمون وأصبحوا خارجين من أنفسهم وقائمين بك.

٤١٧ ـ **إلهي**: أيَفْدي هؤلاء المتسوِّلون النَّفسَ لأجل الجماد، ولا يفدي الحسن نفسه لأجل الحياة؟!

٤١٨ ـ **إلهي**: الجميع يقومون بالعبادة في شهر الله والحسن (يقوم) بتجارة كلها خسارة.

٤١٩ ـ **إلهي**: للحسن الذي وجد بصيصاً بقدر سَمِّ الخياط طريقاً إلى الحسن المطلق كل هذه اللَّذة والابتهاج فأولئك الذين فُتح لهم ألف باب ومن كلّ بابٍ ألف باب آخر كيف سيكونون وأنت بنفسك كيف تكون؟!

٤٢٠ ـ **إلهي**: (عندما) تكون خالق يوسف أيكون الحسن أقل من زُلَيْخا؟! (وعندما) تكون خالق لَيْلى ألا يكون الحسن مجنونك؟!

٤٢١ ـ **إلهي**: كيف أؤدّي شكر هذه الموهبة حيث إذا احتَلَّ الكُفْرُ الشرق والغرب فإنه لا يورد رأس شعرة خللاً في قصْرِ إيماني الربوبيّ.

٤٢٢ ـ **إلهي**: حتى الآن جَهْلاً كنتُ أخاف منك والآن عالماً (أو علماً) أخاف من نفسي.

٤٢٣ ـ **إلهي**: (عندما يكون) للحسن هذا القدر من الابتهاج واللّذّة من فهم الكتب التَّدْوينية فكيف يكون أولئك الّذين يقرأون الكتب التكوينية ويعلمون ألسنتها و(هم) مُبَيِّنون لحقائق الأسماء؟ وكيف يكون من هو معك في (حالة) الخطاب والاستماع (أي يخاطبك ويستمع إليك)؟

٤٢٤ ـ **إلهي**: (عندما) نسكر نحن من فاضل ما ذاق الآخرون بشدة فكيف كان حال الذّائقون.

٤٢٥ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني اكتسبت اللّون من الأساتيذ العديمي اللّون.

٤٢٦ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الذين أَسَرّوا القلب معك فقط.

٤٢٧ ـ **إلهي**: تَلَطَّفْتَ أنْ عَرَّفتَ هذا الأقل بالكتب، فَزِد لُطفك وعرِّفهُ بأصحاب الكتب.

٤٢٨ ـ **إلهي**: زد درجات أبي وأمي حيث لو لم يكونا أحْسَنينَ لم أصِر أنا حسناً.

٤٢٩ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني أوْشِك أتَذَوّق طعم الشيخوخة شيئاً فشيئاً.

٤٣٠ ـ **إلهي**: أحياناً كنت أقول: ﴿**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾، وأحياناً ﴿**أعوذ بك من همزات الشياطين**﴾، وأحياناً ﴿**أعوذ بك من شر الوسواس**﴾ فمن هذه الليلة التي هي ليلة السبت الرابعة من صفر لألفٍ وثلاثمائة وثلاث وتسعين «من الهجرة» أطلب الإجازة كي أقول: «ربِّ أعوذ بك منّي».

٤٣١ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني أتألّم من البُلْهِ.

٤٣٢ ـ **إلهي**: إن كان الحسن جهنّمياً فاجعل رفيقه جهنّمياً عاقلاً.

٤٣٣ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني ليلاً ونهاراً أهب للطيور جناحاً وريشاً.

٤٣٤ ـ **إلهي**: أيكون الحسن أقل من حرف التاء (أي تاء القسم) حيث فعلها (أي فعل تاء القسم) مثل ذاتها خاصٌ باسمك الشريف، (إلهي) أتكون تاء القسم خاصّةً بك ولا يكون الحسن كذلك؟!.

٤٣٥ ـ **إلهي**: أنا متعجِّب من أولئك الذين يقولون: «كيف ولماذا، ويا ليت يا ليت».

٤٣٦ ـ **إلهي**: هذا وذاك (أي هؤلاء) يقولون قيمة قرصٍ واحدٍ من الخبز خمس قرانات، والحسن العديم القيمة يقول: لا يمكنْ أنْ يُجعل له قيمة أبداً، فشكراً لك بإزاء كل لُقْمةٍ وجُرعة من الأزل إلى الأبد.

٤٣٧ ـ **إلهي**: الموج ينشأ من البحر ويختلط معه ويهرب فيه ولا مفرَّ له منه ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾.

٤٣٨ ـ **إلهي**: شكراً لك أنه ليس لي بصرٌ يرى العالم ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾.

٤٣٩ ـ **إلهي**: هذه الكلمة الغير التَّامَّة مسرورة حيث إنّ لها ثلاثة حروف من الحروف المقطَّعة لفرقانك (أي يحتوي اسمه على ثلاث حروف من الحروف المقطعة)، فكلماتك التَّامَّة اللاّتي لهنَّ جميع (الحروف) المقطَّعة لقرآنك، حقيقةً كيف تكون؟!

٤٤٠ ـ **إلهي**: شكراً لك أَنْ وَهَبْتَ للحسن نَفْخَة ونَفْثَة من النَّفَس (أو النفث) العيسوي حيث يُحي الموتى.

٤٤١ ـ **إلهي**: بحقيقتك استبدل مجازنا بالحقيقة.

٤٤٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ ليس لي زادٌ غيرَ التوكُّل.

٤٤٣ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني فَهِمْتُ أنني لم أفهم، وَوَصَلْتُ (إلى) أنني ما وصلتُ.

٤٤٤ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني أعيش في ظلِّ الإنسانِ الكامل.

٤٤٥ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث لم يدركني الموت الاخترامي.

٤٤٦ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني أصبحت في كل مكان وأنا في مكان.

٤٤٧ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث إنني غُصْنٌ من شجرة طوبى.

٤٤٨ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث إنني حول حامِلِي العرش.

٤٤٩ ـ **إلهي**: بنعمة الحضور احفظ قلبي من خُطُور الذنوب.

٤٥٠ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني في هذه اللَّيلة المباركة وصلت إلى ليلة القدر (١١ ع١(١٣٩٤هـ.ق).

٤٥١ ـ **إلهي**: شكراً لك أن صَيَّرْت المجاز قنطرة الحقيقة حتى وَصَلْتُ من ليلة القدر الزَّمانيّة الأَرْضِيَّة إلى ليلة القدر السَّماويَّة.

٤٥٢ ـ **إلهي**: بحرمة مناجاة أهل مناجاتك هَبْ لهذا الغيرِ الصّالحِ حُرقةً ولهيباً.

٤٥٣ ـ **إلهي**: هَبْ للحسن توفيقَ قيامِ اللَّيلِ وذَرْفِ الدَّمْع.

٤٥٤ ـ **إلهي**: اليومُ مَن أبْصَرُ مِني حيث أراك، وَمَنْ أسْمَع منِّي حيث أسمع كلامك وَمَن أنطقُ مني حيث أتكلَّم عنك ومن أغنى مني حيث أنت رأس مالي.

٤٥٥ ـ **إلهي**: احْفَظ عبدَك هذا من نِيّة الذَّنْبِ.

٤٥٦ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ نَوَّرْتَ قلبي بشروق جمالك وبالسَّيْر في نور كمالك.

٤٥٧ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ في هذه الليلة الأربعاء العشرين من جمادي الأولى من ألف وثلاثمائة وأربعة وتسعين فَتَحْتَ على وجهي باباً من العلم.

٤٥٨ ـ **إلهي**: شكراً لك أنني لم أُدْخِل (أو أحبس) حيواناً في القفص، فَأعِني حتى أُحَرِّرَ المحبوسين في الأقفاص.

٤٥٩ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ أعْطَيْتَ للحسن فهم الكثير من الأشياء وأَغْلَقْتَ فمه.

٤٦٠ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث بالأمس كنت أطلب الدَّليل على إثبات الخالق واليوم أريد الدَّليل على إثبات الخلق «كيف يُسْتَدَلُّ عليك بما هو في وجوده مُفْتَقِرٌ إليك».

٤٦١ ـ **إلهي**: اجعل ظاهري كباطن المخلصين وباطني كظاهر المُرَائين.

٤٦٢ ـ **إلهي**: أنا متعَجِّبٌ مِنْ أَنَّني مع الجهل حزينٌ (وكئيب) ومع العلم أكثر حُزْناً (وكَآبةً).

٤٦٣ ـ **إلهي**: شكراً لك حيث إن أَدَع من رأسي (أي أخفي وأترك) مِمَّا هو في رأسي فأنا عزيز وإن لا أدع فأنا فوق المشنقة.

٤٦٤ ـ **إلهي**: أنا في الطريق ومُصاحِبٌ للألم والآه، فَهَبْ لي آهَ وَهَبْ لي طريقاً.

٤٦٥ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ كان الحسن حتى الآن شاكراً وحامِداً والآن صار شُكْراً وحَمْداً.

٤٦٦ ـ **إلهي**: بقدرِ مَعْرِفَتي أَعْبُدُك، حيث بِوِفْقِ اقتضاء العينِ الثابتة لم تكن الأرض المالحة مثل النَّابتة.

٤٦٧ ـ **إلهي**: أين الإنسان الأَعْمى باللّيل (أي أعشى اللّيل) من العبد الشكور (أي أين هذا مِن ذاك)؟ حيث إنّ أعمى اللّيل لا يكون شكوراً.

٤٦٨ ـ **إلهي**: حسن زاده هو ابن آدم فكيف يدَّعي عدمَ الذَّنب؟!

٤٦٩ ـ **إلهي**: إن لم يوجد مُذنبٌ فَمَنْ الغَفّار وإن لم يوجد قبيحٌ فَمَنْ السَّتّار؟!

٤٧٠ ـ **إلهي**: الجميع يقومون بفعلك وحَسَنُك أيضاً ليس بعاطلٍ.

٤٧١ ـ **إلهي**: أيكون للدِّيك صِياحٌ في اللَّيل والحسن يكون ساكتاً؟!

٤٧٢ ـ **إلهي**: إنْ كانت ألفاظي غير مؤدِّية فهي كقِصَّة النَّحّات (أي نَحّات الحجر) والراعي مع موسى.

٤٧٣ ـ **إلهي**: بعد إذْنك جَعلْتُ اسمَ العالم «المعمور بالعشق».

٤٧٤ ـ **إلهي**: إذا كان الحسن مِنْ سماع نداءٍ واحدٍ (مِنْ) «التوحيد أنْ تَنْسى غير الله» له هذا القَدْر مِنَ الابتهاج، فابتهاج الخاتم المُتَلَقي للقرآن إلى أي حدٍّ (سيكون) ونفس ابتهاجك (أنت) كيف يكون؟! إلهي بابتهاجك وابتهاج خاتمك، زِد ابتهاج الحسن والنُّفوس الأخرى الوالهة لك وأكِّد في حقِّهم وَعْدَك الحق: ﴿**ولدينا مزيد**﴾.

٤٧٥ ـ **إلهي**: أَعْلَمُ أنَّك تعلم، أمّا كيف تعلم فأنت تعلم ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللَّطيف الخبير**﴾.

٤٧٦ ـ **إلهي**: إنْ أَقُلْ أنني كلب ساحتك، فمن وجه كلب أصحاب الكهف أخجل (أو أنا خجلانُ).

٤٧٧ ـ **إلهي**: (أيكون) مسّ كلب أصحاب الكهف بدون طهارةٍ غير جائز ولا يكون للحسن طهارة؟!

٤٧٨ ـ **إلهي**: سَمِعْتُ أنك قُلْت: «ماذا أفعل مع قبضة من تراب إلاّ أنْ أغفر».

٤٧٩ ـ **إلهي**: شكراً لك، حيث إنْ كان الحِسان السَّماويُّون (أي النجوم والكواكب) عالمين بالحسن، فَسُهَيْلٌ سيقول أهلاً وسَهْلاً وكفّ الخضيب سيضرب كفّاً على كفّ (أي سيُصَفِّق) وزُهَرَة (ستضرب) صَنْجاً بصنج.

٤٨٠ ـ **إلهي**: رَقٍّ صعودي البرزخي بحسب الاعتلاء العَقْلانيّ.

٤٨١ ـ **إلهي**: بوحْدَتك هَبْ لي خَلْوَةً وبكثرتك هب لي وحْدَةً.

٤٨٢ ـ **إلهي**: أنا إنْ لم أكن عبداً، فإنَّك أنت مولاي.

٤٨٣ ـ **إلهي**: يا أحكم الحاكمين ويا مُيَسِّر كلّ عسير! حُكْمُ **﴿كُلٌّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له﴾** المُحْكَم حاكِمٌ على الحسن، فَحُكْمُ كلِّ ما تقوله لُطْفٌ مَحْض.

٤٨٤ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الذين ليس لهم غمَّ الماعِزِ ولا غم الجَدْي (أي لا غمَّ لهم أصلاً).

٤٨٥ ـ **إلهي**: مِنْ سِرِّك المطبوع (أي مطبوع القلب) خَيَّطْتُ فمي ومِنْ شَرِّي الناري احْتَرَقْتُ.

٤٨٦ ـ **إلهي**: مِمّا سَمِعْتُ من كلامك أنا في صَخْبٍ (وهَيَجان)، ومِمّا شَرِبْتُ مِنْ كأسِكَ أنا في غليان، ومع كلِّ غَلَياني وصَخْبي هذا أنا ساكتٌ (وصامت) برجاء أنْ أسْمَعَ وأشْرَبَ آناً فآناً.

٤٨٧ ـ **إلهي**: يكفي الحسن هذا الفَخْر (مِن) أنَّ له المقام الواقعي الأبدي للحلقة بالأذن (أي العبوديّة) مِن سُلْطانٍ حقيقيٍّ سرمدي مثلك.

٤٨٨ ـ **إلهي**: قَلْبٌ مُسْتَأنِسٌ مع الآه والأنين، وَقَلْبٌ مثل التَّنور نارِي، وقَلْبٌ مثل فُرْن الحدّادين، وقَلْبٌ مثلُ قِمّةِ البركان، فالوَيل للحسن إنْ كان قَلْبُه فاتراً وبارداً كالثّلْجِ وأسيراً (أو مقيّداً) بالمَبْرَز والمطبخ.

٤٨٩ ـ **إلهي**: أنا في السَّجدة (أو السجود) على شاكلة «هو»، فاجعل هذا المصدوق مصداقاً لِـ«كلٌّ يعمل على شاكلته».

٤٩٠ ـ **إلهي**: تَعلَّمتُ من بعض الأنبياء أشياء: فَمِنْ حضرة نوح نجيّ الله **﴿ففروا إلى الله﴾**، ومِنْ حضرة يعقوب إسرائيل الله **﴿إنّما أشكو بَثّي وحُزني إلى الله﴾**.

٤٩١ ـ **إلهي**: الحَسَنُ أنت والحَسَنُ مَظْهر الحسن.

٤٩٢ ـ **إلهي**: إنْ كانت الجنّة حلوةً (ولذيذةً) فخالق الجنّة أحْلى.

٤٩٣ ـ **إلهي**: ارزُقْني حقيقة حديث رُؤياي البرزخيّ (أو حقيقة الحديث البرزخيّ لرؤياي) حيث قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسَلَّم: «مَعْرِفَةُ الحكمة متن المعارف».

٤٩٤ ـ **إلهي**: أحياناً تُظْهِر و(أحياناً) تخطف، فكم إظهارك مطبوعٌ (أي مطبوع القلب) وكم خطفك (أو أخذك) حلوٌ (ولذيذٌ).

٤٩٥ ـ **إلهي**: مَنْ له أَلَمٌ له آهٌ وأنين، وأحلى (من ذلك) أنّ سفيرك الصادق قال: ـ«إنَّ آهَ اسمٌ مِن أسماء الله تعالى فإذا قال المريضُ آهَ فقد استغاث بالله»، (إلهي) الحسنُ من مِلَّةِ إبراهيم الأوّاه. آه آه.

٤٩٦ ـ **إلهي**: سفيرك الكبير قال: «المؤمن مرآة المؤمن»، فإن كنتُ أنا مؤمناً فأنت أيضاً مؤمنٌ، وآخر (سورة) الحشر شاهد: **﴿هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدُّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾**.

٤٩٧ ـ **إلهي**: أنا مِنَ المتسوِّلين السِّماج تَعَلَّمْتُ درسَ التَّسَوُّلِ.

٤٩٨ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ أَعْطَيْتَ لِحسنِك سِمَةَ نونِ الوقايةِ حيث كلٌّ من خالق الحَسَن والحَسَن وقاية للآخر، «سبحانك اللّهم».

٤٩٩ ـ **إلهي**: قال نائِبُكَ (أو خليفتك): «القلب حَرَم الله»، فاحفظ حرمك.

٥٠٠ ـ **إلهي**: «لك الحمد» أنْ جَعَلْتَ الحسن عارفاً بالحسان السماويين (أي بالنجوم والكواكب) وجعلت أطلس نفسه العديم النقش قبةً زرقاء (أي السماء).

٥٠١ ـ **إلهي**: إذا عَلِمَ النّاس لَذَّةَ العلم فَمِنْ أينَ سيكون لأَهْلِ العِلْمِ فراغ البالِ ووقت الفراغ.

٥٠٢ ـ **إلهي**: كُلُّ مَنْ علَّم الحسن حَرْفاً كُنْ راضياً عنه واجعله راضياً عنه (أي عن الحسن).

٥٠٣ ـ **إلهي**: يا قابض ويا باسط! جَزْرُ البَحْرِ له مدٌّ في الأَثَرِ (أي يتلوه مدٌ) ومُحاق القمر له بَدْرٌ (في الأثر) وإدبار الفلك والعقل لهما إقبال، وقوس النُّزول له صعود؛ وقلبُ الحسن في قبضٍ (أي مقبوض) و(هو) يأمَلُ البَسْطَ.

٥٠٤ ـ **إلهي**: لَسْتُ شاكِياً مِنَ القَبْضِ حيث في مُصْحَفك العزيز جَعَلْتَ القَبْضَ مقدَّماً على البَسْطِ وقُلْت: ﴿**والله يقبض ويبسط وإليه تُرْجعون**﴾، ونُوّابك قالوا في المناجاة تأسِّياً بكلامك: ـ«يا قابض ويا باسط».

٥٠٥ ـ **إلهي**: الحسن في القبض صابرٌ حيث القبض والقضاء والجمع والقرآن مع بعضٍ (أي جميعاً معاً) والبسط والقَدَر والفصل والفرقان مع بعضٍ (أي معاً)، فإذا لم يكن يوم الجمع فما هو يوم الفصل؟ وإذا لم يكن القضاء فما هو القدر؟ وإذا لم يكن القرآن فما هو الفرقان؟، وإذا لم يكن القبض فما هو البسط؟.

٥٠٦ ـ **إلهي**: لو يوجد بابٌ غير هذا الباب فدُلَّنا (عليه).

٥٠٧ ـ **إلهي**: أولئك الذين حَصَلوا (أو اكتسبوا) متأخِّراً أكثر، صاروا أكثر نُضْجاً وأكثر قوَّة، (إلهي) الحسنُ غيرُ ناضجٍ واللُّطف ما تتفضَّلُه أنت.

٥٠٨ ـ **إلهي**: اجعل عيني مثل علمه خالياً من العَيْبِ والشَّين.

٥٠٩ ـ **إلهي**: أنت ما لم تَقُل لَبَّيْك فكيف (أو متى) أنا أقول إلهي؟!

٥١٠ ـ **إلهي**: المَعْنى مُؤَدٍ، (هو موجود) وراء هذه الألفاظ الغير السائغة (أو الغير اللائقة)، فلا تؤاخِذْنا بألفاظنا الغير السّائغة.

٥١١ ـ **إلهي**: مَن يخف مِنَ الموت فهو يخاف (أو خائفٌ) من نفسه.

٥١٢ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ أصبح شَخْصٌ أرضِيٌّ سماوياً.

٥١٣ ـ **إلهي**: كثيرنا قليلٌ وقليلُك كثيرٌ، وقُلْتَ: ـ وإنْ كان كثيرُك قليلاً، (ولكن) بقليلك يعطونك كثيراً.

٥١٤ ـ **إلهي**: تعطي للعارف مَقامَ «كُنْ» بمفتاح بسم الله، حيث مَهْما أَرَدْتَ أنْ تفعل فافعل، حيث ذاك (أي العارف) له المفتاح وهذا (له) صاحب المفتاح.

٥١٥ ـ **إلهي**: جميع ألفاظ اليونانيّين في جهة واسم العالم بلفظ «قوسموس» (أي الزينة) في جهة (أخرى).

٥١٦ ـ **إلهي**: تخاطب إبليس الرجيم بلا واسطة، والإنسان الكامل من وراء حجاب؟! حيث لا ذاك آية القرب ولا هذا آية البُعْد.

٥١٧ ـ **إلهي**: شكراً لك أنْ عَصَمْتَني من الأفكار القاطعة للطريق.
٥١٨ ـ **إلهي**: القلبُ أي نوعٍ من البضاعة حيث تَشْتَري منكسره وقلتَ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم».
٥١٩ ـ **إلهي**: إنْ تَكْسِر قلبي مرَّةً واحدة، فكم سَأفَرْقِع الأصابع (أي فرقعة الأصابع حين الرقص).
٥٢٠ ـ **إلهي**: مَنْ يَكُنْ وراء دَرْكِ المقام يَكُنْ غافلاً مِنْ أَنَّ المقامَ في تَرْكِ المقام، (إلهي) فاجعل الحسن مقيماً ومستقيماً في مقامه.
٥٢١ ـ **إلهي**: مع ستّارِيّتك وغُفرانك، طَلَبُ الجزاء (أي العقوبة) كُفْران.
٥٢٢ ـ **إلهي**: الجليس يكتسب لوناً من الجليس فطوبى لمن يكون جليساً معك **﴿صبغة الله ومَنْ أحسن من الله صبغة﴾**.
٥٢٣ ـ **إلهي**: مِنْ جَهَنَّمِ البُعدِ والحِرمانِ من دَرْكِ الحقائق حَرِّرْني (أو أطلق سراحي).
٥٢٤ ـ **إلهي**: اجعل لَذَّةَ تَرْكِ اللَّذَّةِ في فمي أَلَذَّ (أي أكثر لَذَّة).
٥٢٥ ـ **إلهي**: حَسَنُك طفلٌ لا يفهم اللسان مُتَعَلِّلٌ (أي يوجِد الأعذار) ومع أَلْفِ «لَنْ تراني» يقول: «أرني».
٥٢٦ ـ **إلهي**: كيف أقوم بعهدة شكرك حيث يوماً مع كتاب «الفأرة والقِطَّة لعبيد زاكان» كنتُ فرحان واليومَ بتلاوة آياتِ قرآنِ الرَّحمنِ.
٥٢٧ ـ **إلهي**: بَدِّل مجازَنا بالحقيقة.
٥٢٨ ـ **إلهي**: أيكون دُوار الشمس والحرباء عاشقي الشمس ولا يكون الحسن عاشقَ خالق الشمس.
٥٢٩ ـ **إلهي**: أنت عديمُ الحاجةِ (أي غنيٌّ) عديمُ الشريكِ وتَهَب بالمجّان، والحسنُ درويشك المتسوِّل، فاجعل عطاءَك مع دراويشك أكثر.
٥٣٠ ـ **إلهي**: مع كلِّ حلاوة لساني وحلاوة فعلي لا أدري ما هو شُغلي.
٥٣١ ـ **إلهي**: حَسِبْنا (أو تصوَّرنا) الاصطلاحات المتراكمة عِلْماً، يا نور السَّموات والأرض اجعل قلوبنا مَحَلّ مَشِيَّةِ: «العلم نور يقذفه الله في قلب مَن يشاء».

٥٣٢ - **إلهي**: أنا مَملوءٌ (أو مُتْخَمٌ) بالعبارات الاصطلاحِيَّة حيث أَصْبَحْنَ حجاب المعرفة الشهوديَّة، فطوبى لأولئك الذين أصبحوا حامِلي عطاياك بقلبٍ عديمِ اللَّون.

٥٣٣ - **إلهي**: فَهِمْتُ هذا القَدْر (فقط) أن الله هو القائم بالإلهية.

٥٣٤ - **إلهي**: بَلَغَ الرُّوحُ إلى الشَّفة حتى بَلَغَ الكأس إلى الشَّفة.

٥٣٥ - **إلهي**: الوَيْلُ لِلحَسَن إنْ لم يَخَف مِنْكَ و(أصبحوا) يخافون منه.

٥٣٦ - **إلهي**: احفَظ الحسن في أولادِهِ وأحفادِهِ وأسباطِهِ وذَرارِيه.

٥٣٧ - **إلهي**: مَنْ هو واصِلٌ (أي ذلك الذي قد وَصَل) ساكِتٌ والحسن الذي لم يصل في غليانٍ وصَخْبٍ.

٥٣٨ - **إلهي**: ذلك الذي ليس في حجاب هو أنت فقط.

٥٣٩ - **إلهي**: شكراً لك أنْ عرَّفتَ الحسن فهم كتابك.

٥٤٠ - **إلهي**: شكراً لك أنَّني لم أُبتَل ببلاءِ الشُّهْرَةِ.

٥٤١ - **إلهي**: صار باعثَ عِزَّةِ الحَسَن حُكْمُ ذي المِنَنِ، فَمَهْما يعطيه (أي للحسن) القَدَرُ ومَهْمَا يفعل به (أي بالحسن) القضاءُ.

٥٤٢ - **إلهي**: أَبحَثُ عن ماذا؟ حيث غاية علامتك (وآيتك) هي عدم العلامة، وأقول ماذا؟ حَيْثُ نهاية العِرفان بك هي الحَيْرَة.

٥٤٣ - **إلهي**: جَعَلْت حُجَجَك حُجُبَك (أي حُجُباً لك) فاجعل حَسَنَك حاجِبَ حُجُبك.

٥٤٤ - **إلهي**: هذه اللَّيلَة التي هي لَيْلَة القَدْرِ الجميع يَضَعون القُرْآن على رؤوسهم، فَوفِّق الحسن حتى يَضَع القرآن في قلبه.

٥٤٥ - **إلهي**: شكراً لك أنَّني شَرِبْتُ الحليبَ مِنْ ثَدْي الأيمانِ والطهارة والتقوى.

٥٤٦ - **إلهي**: الحسن يرى الكثير من الجنائز الحَيَّة ويقول: «الحمدُ لِلّهِ الذي لم يَجْعَلْني مِنَ السَّوادِ المُخْتَرم».

٥٤٧ ـ **إلهي**: الحقيقة التي توصَّلْتُ إلَيْها من عِلْم الميزان (أي المنطق) هي أنَّك (أنت) الفصل الحقيقي للجميع وصورة الصور.

٥٤٨ ـ **إلهي**: إنْ كان هؤلاء الأوادم بالظاهر مِنْ أَكْلِ لَحْم سخلة الشاةِ إلى هذا الحَدِّ مفترسين، فَإِنْ كُنتَ قد حَلَّلْتَ لهم لَحْمَ الذِّئب والنِّمر ماذا كانوا يصبحون؟!

٥٤٩ ـ **إلهي**: صِرنا في زمانٍ ليس لسلامِنا جوابٌ.

٥٥٠ ـ **إلهي**: برحمتك الرَّحمانِيَّة أَنْطَقْتَنِي، فَبِرَحْمَتِك الرَّحيمِيَّة أَسْكِتْني.

٥٥١ ـ **إلهي**: طوبى لأولئك الّذين لهم عبادةُ المُحِبِّين.

٥٥٢ ـ **إلهي**: اجعل الحسن جليساً مع أولئك الّذين هم جُلَساءُك.

٥٥٣ ـ **إلهي**: جَعَلْتَ وَجْهي حَسَناً، فاجعل خُلقي حَسَناً (أيضاً).

٥٥٤ ـ **إلهي**: كلّما أَرْكُض لا أَصِل، فماذا أفعل؟

٥٥٥ ـ **إلهي**: ماذا أقول لك عن سِرِّ القلب حيث أنت نفسك سِرُّ القلبِ، و(أنت) حَبَّةُ وعشُّ وجناحُ وريشُ وطيرانُ القلبِ.

٥٥٦ ـ **إلهي**: ابْيَضَّ شَعْرُ الحَسَن ولم يَبْيَضَّ خُلُقُه.

٥٥٧ ـ **إلهي**: تُبْتُ من تَوْباتي (أو توبتي).

٥٥٨ ـ **إلهي**: جَعَلْتَ السِّين في قَلْبِ الحسن، فاجعل يَس أيضاً في قلبه.

٥٥٩ ـ **إلهي**: تكفي الحسن صِبْغَةُ تَعَلُّقٍ واحدة من «صبغة الله» والأُخرى (أي البَقِيَّةِ) قيود.

٥٦٠ ـ **إلهي**: ما أحسن أنْ لم يقع ما أراد الحسن.

٥٦١ ـ **إلهي**: القرآن والإنسان والعرفان والبرهان (جميعاً) شيءٌ واحدٌ وغير منفصل بعضها عن بعض، فهب لِلحسنِ تأَحُداً (أو توحُداً) جَمْعِيّاً.

٥٦٢ ـ **إلهي**: بعزةِ جمالِ اسمِك العزيز الجميل، صُنْ حُسْنَ صنيعِ شمايل حسنِك عن مشاين المُثْلَةِ، واجعل تلك الجوهرة التي أعطيتها (له) أوّل مرةٍ بـ**﴿نَفَخْتُ فيه﴾** مقبوضةً ومتوفاةً أوّل مرةٍ أيضاً بـ**﴿الله يَتَوفى الأنفس﴾**.

٥٦٣ - **إلهي**: ما لِلحسن وعروس أقليدس (شَكْلٌ هندسيّ)، (إلهي) فاجعله مع عروس القرآن (أي مع سورة الرحمن).

٥٦٤ - **إلهي**: أولياءُك يُصَيِّرون (أو يبدِّلون) الخزف جوهرةَ فانوس الليل (اسم جوهرة تذكر في الأساطير الفارسية) بل يصيِّرون الكلبَ آدمياً، والحسن أيضاً **﴿كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾**.

٥٦٥ - **إلهي**: سبحانك وتعاليت، أيَّة مَنِيَّةٍ ومُنْيَةٍ تكون لقطرةِ الماء المهين.

٥٦٦ - **إلهي**: الجميع يدعونك: القُمْري بـ: قوقو، والهدهد بـ: پوپو، والفاختة بـ: كوكو، والحسن بـ: هوهو.

٥٦٧ - **إلهي**: علُومنا مناسباتٌ قد ذَكَروها بعد وقوعها.

٥٦٨ - **إلهي**: شكراً لك أن أصبح حسنك أيضاً مشمولاً لموهبة **﴿وعُذتُ بربي وربّكم أن ترجمون﴾**.

٥٦٩ - **إلهي**: شكراً لك حيث صيَّرتني أيوبيّ المشهد، ويعقوبيّ المشرب، وعلى قدم لقمان.

٥٧٠ - **إلهي**: شكراً لك حيث ألبّي نداء **﴿يا أيتها النفس المطمئنّة...﴾**.

٥٧١ - **إلهي**: شكراً لك حيث أدركتُ جائزتي في شهر الله هذا، قبل البلوغ إلى ليلة الجوائز.

٥٧٢ - **إلهي**: شكراً لك حيث شرَّفتني بزيارة جمال كتابك الكريم.

قصيدة

ينبوع الحياة

للأستاذ الشيخ

حسن زاده الآملي

ينبوع الحياة

بَدَأْتُ ببسم اللَّهِ عينِ الحقيقةِ نَطَقْتُ به في نَشأةٍ بعدَ نشأةِ
شهدتُ محيّاه بعينِ شهودِهِ صباحاً مساءً كرّةً غِبَّ كرّةِ
أصلّي على خير الأنام محمّدٍ وعترتِهِ الأطهارِ هم خيرُ عترةِ
ولست أرى غير النّبيّ وآله إليه تعالى شأنه من وسيلةِ
ومن ثدي أمّي، قدّس الله سرّها شربت حُميّا حبِّهم بَدْءَ رَضعتي
وقربهمو في متجري لبضاعتي ووُدّهمو في محشري لشفيعتي
بيوتهمو كهفي وها أنا كلبهم بسطتُ ذراعيَّ إليه بعَقْوَةِ

ووحدةُ صنعِ العالَمين لَحجّةٌ
على الواحد الحقِّ الحقيقِ بوحدةِ

على وحدة التّدبير غير الرّويّةِ على وحدة التقدير عين الرّويّةِ
فتوحيده الحقّ الحقيقيّ ناطقٌ بوحدتهِ الشخصيّةِ الصّمديّةِ
بوحدتهِ القدسيّةِ الأزليّةِ بوحدتهِ الجمعيّةِ الأوّليّةِ
بوحدتهِ في حضرةٍ باطنيّةٍ بوحدتهِ الكونيّةِ المظهريّةِ
تجلّى على الآفاق والأنفس معا فليست سوى آياته المستنيرةِ
وتوحيدُه أفنى الذّواتَ برأسها وفي المحق طمسٌ ثمّ محو برتبةِ
إذا لم يكن غير الوجود فمَن سواه فليس سوى نور الوجود ببقعةِ
وقد ساوق الحقُّ الوجودَ تصادقاً وساوى الوجودُ الواحدَ في البديئةِ
وقد عبّروا عنه بعقلٍ ووحدةٍ وقد أفصحوا عنه بعشقٍ ونقطةِ
وللنّاس فيما يعشقون مذاهب خليقتهم تحكي اختلافَ السّليقةِ

وما زارتِ العينان غيرَ رُوائهِ
أريكته كانت سويداءَ مقلتي

وما لجمود العين حقّ الزيارة ... ويا صاح طهِّرها بإجراءِ دمعةِ
ومَن هو أوّاهٌ مُنيب فإنّه ... خليلُ الإله صادقُ الودّ خُلّتي
وبالذّوق إن شاهدتَه كنت صادقاً ... وكم ضلَّ مَن ظنَّ الوصولَ بفكرةِ
وأنّى لك الإعرابُ عن وصف ذاتِهِ ... ولمّا تذق مِن كأسِهِ نحوَ جرعةِ
ومن لم يذق ما ذاقه العاشق الوفيّ ... فممّن تَردّى في هواه بسَقطة
ولا يوصف هذا الوصولُ بألسُنٍ ... وقد أخرسَتْ عن وصف ذاك وكلّتِ
قد اضطرب العقلُ من إنباء سِرّه ... وقد نطق القلبُ بعجزٍ وذِلّةِ
وما القلب إلاّ بالتّجلّي تقلّبُ ... هل العقل إلاّ في اعتقالٍ بعُلْقةِ
وفي القلب طوراً بعد طورٍ بَوارِقُ ... تلوح ضياءً فوق يُوحَ المضيئةِ
ويتّسع بالعلم مِن صنع ربِّهِ ... فليس وعاءً مثل بيتٍ وصُرّةِ
وقد وسع الحقَّ فما ضاقَ عن سواه ... فلا يغفل عن حضرةٍ عندَ حضرةِ
وأوعيةٌ تلك القلوب فخيرُها ... لَقلبٌ هو أوعَى القلوبِ المُنيرةِ
وقد ثار قلبي مِن خفايا سريرتي ... وقد طار عقلي من خبايا طَويّتي
وأنّى لك الخُبْرُ بحالي وأنّما ... تَرى جُدَّتي لستَ ترى ما بِلُجَّتي
وكيف أُثير ما بِسرّي فإنّما ... دفين إلهي ذِمّتي أو مذمّتي

ويا حبّذا نارُ المحبّة أحرقت
أنانيّتي من جَذبةٍ بعد جذبةِ

وقد أضرمت نارُ الصَّبابة في الصِّبى ... هدايا الجنونِ بين قومي وصُبَّتي
صبابة من قد كان سِرّي سَريرَه ... فصاح بسرّي صيحةً بعد صيحةِ
وما ذقتُ في دهري من أنواع لذّةٍ ... فلا تعدل معشارَ أوقات خلوتي
مضى الليل في النّجوى وشكوى غريبِهِ ... وكان الصّباحُ لمعةً فوق لمعةِ
وفي لُجّة الليل الذكاء تلالأت ... وقد جرتِ الأنهارُ من قلب صَخرةِ
وقد نَوّر الرّوحَ أنينُ لياليا ... وقد طَهّر السرَّ دموعُ كريمتي
مُداوِي الكلوم كان ذاك الأنينُ لي ... أنيناً لقد أنَّ الطّيورُ بأنّتي
ونعم الأنينُ كان فِي الدّهرِ مونسي ... فصرت من أشباح الأُناسِ بخيفةِ
أناس كنسناس وحوشٌ بهائم ... أضلُّ من الأنعام دون البهيمةِ
ولو كُشِف عنك الغطاءُ لتُبصر ... سِباعاً ذِئاباً أو ضِباعاً بغَيْضَةِ

وأفٌ لـدهـرٍ مـا تـرى فـيـه آنـسـاً ولـم ألف في دهـري أليفـاً لعِشرةِ
ويا حسرتي ليس لنا صوبَ مَخلصٍ سوى أن نـديـنَ الـحق ديـنَ التّقيّةِ

تـركـتُ سـواه لُـقـيـةً مـن لِـقـائِـهِ
وقـد أكـرم الـمـعـشـوقُ نُـجْـحَ عـزيـمـتـي

هـداني إلى وادِي الـوَلاية بـعـدَما رماني عن أوطاني وسُكّانِ بلدتي
يُضِلّ ويـهـدي مـن يشاء بـمـلكـه ومَا اسْمٌ مِن الأسماء قطّ بعُطلةِ
ولـيس بـجـبرٍ أو بـتفـويضٍ إنّ ذا على وفقِ الأعيان الثوابتِ ثُبِّتِ
ولـمّا رآني لـيس لي مونسٌ سواه تَـرحَّـم بـي جاءَ أنـيسـاً لـغُربتي
تـركـتُ سـواه فـي هـواه بـلـطـفِهِ وفِي الكسر جُبرانٌ وفِي الجبرِ لذّتي
إذا كانت النفسُ سِراحاً من الرّدى ففي صُقعها نارُ الهوى قد أُنيرتِ
بِسرٍّ الحضور نورُ الأنوار كامنٌ وحـولَ الـموافاة بـدائـعُ حكـمـةِ
وطوبى لِمَن وافَى الحضورُ وفاتَه ولـيـس يُـوازيـه الـوفـاةُ بِـغَـيْـبـةِ

ولـمّـا بـدتْ أنـوارُ طـوبـاه فـي حـمـاه
فـقـد طـارتِ الـنـفـسُ إلـيـه بـسـرعـةِ

وما الكسب إلاّ قطرة بعد قطرة وما الفضل إلاّ سِيبُ بحرٍ بِنِحْلَةِ
فقد قادني لطفُ الإله إلى الحِمى على صِغَري حمداً لَهُ من مَنيحةِ
مطايا عطاياه نفوسٌ تطهّرت من أدناس الأرجاس بِوَهْبٍ وهمّةِ
إذا لم يك السرُّ نقيًّا من الشقاء فـمـا لِـلـشّـقـيِّ مـن ثـيـابٍ نقيّـةِ
يُوسَّع رزقُ العبدِ ما كان طاهراً بذا جاءَ نصٌّ من نصوصٍ صحيحةِ
تَجنَّبْ عن أرجاسِ الهواجسِ كلّها تَـوكَّـلْ عـلى مَن ذاتُه الكلَّ عَمَّتِ
ومَن عاش في الأتّون طولَ حياتِهِ فهل يُدرِك العيشَ بساحةِ روضةِ

ومـا لـم يـك الـمـطـلـوب لـلـطّـالـب بَـدى
فـأيـن إلـى الـمـطـلـوب كـان بـنُـجْـعَـةِ

ومَن لم يكن وجه الحبيبِ تجاهَه فليس وجيهاً عند أهل المحبّةِ
وهل وجهةٌ في غير عزّ تجاهِهِ وهل عزّةٌ في غير قرب المودةِ
وبالحبّ الأعيانُ انجلَتْ في شجونها شجون تراها غمرةً إثْرَ غمرةِ
وفي سِرّ غيبِ الذات الأعيانُ غابتِ قدِ ارْتَجفَتْ بالعشق أنحاءَ رَجفةِ

ولولا بُروق الحبِّ ما صاح صائحٌ ولا حبّةٌ كانت تلوح بمنبتِ
ولولا شُروق العشق ما لاحَ كوكبٌ ومَا الفلك تجري أو تدور كفَلْكةِ
ولمّا تركتُ الخلقَ طرًّا وجدتُهُ
بَدَى الشمسُ والخلقُ نظيرُ الأشعّةِ
لقد سُرَّ سِرّي من سنا وجهه السّنيّ على ما بَدى لي في رُقادي وَيَقْظَتي
وإنّ مياه الأبحر لو تراكمت لما هي ممّا تُطفىء حرّ لَوعتي
ولولا انكسار القلب ما يُعبأ به وبالانكسار كان من خيرِ عِيْبَةِ
لنا ما رُزقنا من قلوبٍ كسيرةٍ لكم ما رزقتم من عقارٍ وضَيعةِ
وكيف أبوحُ ما بسرّي وإنّما لسان الحروف الراقمات بلُكنةِ
وما تنفع أسماء الأسماء وحدَها إذا لم تكن أسرار الأسماء مُكنتي
إذا ما أتيتَ راحماً لزيارتي تَشَمّ نسيمَ الحبِّ من رَوض تُربتي
وفي الصّمتِ نطقي إنّ ذا من عجائب
وفي غضّ عيني رُؤيتي في رَويّتي
وفي الذّكر أُنسي ثم في الأنس ذكره تسلسل ذاك الدّور يومي وليلتي
ولست أَرَى الإنسانَ غير دعائِهِ جنابَ الإلهِ لحظةً لِفْتَ لحظةِ
تصلّي له سبحانَه لستَ شاعراً كما أنّ الأشباح والأرواح صَلَّتِ
يميت ويحيي كلّ آنٍ نفوسَنا كذاك إليه نرجع كلَّ لَمحةِ
تجدّد أمثال العوالم كلّها على هيأةٍ موزونةٍ مستديمةِ
تجدّدُ الأمثالِ على حفظِ نظمِها بدائعُ صنعِ اللّه في كلّ بِدعةِ
متى غاب حتّى أطلب الهادي إليه وما الهادي إلاّ جِلوةٌ منه جَلَّتِ
خفاه ظهورٌ فِي الظهورِ خفائه وفي قربِهِ بُعدٌ وفِي البُعد قربتي
ومِن دَأبه أن يظهر ثم يختفي وفِي القبضِ والبسطِ مُفادُ عقيدتي
وفي القبض بسطٌ ثم في البسط قبضه وما البسط والقبض سوى بسطِ قبضةِ
قضاء وقرآن وقبض ترادفت ففي القَدَر الفرقان أنحاءُ بسطةِ
فَفِي الروح قبضٌ ثم فِي القلب بسطُهُ وما بالتّجا في صورةٌ مَا تسرّتِ
يُمثّلها صقعُ خيالِك بعد ذا يُجَسّمها في الطبع طابعُ هيئةِ
وما هو قرآن فجمعٌ وباطنٌ ومَا الجمع إلاّ الحكم فيه بِرُمّةِ

وما هـو فـرقـان فـشـرحٌ وظـاهـرٌ — وما هـو تـفـصـيـلٌ فـمـرهـون كـثـرةِ
ومَن كان عن روح الكتاب بمَعْزلٍ — فَمَـا انْـتـفـع مِـن شـدِّ حـرفٍ ومـدّةِ

هــو الـصّـمـد الـحـق أي الـكـلّ وحـدَهُ
هــو الأول فــي آخــر الآخـريّـة

هو الـصـمـد الـحـقّ فـلا ثـانـي لـه — فما الشبهة تُروى عنِ ابنِ كمونةِ
ومعناه لا جوف له فهو مُصْمَتٌ — كـمـا فُسّـر من أهـل بـيـت الـنـبـوّةِ
فـمـا ذرّة إلاّ حـيـوةٌ تـجـسّـمـت — وسـائـر الأوصـاف كـذاك بـجَـمَّـةِ
فصار السّوى غيرَ السّوى غيرَ أنّه — شـؤونٌ وآيـاتٌ لـذاتٍ فـريـدةِ
فـمَـن هـو مـعـلـول ومَـن هـو عـلـةٌ — لَدَى الصّمدِ الحقِّ الوحيدِ بِسَطْوَةِ
وقـد كـانـتِ الـدنـيـا غَـروراً لأهـلِـهـا — لِـمـا أنّـهـا تـغـتـالـهـم أيَّ غِـيـلـةِ
فتُوهِـمُـهـم أنّ الـسّـمـواتِ والـثَّـرى — وما فيهما في الكون مِمّا استقلّتِ
إذا جـاءهـم كـشـفُ الـغـطـاءِ فـإنّـمـا — عـيـانـاً رأوا قـد كـانـوا فـيـه بـغـفـلـةِ
متى طلعت شمسُ الحقيقة تفضح — خفافيشُ ما في ظلمة الليل خَفَّتِ
وهل أنت إلاّ الرّوح والجسم والقوى — وهـل أنـت إلاّ وحـدةٌ فـي الـكـثـيـرةِ
فـمـا أنـت إلاّ واحـد ذو مـراتـب — تـرى ذاتَـك مِـرآتَـهُ قـد تَـجـلَّـتِ
ولا بـدّ مـن فـرقٍ كـشـيءٍ وفَـيْـئِـهِ — وليس كمَيْزِ الشيءِ والشيء فَاثْبُتِ

هــو الـصّـمـد الـحـقّ كـذاك كـتـابُـهُ
وذا الـحـكـم فـاقَ الـشـمـسَ عـنـدَ الـظـهـيـرَةِ

كـذاك الـنـبـيُّ الـخـاتـم فِـي الـنـبـوّةِ — هو الصمد هل كنتَ مِن أهلِ دُربةِ
مـحـمّـد الـمـبـعـوث ختـم الـنـبـوّةِ — كذاك كتاب اللّـهِ مِنْ غِيرِ لُبْسَةِ
هـو المعجز الباقي من دين أحمد — هـو نوره المُنجي من كلّ نِقمةِ
والإعجاز بالأسلوب أو بالفصاحةِ — أو الأمر في ذاك على نحوِ صَرْفَةِ
ومـعـجـزه الـبـاقـي مِـن فِـعْـلـه تـرى — بيثربَ من تعيينه سمتَ قبلةِ
بـلا شـاخـصٍ أو جـدولٍ من جداول — بـلا ربـع اسـطـرلابٍ أو أيِّ صـنـعـةِ
ولـكـن بـنـور الله مـن يـثـرب رأى — مع البعد بيتَ الله يا حُسنَ رؤيةِ
فـقـام إلـى الـمـيـزاب مِـن أمـر ربّـهِ — تـعـيّـن سـمـتُ الـقـبـلـة فـي مـديـنـةِ
إلـى الآن هـذا الـمـعـجـز كـان بـاقـيـاً — وفي الخوض فيه مالنا من وجيزةِ

فليس نبيّ بعده فَمَنِ ادّعى هو المتنبّي بلا طَمثِ ريبةِ
على قدر وسعي كان قرآنه معي
فلا خوف من شرّ النفوس الشريرةِ
إذا كان بيتٌ أصْفَرَ من كتابه فليس ببيتٍ بل وِجارُ ضُبُوعةِ
ويا من أراد الاعتلاءَ إلى العُلى فطوبى لذاتٍ وهي ذات عُلِيَّةِ
فلو لم يكن فينا القبولُ إلى العُلى لَما كان قرآن الرسولِ بقُدوةِ
وحيث بَدا فينا العروجُ إلى الذُّرى لنا في رسول الله تحثيثُ أُسوةِ
تَفَقَّهْ بما قد فُصِّل في النبوّة عليك بما أُهديكَ مِن غير مُهلةِ
نبوّةُ مَن كان من اللّه مُرْسَلا هي الخاصّة المقرونة بالشريعةِ
وأخرى لِمَن كان من أهل الولايةِ هي العامّة في كلّ عصرٍ ودَوْرَةِ
وقد ختم الأولى ظهوراً بأحمد محمدِ المحمودِ من ربّ العزّةِ
وأما بطوناً فهو عينُ النبوّةِ به يستنير أمّةٌ بعدَ أمّةِ
وكلّ نبيٍّ كان مِن قبلُ يستضيء بمشكوةِ عين الرّحمة الأحمديّةِ
فمن أعرض عن منطقِ الوحي الأحمدي فمُنسلخ عن فطرةٍ بشريّةِ
ومَن آمن في غُرّ نورِ الولاية فقد خُلّص من ظلمةٍ مُدْلَهِمَّةِ
ومَن لم يكن مِن حظّ عرفانه احْتَظى فممّا استلذّ مِن أفانينِ حَظْوَةِ
ومَن لم يكن من ضَوء برهانِهِ اهْتدى فلن يُهتدى قطُّ بِقطعٍ وبتّةِ
ومَن أظلم ممّن على اللّه يفتري
ومِمَّن رسولَ اللّه آذى بِفِريةِ
بأنّ رسول الله من بين أمّته قد ارتحل من غير نصّ وصيّةِ
ولو لم يكن غير الغدير لقد كفى لمسترشدٍ وهو مِن أهل الحميّةِ
فكيف نصوص الفرقتين تواترت بمثل الغدير في جَدير الخليفةِ
ألا وعليّ كانَ يعرف بالوصيّ بأخبارنا الموثوقة المستفيضةِ
وأنت ترى بين سنام الصّحابةِ هو وحده كان بهذي الخصيصةِ
على ما هو المعمول بين الجماعةِ فحاشايَ عن بحثٍ عن الأفضليّةِ
لأنّ القياس صحّ في ما تَجانَسَتْ وأيُّ جِناسٍ بين نورٍ وظلمةِ
ومَن همو أعراب من النّاس والوصيّ فترتجز فِي الفضلِ عندَ السّقيفةِ

إذا كان جمعٌ كلّهم أهل العصمةِ ... لصحّ الحِوار عند ذا بالفضيلةِ
فَيوزَن أولو العزم والمرتضى علي ... بأنّهمو مَن كان أولى بِخِلّةِ
وأدّبنا القرآنُ في الأفضليّة ... ففي الرّسل أَو فِي النبيّين حُجّتي
عليٌّ إمامُ الكلّ بعد نبيّنا ... عَلا الكلِّ في كلِّ صفاتٍ سنيّةِ
ومَن أظلَمُ يا قومِ ممّن قدِ ادَّعى
إمامةَ دينِ اللّهِ مِن غيرِ عصمةِ
ومَن كان في الأمسِ على الظلم ناله ... من اليوم عهدُ الله يا مِن ظليمةِ
ولا بدّ للاسم الإله من الّذي ... نُسمّيه كوناً جامعاً في الرّقيمةِ
هو القطب بالإطلاق في كلّ عالَم ... هو الشمس في الآفاق عند البصيرةِ
وجودُه لطفٌ في نظام العوالَم ... ولن تخلوَ الأرض من أنوار حجّةِ
بذا حكم العقلُ ببرهانه السّنيّ ... وألسنةُ النّقل على ذاك دَلَّتِ
ألا إنّه، والعصرِ، من صلب العسكري ... سليلُ رسولِ الله وابنُ الأئمّةِ
م ح م د المهديُّ بالحقّ قائم ... بذاك اعتقادي من علوقٍ نفيسةِ
بذاك اعتقادي عن صميم معارفي ... معارف ما في لُجّتي وسَفينتي
عليك بدُرج الدرّ نَهج الولاية ... لما فيه من أسراره المستسرّةِ
بذاك اعتقادي من صفايا أدلّتي ... بلا دخل تقليدٍ ورسمٍ وسنّةِ
وأشهد بالله على ما عقيدتي ... بلا ريبٍ وسواسٍ بلا شوبِ شبهةِ
بذاك اعتقادي من عطايا جنابِهِ ... وخير العطايا للنّفوسِ السّعيدةِ
على ما هدانا الله جلّ جلالُهُ ... له الحمد ثمّ الحمد من غير فترةِ
تصفّحتُ أوراقَ الصّحائف كلّها
فلم أر فيها غيرَ ما في صحيفتي
أَمِن مثلِها نورٌ بسيط توحّدت ... بشيءٍ إذا قد واجَهَتْهُ لِبُغيةِ
تجرّدها ممّا هي للطّبيعة ... يُفيد بقاءَ النّفسِ للأبديّةِ
يُحبّ البقاءَ كلُّ شيءٍ بِسُوسِهِ ... فأصلُ البقاء ثابتٌ بالبديهةِ
كذاك مقام فوق ذاك التجرّد ... لها ثابتٌ أيضاً بحكم الأدلّةِ
وما أُخبر الكشف الأتمّ المحمّدي ... بيانٌ لِما في النفسِ في كلّ سورةِ
على صورة الرّحمن جلّ جلاله ... بَدى هذا الإنسانُ مِن أمشاجِ نطفةِ

وسبحان ربّي ما أعزّ عوالمي ... وأعظم شأني في مكان بُنيتي
وما آيةٌ فِي الْكونِ منّي باكبرا ... ونفسي كتابٌ قد حوى كلَّ كِلْمَةِ
ولو لم يك الإنسان مَن كان حاملا ... أمانتَه من حينِ عرضِ الوديعةِ
ومحمول الإنسان هو العرش قد بدى ... أيِ الملكُ ممّا اختاره ابنُ مسرَّةِ
ففي الدهرِ من مثلي وكنت مثالَه ... وما تعدل جنّاتُ غيري ببهجتي
وماءٌ مهينٌ دافقٌ صار عالَماً ... كبيراً يُوازي الكلَّ من غيرِ قِلّةِ
فمَا هو الإنسانُ جميعُ العوالم ... ومَا هو الإنسانُ سلالةُ طينةِ
وما هو الإنسان والأسماء إنّما ... هي الذّرر وهو لها نحو حُقَّةِ
عجائبُ صنعِ النفس يا قوم ماهيه ... وما يعدل صنعٌ بتلك الصنيعةِ
وللنّفس إنشاء الذوات على الولاء ... وإرسالها في ما تَشاءُ بمُنّةِ
وتلك الذواتُ قد تكون بسيطةً ... مفارقةً نحو العقول المفيضةِ
كذا قد تكون ما تلينا من الّتي ... قد اغتمرتْ في مَدّةِ ذاتِ مُدّةِ
ويا معشرَ الأحباب مَن كان فيكمو ... يعرّفني نفسي فيسكن ثَورتي
ويا أمّةَ الأملاك في الأرض والسما ... وهل واحد منكم يجيب بِسُؤلتي
ويا مالكَ الأملاك في الأرض والسما ... ويا مَن يُناديه صُراخي وضجّتي
ويا مَن أحبّ خلقتي نعم ما أحبّ ... ويا من كساني خِلعةً بعد خِلعةِ
ويا مَن إليه الكلّ يأوي ويلتجي ... إليك التجأتُ في رخائي وشدّتي

ويا لهف نفسي لستُ أعلم ما أنا
ولستُ فهمتُ مصحفي من قريحتي

تحيّرت في أطوار نفسي على الولاء ... تروح وتغدو في حضيضِ وذُروةِ
تجلّى لها أسماءُ يوم القيامة ... وقد بَهرتْ من غيب ذات الهويّةِ
وقد تهبِط منها إلى الدَّرْك الأسفل ... إذا الْتفتَتْ نحوَ الحظوظ الخسيسةِ
وقد ملأتْ أقطارَ الآفاقِ كلّها ... ملائكةُ الله والأقطارُ أطَّتِ
ملائكة الله قوى كلّ عالم ... قد اشتقّوا من مُلك كما من أُلوكةِ
وما مَلَكٌ إلاّ وفينا مثالَهُ ... حقيقة شيءٍ تُعرف في الرّقيقةِ
ومعرفة الإنسانِ نفسَهُ أنّما ... هو الحدّ الأعلى للعلوم الرئيسةِ
والإنسانُ يزدانُ بأنوارِ علمِهِ ... وأنّى له الأعراضُ كانت بزينةِ

وصالحةُ الأعمال بعدَ علومِهِ ... تريها له أيضاً من أنوار حِلْيةِ
جناحا العروج نحو أَوج المعارج ... هما العمل والعلم يا أهل نُهْيَةِ
ولا ينتهي قطّ كمال الولاية ... فلا توصف النّفس بحدِ ووَقْفَةِ
ومِن جوهر النّفس إذا كان كاملا ... بَدى معجزاتٌ مرّةٌ بعد مرّةِ
ترى بشراً يمشي في الأسواق قد عَلى ... سَنا سرِّهِ آفاقَ ما فِي الخليقةِ
وجسمٌ يدور حولَ نفسٍ ونفسُه ... إلى العقل تنحو رِفعةً فوق رِفعةِ
وللعقل إقبال إلى ذروة العلى ... يعاوقه الطبع بأنواع حيلةِ
فكيف لنا يُرجَى الْعروجُ إِلَى الذُّرى ... فإنّه للنفس الّتي لاَطْمأنّتِ
فإن ملّتِ الأرواحُ مِن سوء دهرها ... ففي جنّة الأسفار كانت بنُزهةِ
ومَن كان يرجو الاعتلاَ فإنّما ... يهيّىء أسبابَ الوغى مِن سَريّةِ
ومن سافَر صدقاً فلا يستريح مِن ... توخٍّ مِن القيّوم طيَّ الطّريقةِ

ترى آدمَ البرنامجَ الجامع الّذي ... حواه نعوتُ الحضرةِ الأحديّةِ

فلا بدّ من برنامجٍ في أمورِهِ ... وفي عملِ البرنامجِ مِن صَريمةِ
وإيّاك والفنَّ الذي لَيس نافعاً ... عليك بإدراكِ العلوم الرفيعةِ
والعرفان بالله هو العلم وحده ... فطوبى لمن نال بِتلك العطيّةِ
وعلمك صيدٌ قَيِّدِ الصّيدَ يا فتى ... وقيدك إياه تراه بِكِتْبَةِ
ويا أيها الإنسان إنّك كادح ... إلى ربّك كدحاً فَتَسعَى لِلُقيةِ
إذا تتجافَى النّفسُ من عرصةِ الفنا ... فقد شهدتْ عينَ البقاءِ بلحظةِ
أما سيرُها مِن هذه العرصةِ إلى ... فِناء البقاءِ ليس إلاّ بخَطوةِ
إذا وصل النّفس إلى دارِ قدسِها ... إلَى الْموطنِ الأصلّي مِن دارِ كُربةِ
تَحوّلتِ النّفسُ من النّقص قد فنت ... إلى عقلها فاستخلصتْ من نقيصةِ
فما الوصل إلاّ الاتحاد بغايةِ ... ويا صَحْبِ ما فِي النفسِ مِن حسنِ سيرةِ
وأمر فناءِ النّفسِ في العقلِ طالما ... يدور على الأعصارِ بين الأجلّةِ
وهذا الفناء لي في الكلِّ واحداً ... له درجاتٌ فوق عدٍّ وحِسبةِ
فمِن نقصِها الذّاتيّ كانت تبدّلت ... كمالاً بِسرِّ الحركةِ الجوهريّةِ
متى وَاجَهَ أنوارُ غرِّ المعارفِ ... عرفتُ بأنّي لست من ذي القبيلةِ

ولمّا رأيتُ العاشقَ الحقَّ قد دريت معاني الوقار والرضا والسّكينةِ

وبالعمل والعلم نحن صنيعنا

فإنّهما نفس الجزاء أَحِبّتي

لذا كانت الآلامُ يومَ القيامة لِمن كان فِي الدّنيا أليفَ الطّبيعةِ

ومن كان مأنوساً بحكم مثاله فَفِي الجنّةِ الصغرى له حظُّ نعمةِ

ومن فازَ بالقربِ إِلَى الْحقِّ حَقَّهُ يُشاهد وجهَ الله في كلّ وِجهةِ

تَوَغّل فِي العقلِ وأَدبر عن سواه فَفِي الجنّةِ الكبرى له أيّ مُلكةِ

هي جنّة الذّات الّتي قد أضافها إلى ذاتهِ النّوريّةِ السّرمديّةِ

وطاف على المعشوقِ لم يدر غيره تطوف عليه الحورُ طائفَ كعبةِ

ويوم الحصادِ تحصد ما زرعته ففي هذه الأيّام هل زرع زُرعةِ

فلستَ سوى أعمالِكَ الأخرويّةِ ولستَ سوى أفعالك الدّنيويّةِ

والأعمال إما الكسب بالصدقِ والصفا أو الاكتساب باحتيالٍ وخُدعةِ

لذا جاء في فصل الخطابِ المحمّدي لها وعليها في مجازاةِ صفقةِ

فجنّتك والنار فيك وتزعمُ بأنّهما في حَيّزٍ ما بفَجوةِ

وللجنّة والنّار فينا مظاهرُ والآفاق مثل الأنفس بالسّويّةِ

وعامل فعلٍ كان نفسَ جزائِهِ ألا ملكات عُجّنت بالسّريرةِ

إذا فُتِحت عيناه في صُقع ذاته فإمّا وجوهٌ مِن وجوهٍ دميمةِ

وأمّا وجوهٌ من حِسان كريمة لئن كانتِ الأفعالُ مِن حسنٍ شيمةِ

سرائرها تُبلى له الويل لو رأى سريرتَه مشحونةً بالرّذيلةِ

وأنت تَرَى الأناسَ فِي السوقِ قد بدى تجسّمَ أعمالٍ فهذا كحيّةِ

وهذا كخنزيرٍ وذاك كثعلبٍ وذا سَبُعٌ ينحو افتراسَ الفريسةِ

وشرذمةٌ كانت من أهلِ السعادة يميل إليها الطبعُ من غير وحشةِ

وحشرُهم يوم النشورِ كنشرهم هنا في جماعاتٍ وسوقٍ وسكّةِ

وأكثر الأعمال سرابٌ وإنّما لقد حَسِب الظمآنُ ماءً بِقيعةِ

تجسّمُ الأعمال مِن الدّينِ الأحمدي

تمثّلُ الأعمال بهاتي الوتيرةِ

ولستَ سوى الدّين الذي كنت تعمل تمثّل الإيمان بصورة سدرةِ

وأخلاقك الأنهار الأربعة جرت　　وطوبى مثال النّفسِ طابت بطيبةِ
ومَن عاملَ الخلقَ بأخلاق سوئِهِ　　ففي قبره كان له سوءُ ضَغطةِ
إذا كنت في برنامج في التّمثّل　　نَجحتَ به في ذاتك بعد صفوةِ
تَنوّرتُ من نور الجمال المحمّدي　　بتطهير ذاتي من صَبوح بشَربةِ
سمعتُ بآذاني فصولَ آذانه　　فيا لذّةَ قد أقبلتْ صوبَ مُهجَتي
بكيتُ بكاء عالياً حينما قضى　　حبيبُ إله العالمين لِصُحبتي
ويا حينَ صوتِ لست أقدر وصفَهُ　　عَلى صوتَ داود بِأحسن لهجةِ
وكم نلتُ من أمثال هذا التمثّلِ　　تمثّلَ عذبِ يا لها من عُذوبةِ
تجسّمُ الأعمال بمعنى التمثّلِ　　تمثّلها كان تصوُّرَ صورةِ
فجسمٌ هنا ليس بمعناه العنصريّ　　بل الجسم دهريّ فخذهُ كدُرّةِ
رموزُ كنوزِ كلُّ ما في الشريعةِ　　فلا بدّ فيها مِن علومِ غزيرةِ
ولا بدّ فيها من صفاءِ السّريرة　　ومقعدِ صدقٍ عند ربِّ البريّةِ
تصوّرها كان تحقّقها الذي　　لقد نشأ مِن صقع نفسٍ كنبتةِ
وهذا النبات كانتِ النفسُ منبتَه　　وبذرُه خُلق النّفسِ تمثال حَبَّةِ
فما تنبت من أرض نفسك إنّما　　حبوب وإن قلت لبوب لَصحّتِ
وتلك اللبوب عند أهل البصيرة　　تُشخِّصُ الأبدانَ من البرزخيّةِ
كما أنّ نور العلم في النفس إنّما　　مُشخِّصُ الأرواح بلا شوبِ مريةِ

فحقّ المعاد كان جسمانياً بدى
كما كان روحانياً أيضاً بجملةِ

وأنت بذاك الجسم والروح تُحشَرُ　　كما كنتَهُ في النّشأةِ العنصريّةِ
والأبدان للإنسان طولاً تفاوتت　　كمالاً ونقصاً عرصةً فوقَ عرصةِ
فإيّاك والظنّ بأبدانِه على　　تكوُّنِها ممتازةً ميزَ عُزلةِ
وتنتشأ الأبدانُ مِن صُقعِ نفسِها　　تقوم بها نحو ظلال المِظَلّةِ
ولا تلك الأرواحُ عن أبدانِها خلت　　ولا كانتِ الأبدانُ عنها تخلّتِ
تمايزُ الأرواحِ والأبدانِ طالَما　　تقلقلتِ الأفواهُ فيه بِهَفوةِ
وقد نطق الوحيُ بالأولى والآخرة　　فأحكام الأولى غير ما في الأخيرَةِ
والآخرة الدنيا على ما زعمتَها　　فما الفرق في البينِ من الأرجحيّةِ

فإن كانتِ الأخرى فليست بِهَذِهِ ... فكن من فريقٍ قائلين بفرقةِ

وإن شئت قلت النفس في الدار هذه ... هي للهيولى صورةٌ فاستقرّتِ

ولكنّها فِي الدّارِ الأخرى بعكس ذا ... تريها هيولَى الصّورةِ المستمرّةِ

ولذّاتها كانت هنا من مقولةِ ... وفي دارِها الأخرى ترى مِن مقولةِ

ففي دارها الأولَى انفعالٌ لِضعفِها ... وأمّا في الأخرى فهي فعلٌ لقوّةِ

على ذلك الفعل نصوص تظافرت ... ونُنشئكم في منطق الوحي عُروتي

خوارق عادات كذا معجزاتها ... هي إنما من فعل نفسٍ مَنيعةِ

عليك بما فِي البابِ مِن بابِ العلم جا ... بِقلعِهِ بابَ خيبر دون طَرْفَةِ

فقلعُهُ ثمّ قذفُهُ خلفَ ظهرِهِ ... لَمَا كان ذا مِن قوّةٍ جسديّةِ

لما كان عضو بالغذاء تحرّكا ... لما كان الأعضاء بذاك أحسّتِ

ولكن بتأييد قوى ملكوتِهِ ... ونفسٍ بنور ربّها مستضيئةِ

كذلك الآلام هناك وها هنا ... على نحو ما قلنا من إسناد لذّةِ

وقد فسّر القبرَ لسانُ الشريعةِ

بأخباره الموصوفة بالوثيقةِ

فمقبورٌ إمّا فِي الخصال الحميدةِ ... ومدفونٌ إمّا في الصفات الذّميمةِ

حقيقته ما ليس عنّا بخارج ... وخارجه عنّا يسمّى بحفرةِ

والأول ما وارى حقيقةَ ذاتِنا ... وما الحفرة إلاّ الوعاء لميّتِ

وهذا وذاك بالتشابهِ ها هنا ... كأفراد نوعٍ باختلاف وشركةِ

وكم من أمور ها هنا قد تشابهت ... تشعّبت عندَ الحشر أنحاءَ شعبةِ

فالإنسانُ نوعٌ ذو مصاديق ها هنا ... بأصنافها مِن أيّ خُلقٍ وخِلقةِ

وفي النّشأة الأخرى هو الجنسُ قد بدا ... بأنواع أوصافٍ به لاَسْتَجَنَّتِ

فما أنت إلاّ نفس أفعالك الّتي ... فعلتَ بطَوعٍ واختيارٍ ورَغبةِ

قيامتنا قد قامتِ الآن فابصرا ... وأنواعها الكلّية خذ بخمسةِ

كنونٍ وقلبٍ ثم عرشٍ وحضرةٍ ... وحمدٍ وأقسام نكاح بنوبةِ

هي سبعة سبع سماواتك العلى ... من الأرض فاقرأ مثلهنّ بسبعةِ

هي الكليّات تحتوي جزئياتها ... على كثرةٍ من غير حصرٍ وعَيْقَةِ

وتلك الأصول فوق ما هو رائج ... على نحوه في الحكمة الفلسفيّةِ

وفلسفةٌ ذاتُ مراتب عندنا ... وسفسافُها قد عُدَّ من سفسطيّةِ
ففلسفةٌ أنوارُها مشرقية ... وقد نالها مَن كان مِن مشرقيةِ
فإن كان فيها كاملاً ومكمِّلاً ... فذاك أمام الكلّ في كلّ كورةِ
وفلسفةٌ أخرى هي من ظلالها ... وذو الظلّ أصل حاكم في الأظلّةِ
ويستوحش من لفظها المتقشّفُ ... يسوغ له تبديلُ لفظٍ بِلَفظةِ
دليل وبرهان ونور وحجة ... أو اللفظة الأخرى من أيّ قبيلةِ
والإنسان مفطورٌ لفهم الحقائق ... ببرهان لِمٌ أو بانٍ بدقّةِ
وطينته قد خُمِّرتْ بالتعقّلِ ... فإمّا بمعلولٍ وإمّا بعلّةِ
فما خالَف البرهانَ إلاّ معانِدٌ ... قد انسلخ بالخُرق عن دينِ فطرةِ
ولا يُنكِر العلمَ الشهوديَّ عاقلٌ ... بل العقل في النيل بِهِ كالذّريعةِ

وروحك مشتاقٌ إلى سَيب رزقِهِ
وجسمك مفتاق إلى أكل طعمةِ

فذاك بما من سنخه في اعتلائِهِ ... وهذا بما من جنسِهِ في عُضوضةِ
ولا يشبع ذاك بأنوار رزقه ... وقد شبع هذا بمرّات لقمةِ
فذاك وراء الجسم من سُوسِهِ السّنيّ ... كبارئه فِي الحيطةِ والألوهةِ
وهل تذكر العهد الذي كنت تغتذي ... دمَ الطمثِ من أُنبُوبَةٍ باسم سُرّةِ
فسُرّتك كان مَدى أشهرٍ فماً ... كذلك سُرّات كثيرِ الأَجِنّةِ
وهذا الفم المولود من أمر ربِّه ... قد انفتح والسُرّة منه سُدّتِ
وفِي الجنّةِ كان الغذاء لأهلها ... ببرنامجٍ في بُكرةٍ وعشيّةِ
ودار السلام الجنّةُ وهي وصفها ... وكان سلامُ الجسم في حفظ صحّةِ
فمن جاوَزَ عن مرّتين غذائه ... قد انجرَّ الأمراض إليه بأكلةِ
ففِي الأثر مَن جاوَزَ الأكل عنهما ... فهو حَرٍ بالمَعلف والعليقةِ
والإنسان قد خُصّ بأخذ غذائه ... من السمع فالسمع فم الأرْيَحِيَّةِ
وعلّمه الله البيانَ بذا الفم ... به صار ذا نطق بإنطاق نيّةِ
نعم كلّ شيء أنطق الله ذو العلى ... فلا ريب للإنسان ما من مزيّةِ
سوى تلك الأفواه فم آخر له ... مسمّىً بقلب يغتذي من حظيرةِ
حظيرة قدسٍ وهي عين حيوتِهِ ... بل الكلّ منها كلّ آن تَزوَّتِ

وما يدرك القلب فذاك هو الغذاء | وغيره إعداد بأنحاء عُدّةِ
وإدراكُ الإنسانِ جميعَ العوالِم | دليلٌ على ما فيهما من نظيرةِ
ومدرِكُ شيءٍ مغتذيه ومدرَكه | غذاء له فاثبت بتلك الدّقيقةِ
مغائيرُ شيءٍ لا يكون غذائَه | فبين الغذا والمغتذي نحو نسبةِ
وأسرار الأفعال العباديةِ لنا | هي كلّها الأنوار عند النتيجةِ
وما أَمَرَ الْمولى به فيه حكمة | تعود إلينا من صيام وحَجّةِ
وما قَدْرُ الإنسان وما وزنُه إذا | تأنّف كالشيطان من فعل سَجدةِ
وما يُعبأ بالمال والجاه لو خلت | صحيفةُ الأعمالِ مِن إعمال سَبْحةِ

وأنت تشاء اللّهَ ربَّ العوالم
فمِن سرِّك اطلب وجهَ تلك المشيّةِ

وطالبُ شيءٍ واجدٌ الشيء مجملا | كحكم النّداء حكمَ أوّل وَهلةِ
فكيف تُنادي اللّهَ ما لم تشاهد | شهودَ العيان أَو شهوداً بخُفيةِ
هو الصمد لا يعزب عنه خردل | جداوله كالبحر أو كالبُحيرة
جداول أخرى ما تريها كأنهر | وقد جَرَتْ عن أصل كنَبْتٍ فسيلةِ
فمِن وحدة عين الهوية إنّكا | بجدولك الحقَّ تُنادي بخُبرةِ
فالإنسان طبعٌ برزخٌ ومفارق | ويدعو الإله كالعقول البسيطةِ
بسيطٌ يصير نفس ما يُقبل إليه | قديمٌ حديثٌ ذو سكونٍ وحركةِ
نباتٌ وحيوان ونطق ومعدن | سماءٌ وأرض جامعُ كلِّ جُمعةِ
إمامٌ مبين فيه إحصاء كلّ شيء | كتابٌ حكيم حائزُ كلِّ حِكمةِ
ويرقى إلى أمّ الكتاب فيتّحد | به ثم تُتلى فيه كلّ قضيّةِ
وقد قيل فيه فوق حدّ التجرُّدِ | ولكنّه تعريف رسم بخَصلةِ
مواصلةُ الأجسادِ عند التجاوُرِ | فإنّ النكاح جاء أعظم وَصْلَةِ
مواصلةُ الأرواح عند اتّحادها | فَتَنْعَتُها بالوَصلةِ المعنويّةِ
وعند اتّجاهِ النفس شطرَ المُفارقِ | تراها فناءً مثل بحرٍ وقطرةِ
وهذا الفناء ذو مراتب لا تعدّ | على حسب أحوال نفسٍ زكيّةِ
وعرض المزاج الآدميّ لما يحدّ | وأَعدلُه كان لنفسٍ كريمةِ
هو المركز فالأقرب منه أعدل | من الأبعد عن هذه المركزيّةِ

وأسبـاب هـذا الاعـتـدال عـديـدة من الفاعلات القابلات العديدةِ
وأحـوال الآبـاء كـذا الأمّـهـات مِـن أمـورِ لأصـلِ الاعـتـدال قـويّـةِ
كما أنّ نفخ الرّوح في الوالدين قد تـلـوّن أعـنـي نـفـخـةً بـعـدَ نـفـخـةِ
فـفـي الأب والأمِّ تـلـوّن نـفـخـه تـعـالـى كـمـا أنّ الـمـيـاه استشتّتِ
ومـا نـالـنـي مـن أنـعـم الله أنّـهـا قِداسةُ ما كـانـت لأمّـي الـعـقـيـلـةِ
ولـلـشـيء أنـحـاء الـخـزائـن رتّـبـت وأمّ الـكـتـاب أصـلـهـا مـن خـزيـنـةِ
ومـا هـو فـوق الـعـقـلِ أوّل صـادر فـقـد صـدر عـن مـكـمـن الأزلـيّـةِ
هـبـاءَ يُـسـمّـى الـصـادر الأوّل كـمـا يُـسمّـى عـماءً في الـروايات الـعـدّةِ
وإيـاك والـتـسـويـفَ والـسـاعـة دنـت
هـشـاشـةُ سـوف مـا تـرى مـن بـقـيّـةِ
ومـا هـذه الـدّار لـنـا لـلإقـامـة وقد كُتِبَتْ في بابهَا ادْخُلْ لِرِحْلَةِ
ولا تصحب الأشرارَ في أيّ محفلٍ ولا تَقْبلِ الأفكارَ من غير نظرةِ
فلا تتركِ الأسحارَ إنْ كنت ساهِراً ولا تُـهـمـلِ الأذكـارَ فـي أيّ وَقْـعَـةِ
وإن قيل قِدْماً لِلحروبِ رجالُها كـذاك رجـالٌ لِـلـثّـريـد وقَـصْـعَـةِ
ولا تَجْزَعي يا نفسُ مِن عَوز طارف ولا تَفْرحي يا نفسُ من فَوز عيشةِ
ومـا قـيـمـة الـدّنـيـا الـدّنـيّـة إنّـمـا تـرى دَيْدَنَ الـدّنـيـا أَلـيـفـاً لِسِفْـلَـةِ
ثقي بالـذي إيّاه يقصد من سواه دعـي مـا دعـاه الـغـاغـة مـن دنـيّـةِ
وإيـاك والـدّونَ الـذي كـان فـانـيـا عـلـيـك بـمـا فـيـه ابـتـغـاء الأعـزّةِ
ولا يشتكي الحرّ من أحوال دهرِهِ فـإنّ هَـوانَ الـدهـرِ دونٌ لِـشِـكْـوَةِ
ولـيـس مـنـاص من أُنـاس وبـأسِـهـم فـلا بـدّ مـن إغـمـاضِ أوهـامِ فـرقـةِ
ويا قوم هل من مَخلص يُرتجى لنا أم الحكم أن نرضى بتلكَ البليّةِ
لك الويل والتَّعس لَإن كنتَ جائرا علـى أضعف المخلوقِ كان كنملةِ
إذا قـيـس ذنـبٌ مّـا إلـى ذنـبِ آخـر فـذا عـنـد هـذا مِـن ذنـوبٍ صـغـيـرةِ
إذا مـا نـظـرتَ الله جـلَّ جـلالُـه تـرى كـلَّ ذنـبٍ مـن ذنـوبٍ كـبـيـرةِ
ونـصـبـح فـي أمـرٍ ونـمـسـي بـآخـر
نـروح ونـغـدو فـي الأمـانـي الـرّزيّـةِ
مضى الأمد والوقت قد أقبل الأبد على ما انقضى العمر لقد ضاع ثروتي

وأقبلتِ الأخرى فقد حان رحلتي وأدبرتِ الدّنيا فقد دان ضجعتي
كرهتُ أموراً كانت الخير كلّه وأحببتُ الأخرى وهي عين الكريهةِ
تمنّيتُها ثمّ توخّيتُ بعد ذا بأن لم تك تلك الأمانيُّ مُنْيَتي
وأمنيّة فيها الأمان بمعزل وأمنية فيها انفعالي وخِفّتي
وكنت ظننتُ ما ظننتُ وأنّها لَمَا نَفعتْ تاللّهِ مثقالَ ذرّةِ
فخلّيتُ نفسي عن سوى حسنِ ظنّها بربّي فعاشَتْ في سِراح وفُسْحَةِ
مواعيدَ عرقوب سمعت وشرُّها أمانيُّ نفسٍ كان فيها مَنيّتي

وقد نالني ريب المنونِ على الولاء
وأنقذني الرّحمن مِن سوء ميتتي

ولا أقدر تقريرَ تلك المهالك ولا أظهر ما عند ربّي لَحِسْبَتي
ومشرب يعقوب النبيِّ لموردي إلى الله يشكو البثَّ والحزنَ عفّتي
ويُخبِرك عنها لساناتُ أعينِ جبالٍ وأنهارٍ وبحرٍ وأيكةِ
ولا بأسَ في ذاك لما قد رأيتُهُ من أنّ سِنامَ العلم ذاقوا مشقّتي
وقد شهد التاريخُ صدقاً بمثل ذا على كلِّ مَن فاقَ السُّباقَ بسُبقةِ
وقد لَدَغَتْني حيّةٌ في جبالِنا وإنّي قتلت الحيّةَ سوءَ قتلةِ
ولَدْغَتُها قد جبَّلتني وشوَّهت وكنت صبيّاً يا لها سوء لدغةِ
لكنتُ من إحرار لَظى سمٍّ لَدْغِها أموتُ وأحيى بُرهةً بعدَ برهةِ
وربّي الرّحيمُ قد نجاني من الأذى وأدخلني في عيشةٍ ما هنيئةِ
ولكنّني صرتُ ابْتُليتُ بحيّةٍ هي شرُّ حَيّاتٍ عَلَى الأرضِ دَبَّتِ
ولو تسأل التّنينَ والدُّبَّ في السّماء لَقالا هَرَبْنَا من أذاها بثَمَّةِ
ألا وهي ما بين جَنْبَيَّ قد أَوَتْ ألا وهي أعدى عدوّي لِهَلْكةِ
ألا وهي بالسوءِ أمّارة فقط ألا وهي النّفس الوَلوع لِنِكبةِ

مضينا ولم يحصل لنا طول دهرنا
سوى ما درينا حرفةً بعدَ حرفةِ

سوى صَرْفِنا ألفاظَ بعض الطّوائف سوى نحوِنا جمعَ دفاتر عُصبةِ
سوى ما عرفنا من حوامل أنجم تداويرها والخمسة ذات حيرةِ
سوى سيرِ فيلٍ وفق لوحِ مربّعِ أو العدل من بيتين فيه بحصّةِ

ولـقـطِ وتـكـسـيـرِ أسـاسِ نـظـيـرةٍ ومستحصلِ مَا استُحصِلَ لِلصعوبةِ
ومفتاح مغلاقٍ لَدى ذِي الكتابةِ ومُغنٍ وظِلّيٍّ مِن الهندسيّةِ
وآلاتِ أرصادٍ كـأنـواع حَـلـقـةٍ وحُكٍّ وإسكافٍ ورُبعٍ ولِبْنَةٍ
سوى نقطة قرن الغزال ونصرةٍ وذا شكلُ لَحيان وذا بيتُ عقلةٍ
سوى الامتياز بين أصل البراءة وما هو أصل الاشتغال لِذِمّةٍ
وهذا فراغ ليس حكم التجاوز وهذا ورود ليس حكم الحكومةِ
وكان الهيولى قوةٌ محضةٌ فقط وبالصورة الفعلُ بَدى بالضرورةِ
مضى العمرُ فيها ليت شعري بما مضى يُوازي بوزن ساعةٍ أو سُوَيْعَةٍ
لقد صار علمي عائقي عن مَشاهدي كسَجْفٍ ثَخينٍ حال بيني وشَأْوَتي
وما العلم حوز الاصطلاحات يا فتى بل العلم نورٌ في حصونٍ أمينةٍ
وإن لم تك النفسُ سِراحاً فما لَها إلى منزل الإحسان من نَيل زُلْفةٍ
ومن دَقّ بابَ التوبة والإنابة بصدقٍ وإخلاص فَرُدَّ بِخَيْبَةٍ
وهل جاز الاستغفار أم ليس جائزاً لِمَن لم يكن في غيرِ إثم وحَوبةٍ
ومن هو قد رُدَّ إلى أرذل العمر فإن لم يتب فليفعلن غيرَ توبةٍ
وفضلُ إلهِ العالمين هو الرجاء وما هو في التصنيف والعبقريَّةِ
سُروري بأنّ الراحم هو مالكي وإلاّ فإنّ العبد في نار حسرةٍ
ولا يصف معشارَ معشارِ رحمتِه لسانُ الورى لو كان ضعفَ المَجَرَّةِ
إلهي ومن أرجو وليس لي الرجاء سوى حُبِّك المكنونِ في حسنِ صيغتي

قصيدتي ينبوع الحياةِ المُريحةِ
لَعَائِرةٌ دهرَ الدّهورِ قصيدتي

بما عانَ ينبوعُ الحياةِ فقد جرى على إثره الأنهارُ الأربعةُ الّتي
بها وعد الرحمنُ أهلَ تقاتِهِ وبيَّن الأنهارَ بتمثيلِ جنّةٍ
إلهي وحيث إنّما أنت مُنطقي نطقتُ بها من غير ضغطٍ وكُلفةٍ
لك الحمدُ ما دارَ الجديدانِ خِلْفَةً لك الشكرُ ما جاءَ الأصيلُ بِبُكْرَةٍ
وأفرِغ علينا الصبرَ عن كل مِحنةٍ وتوفيقَ شكرٍ عند إقبالِ مِنْحَةٍ

ويا محسنُ أحسِن إلى عبدك الحسن
ومَن هو يدعوك بأنحاءِ دعوةٍ

الفهرس

فهرس كتاب «رسالة في لقاء الله تعالى»